الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد محمد عثمان باشا

(1179-1205هـ/1766-1791م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب :

محمد الصالح طيباوي

إشراف :

د/صالح بوسليم

السنة الجامعية :1434-1435هـ/2013-2014م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد محمد عثمان باشا

(1179-1205هـ/1766-1791م)

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث

إعداد الطالب :

محمد الصالح طيباوي

إشراف :

د/صالح بوسليم

لجنة المناقشة

الأستاذ الدكتور: إبراهيم بحاز..... رئيسا

الدكتور:صالح بوسليم .....مشرفا مقررا

الدكتور:إبراهيم سعيود .....عضوا مناقشا

الدكتور :علي العبيدي .....عضوا مناقشا

الدكتور :محمد الزين .....عضوا مناقشا

السنة الجامعية :1435.1434هـ/2014.2013م

الإهـــداء

إلى...

والدي الكريمين أمدهما الله بالصحة والعافية ،وبارك الله في عمرهما.

إخوتي الأعزاء :محمد العلمي ،عبد القادر ،أحمد ،سهام.

أصدقاء الدراسة والعمل، وأخص بالذكر : لحسن ،خالد عامر .

زملاء دفعة الماجستير تاريخ 2011/2010م،جامعة غرداية.

إليكم جميعا أهدي هذا العمل.

الطالب: محمد الصالح طيباوي

شكـر وعرفـان

أتوجه بالشكر الجزيل إلى أستاذي المشرف الدكتور صالح بوسليم الذي لم يدخر جهداً في متابعة مسار هذا العمل منذ أن كان مشروعاً إلى نهايته، فقدم لي الكثير من النصائح والتوجيهات العلمية والمنهجية كما زودني بالكثير من المصادر والمراجع الهامة ،فجزاه الله على ما قدم خير الجزاء.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى جميع الأساتذة الذين قاموا بتأطيري خلال السنة التحضيرية في الماجستير، وأخص بالذكر الأستاذ الدكتور عمار بن خروف، وفقيدة الجامعة الجزائرية الأستاذة الدكتورة عائشة غطاس تغمدها الله برحمته الواسعة وأسكنها فسيح جناته.

ويطيب لي، أن أتقدم أيضاً بالشكر الجزيل إلى عمال المكتبة الوطنية بالحامة على تعاونهم ومساعدتهم لي.

كما لا يفوتني أن أتوجه بالشكر الخالص إلى رئيس وأعضاء لجنة المناقشة على تجشهم عناء السفر، وعلى تحملهم عبء قراءة مذكرتي وتصويبها.

وفي الأخير أتقدم بالشكر إلى كل من قدم لي يد العون كيفما كانت من أجل إعداد هذا العمل .

الطالب: محمد الصالح طيباوي

قائمة المختصرات الواردة في الدراسة

باللغة العربية :

الرمز	المعنى
ص	صفحة
ص ص	صفحات عديدة متلاحقة
ط	طبعة
ج	جزء
مج	مجلد
غ .م	غير منشورة
د .ت	بدون تاريخ
هـ	هجري
م	ميلادي
تح	تحقيق
تق	تقديم
تع	تعليق
ع	عدد
د.م.ج	ديوان المطبوعات الجامعية
م.و.ك	المؤسسة الوطنية للكتاب
ش.و.ن.ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

باللغة الأجنبية :

P	**Page**
PP	**Page continues**
T	**Tome**
N°	**Numerus**

S.D	**Sans Date**
Ed	**Edition**
R.AF	**Revue Africaine**
C.M	**Cahiers de la Méditerranée**
E N A L	**Entre prise Nationale Algérienne de Livres**

مـقـدمـة

عرفت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثاني عشر الهجري /الثامن عشر الميلادي تطورات هامة، وأحداثاً بارزة ساهمت في إعادة بلورة العلاقات بين مختلف دول ضفتيه الشمالية التي تمثلها دول غرب أوروبا ،والجنوبية التي تمثلها الإيالات المغاربية العثمانية .

وقد ارتبطت الجزائر بدول وممالك جنوب غرب أوروبا المتوسطية بعلاقات تاريخية، وسياسية واقتصادية ، فثمة تاريخ مشترك يربط بينهما ،تاريخ يتأرجح بين التحالف والتعاون من جهة ،وتاريخ من الصراع والاصطدام من جهة أخرى.

ومن العوامل التي أثرت في هذه العلاقات ،تلك التحولات السياسية التي مّرت بها دول غرب أوروبا المتوسطية في هذه الفترة ،وانعكاساتها على الجزائر التي تولى الحكم فيها واحد من أبرز الحكام، ألا وهو محمد عثمان باشا الذي استطاع بحزمه ،وحسن تدبيره أن يعيد لها هيبتها في المنطقة ،وأن يرتب أمورها الداخلية ،وينظم علاقاتها الخارجية .

أثرت جملة من العوامل الداخلية والخارجية على العلاقات الخارجية للجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا، جعلتها تتأرجح بين السلم والتوتر، وبالرغم من كل ذلك نجد أن الداي محمد عثمان باشا استطاع أن يتعامل مع تلك المتغيرات بكفاءة عالية تدل على قدرته العالية في التعامل مع كل الظروف، و هذا ما ساعد الجزائر على استعادة مكانتها، وتأثيرها في منطقة غرب البحر المتوسط.

إن هذا الدور الهام الذي لعبته الجزائر في القرن الثامن عشر الميلادي على صعيد العلاقات الخارجية مع الدول الكبرى، دفعني لإختيار جانب من جوانب هذه العلاقات، وحددته بفرنسا وإسبانيا، لأن هذه الدول الأوروبية المتوسطية أخذت تكرش أنيابها تجاه الجزائر من أجل إحتلالها وجعلها القاعدة التي تنطلق منها في توسيع مشروعها الإستعماري في منطقة شمال افريقيا، وعليه كان عنوان البحث هو: **علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد محمد عثمان باشا (1179 . 1205 هـ /1766 _1791م)**

دواعي إختيار الموضوع :

إنّ عملية إختياري أي موضوع من أجل الكتابة فيه ،لا يأتي من فراغ أو أن يكون وليد لحظته ،وإنما يجب أن تتوفر الدوافع العلمية والشخصية التي تأخذ الباحث نحو هذا الإختيار أو ذاك ، وعليه فإن من أهم الدواعي التي جعلتني أختار هذا الموضوع ما يلي :

ـ إن موضوع العلاقات بين الجزائر و دول غرب أوروبا المتوسطية بعامة،و فرنسا وإسبانيا بصفة خاصة، في غاية الأهمية التاريخية، وهو موضوع جدير بالدراسة والبحث، و التحليل بالنظر إلى التشابك و التداخل الكبير في علاقات دول ضفتي الحوض الغربي للمتوسط في الفترة الحديثة.

ـ إن الدراسات التي إطلعت عليها ركّزت اهتمامها على أحادية العلاقة، لذلك أردت إثراء الموضوع بدراسة تشمل نموذجين من العلاقات أحدهما سلمي، والآخر عدائي، فاخترت فرنسا وإسبانيا بحكم أنهما من أقوى دول غرب أوروبا المتوسطية .

ـ خصوصية الدور الفرنسي في منطقة البحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثامن عشر الميلادي، بعد تراجع دور إسبانيا كقوة إستعمارية مؤثرة، وتنامي الرغبة والأطماع الفرنسية في منطقة المغرب الإسلامي ،جعلني أجد أهمية في دراسة مثل هذا الموضوع، من أجل إكتشاف خلفيات الإحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 م

ـ أردت من خلال دراستي ابراز قيمة ومكانة حكام الجزائر في فترة عرفت صراعا محتدماً في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، خاصة وأن محمد عثمان باشا كان من أعظم دايات الجزائر، فضلاً عن فترة حكمه التي تعد الأطول في حكم الدايات.

ـ يعد النصف الثاني من القرن الثامن عشر الميلادي فترة مليئة بالأحداث والتطورات المتسارعة ،والتي على أساسها حدثت الكثير من المتغيرات السياسية و الإستراتيجية في المنطقة عموماً ،والجزائر تحديداً.

الهدف من الدراسة :

إن الهدف من هذه الدراسة ،هو محاولة الخوض في تفاصيل علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا في عهد محمد عثمان باشا ،بغية الكشف عن خباياها، وما فيها من تشابك وتضارب للمصالح بين الدول ،وذلك بتسليط الضوء على العوامل المؤثرة في هذه العلاقات، ومحاولة التعرف على أبرز مظاهرها ،وما مدى نجاح الداي محمد عثمان باشا في استغلال الأوضاع التي شهدتها منطقة الحوض الغربي للمتوسط، في أن يعيد للجزائر هيبتها في المنطقة ،وأن يرتب أمورها الداخلية ،وينظم علاقاتها الخارجية .

الإطار الزماني والمكاني للدراسة:

إن شغفي لدراسة الشخصيات التاريخية جعلني أختار البحث في عهد واحد من أعظم دايات الجزائر، ألا وهو محمد عثمان باشا ،بحكم أن فترة حكمه أطول العهود وأثراها بالأحداث،وبالطبع فيكون الإطار الزماني لهذا البحث مرتبط بتاريخ توليه للحكم،و إلى غاية نهاية فترة حكمه.

وعليه فإن الإطار التاريخي لبحثي هذا يكون في الفترة ما بين : (**1179هـ . 1205 هـ /1766م _1791م**).

أما الاطار المكاني فيمثل جزءًا هامًا وحيويًا من منطقة الحوض الغربي للمتوسط ،ويشمل ثلاث دول ،تعد أقطاب هذه المنطقة ،ومن الدول الأساسية فيها، ففرنسا وإسبانيا المسيحيتان لكونهما دول استعمارية كبيرة في أوروبا ،وفي الجانب الآخر ما تمثله الجزائر في الضفة الجنوبية من بعد إسلامي ،وامتداد للدولة العثمانية ،فكان هذا المجال الجغرافي بحق منطقة تشابك المصالح ،والصراع الحاد خاصة بين الجزائر وإسبانيا .

الإشكالية المطروحة في هذه الدراسة :

فتتركز حول تطور علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا، وحاولت دراسة الموضوع من خلال طرح التساؤلات التالية :

ما هي الظروف والأوضاع التي تحكمت في علاقات الجزائر مع فرنسا و إسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا ؟وما هي العوامل التي أثرت فيها؟ وما مظاهر تلك العلاقات ؟ وما الطابع الذي غلب عليها؟ وما أثارها أوانعكاساتها على الجزائر خاصة ، وعلى دول غرب أوروبا المتوسطية عامة ؟

الدراسات السابقة المتعلقة بالموضوع :

تجدر الإشارة إلى أنّ هناك دراسات علمية متخصصة تناولت الموضوع بشكل دقيق مثل كتاب الباحث أحمد توفيق المدني المعنون بـ:"محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766-1791م"، وتطرقت الباحثة عائشة غطاس للموضوع في رسالتها للماجستير الموسومة بـ: "العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر"، كما تناول الأستاذ محمد السعيد بوبكر للموضوع في مذكرته للماجستير المعنونة بـ "العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثامن عشر ميلادي 1708-1792م"

كما أن هناك العديد من المقالات التي تناولت الموضوع ،أو غطت جانباً من جوانبه ،ومن أبرزها مقال الباحث "مولاي بالحميسي " تحت عنوان" صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية"،كما تناوله الباحث "شكيب بن حفري" في مقال بعنوان "العلاقات الجزائرية الإسبانية في القرن الثامن عشر من خلال مخطوط عثماني"،إضافة للباحث "بلبروات بن عتو " الذي تناول الموضوع بشكل مباشر في مقال بعنوان:" الداي محمد بن عثمان وسياسته 1766م-1791م ".

المنهج المتبع في الدراسة:

لقد اعتمدت في دراستي هذه على المنهج التاريخي الوصفي التركيبي التحليلي ،باعتباره منهجا صالحا لوصف الوقائع والأحداث التاريخية، وتحليلها تحليلا علميا وموضوعيا، بعيدا عن الذاتية والأحكام الفردية، واعتمادا على قراءة جادة ومتفحصة للمصادر التاريخية المتنوعة، والمراجع المتوفرة وإن كان أغلبها باللغة العربية، وذلك للوصول للنتائج المرجوة ،والإجابة عن التساؤلات التي طرحت في فصول هذه المذكرة .

الخطة المعتمدة في الدراسة:

إعتمد البحث على خطة اشتملت على ثلاثة فصول ،وخاتمة، وهذه المقدمة .

ففي **الفصل الأول:** والمعنون بـ " **لمحة عن علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا قبيل سنة 1766م** " وهو بمثابة فصل تمهيدي للبحث، وجرى تقسيمه إلى ثلاثة مباحث ،تناولت في المبحث الأول الوضع السياسي في كل من الجزائر وفرنسا وإسبانيا منذ بداية القرن الثامن عشر إلى غاية بداية عهد الداي محمد عثمان باشا ،أما المبحث الثاني فقد حاولت فيه إعطاء صورة مركزة عن جوانب من علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا قبيل عهد الداي محمد عثمان باشا، لابراز

خباياها قبيل عهد هذا الأخير ،أما المبحث الثالث فقد سلطت الضوء فيه على شخصية الداي محمد عثمان باشا منذ مولده ونشأته، والظروف التي أسهمت في توليته الحكم ،وبعضاً من مآثره.

أما الفصل الثاني فقد المعنون بـ : "**العوامل المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية خلال حكم الداي محمد عثمان باشا**"، وقد قسمته إلى مبحثين ،تناولت في المبحث الأول العوامل الداخلية المؤثرة في العلاقات الخارجية للداي محمد عثمان باشا مع فرنسا وإسبانيا ،ففيه سلطت الضوء على الظروف الصعبة التي حكم فيها الداي ،والمتمثلة في تمردات الجيش الإنكشاري المتكررة، والعجز المالي ،والأوبئة والكوارث التي اجتاحت الجزائر في عهده ،إضافة إلى هذا فقد أدرجت سياسة الداي محمد عثمان باشا الداخلية ،كما تطرقت في هذا المبحث إلى تأثير نشاط القناصل الأوروبيين في عهد الداي محمد عثمان باشا ،و التمثيل الدبلوماسي الأوروبي في الجزائر في عهد الداي،وكذا إلى أثر نشاط القناصل الأوروبيين بالجزائر على مسار العلاقات الخارجية للجزائر .

أما في المبحث الثاني، فقد تناولت فيه العوامل الخارجية المؤثرة في العلاقات الخارجية للجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا ،كما تحدثت فيه عن سياسته الخارجية، من تنظيم علاقاته مع دول العالم الإسلامي ،وكذا سياسته تجاه دول وممالك جنوب غرب أوروبا المتوسطية ،كما تطرقت في هذا المبحث إلى تأثير نشاط القرصنة في العلاقات الخارجية، باعتبارها المحرك الأساسي في التصادم بين الضفتين طيلة العصر الحديث، وما انجر عنها من أسرى في كلا الطرفين ،اضافة إلى تطرقي لدور المبادلات التجارية في هذه العلاقات محاولا تسليط الضوء على سياسة الداي محمد عثمان باشا التجارية ،وعلى طبيعة الصادارات والواردات الجزائرية في هذا العهد ،وإبراز دور اليهود في التجارة الخارجية للجزائر.

أما الفصل الثالث المعنون بـ : "**مظاهر علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا**" ،والذي قسمته إلى مبحثين ،ففي الأول أشرت إلى مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية، أما في المبحث الثاني فتطرقت إلى مظاهر علاقات الجزائر مع إسبانيا

وقد ختمت دراستي هذه بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها، وذيلت المذكرة بملاحق توضيحية ،وفهارس للأعلام ،والأماكن،والبلدان.

التعريف بأهم مصادر ومراجع الدراسة :

اعتمدت في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر العربية والمعرّبة والأجنبية ،وبشكل أكبر على المقالات والدراسات المتخصصة في الموضوع ،ومن أبرزها:

أ) المصادر العربية والمعرّبة:

1. مذكرات أحمد الشريف الزهار :للزهار الذي ولد بمدينة الجزائر عام 1196هـ /1781م، يعتبر كتابه مصدر تاريخي لا غنى عنه للباحث في هذه الفترة، واستعنت به في جميع فصول الدراسة ،وخاصة في التعريف بالداي محمد عثمان باشا ،كما يشير بالتفصيل لعلاقات الجزائر مع إسبانيا في هذه الفترة، كالحملات الإسبانية ،وإلى الصلح بين الجزائر وإسبانيا ،فالمؤلف يقدم وجهة نظر جزائرية لهذه الأحداث ،وهو مصدر تاريخي يؤرخ للعديد من الأحداث التاريخية ،ولعلاقات الجزائر الخارجية،إلا أنه لم يتطرق ولو عرضا لعلاقات الجزائر مع فرنسا في الفترة محل الدراسة.

2. الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة : لمؤلفه محمد بن رقية التلمساني المتوفي سنة 1194هـ/1780م، مخطوط بالمكتبة الوطنية ،نشره سليم بابا عمر في مقال بمجلة التاريخ وحضارة المغرب، هذا المخطوط يعتبر من المصادر التاريخية المهمة ،وقد استفدت منه في المبحث الثاني من الفصل الثالث الخاص بالحملات الإسبانية خاصة حملة أوريلي ،حيث يورد الكثير من الوثائق والتقارير الخاصة بهذه الحملة ،وهو مصدر تاريخي يقدم وجهة نظر جزائرية لهذه الأحداث.

3. الرحلة القمرية في السيرة المحمدية :لمؤلفه أبو عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بابن زرفة الجزء 2 ،تحقيق الأستاذ مختار حساني،استفدت منه في الفصل الثالث خاصة في العلاقات الجزائرية الإسبانية ،فالكتاب مصدر مهم لتاريخ الجزائر في العهد العثماني .

4. طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى آواخر القرن التاسع عشر :لمؤلفه ابن عودة المزاري ،تحقيق ودراسة يحي بوعزيز ،يقع الكتاب في ثلاثة أجزاء استفدت من جزئه الثاني في التعريف ببعض الملوك والأمراء الفرنسيين والإسبان ،كما أفادني من خلال حديثه عن سياسة الحكام العثمانيين في الجزائر ،وخاصة بايات بايليك الغرب ،بإعتباره من أبناء المنطقة، حيث عاش ،وتولى مناصب إدارية في إدارة البايليك ،وتوفي بها .

5. الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني :لمؤلفه أحمد بن سحنون الراشدي ،تحقيق المهدي البوعبدلي ،تناول فيه فتح وهران بشئ من التفصيل ،لأنه كان شاهد عيان على الحدث ،فهو مصدر ثري بالمعلومات لكنه يتسم بطابعه الأدبي .

6. عجائب الأسفار ولطائف الأخبار :لمؤلفه محمد بن أحمد أبو راس الناصري،تقديم وتحقيق :محمد غانم ،الجزء 1 ،وهو من أهم مصادر تاريخ الجزائر في العهد العثماني ،مصدر ثري بالمعلومات رغم طابعه الأدبي ،وقد استفدت منه في الفصل الأول .

7. رحلة ابن حمادوش الجزائري المسمّاة "لسان المقال عن الحسب والنسب والحال" :لمؤلفه عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري المتوفي عام 1200هـ/1785م، والذي سجل فيه ما عرض له وماشاهده فترة ست سنوات من حياته 1743 ـ 1748م، وقام بالتعليق عليه أبو القاسم سعد الله،استفدت من رحلته في الفصل الأول لمعرفة الأوضاع التي كانت تعيشها الجزائر أثناء عصر الدايات، من خلال ما يسرده لما كان يشاهده دون إبداء رأيه في الأحداث التي عايشها عن حياة الداي محمد عثمان باشا، وعلاقات الجزائر الخارجية .

8 . رحلة العالم الألماني (ج،أو،هابنستريت) إلى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ /1732م) :لمؤلفه هابنستريت ،تحقيق ناصر الدين سعيدوني ،الكتاب عبارة عن مجموعة من التقارير أرسلها هابنستريت في شكل رسائل إلى أحد ملوك أوربا، إستفدت منه في المبحث الثاني من الفصل الأول الخاص بالعلاقات الجزائرية الإسبانية قبل عهد الداي محمد عثمان باشا،خاصة إعادة احتلال وهران من طرف الإسبان عام 1732 م.

9. مذكرات أسير الداي كاثكارت :ترجمة وتحقيق إسماعيل العربي ،وهو أمريكي وقع في أسر الجزائريين عام 1785 م ،ضمن السفينة الأمريكية، وأختير مع أربعة من رفاقه للخدمة في قصر الداي ،الكتاب عبارة عن شهادة أسير مسيحي عاش في الجزائر ظروفا معينة، ويتناول جانبا من الوضع العام في الجزائر آواخر القرن الثامن عشر، وقد استفدت منه في الفصلين الأول والثالث.

كما استعنت بمصادر أخرى، لكن بشكل أقل، ككتاب الإكسير في افتكاك الأسير لأبي العباس، و كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى لأبي العباس أحمد بن خالد الناصري،وكتاب إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان لأحمد ابن أبي الضياف وغيرها.

ب) المصادر الأجنبية :

1-Correspondonce des Deys d'Alger avec la Cour de France (1579-1833),Paris, F, Alcan,1889,T2.

مراسلات دايات الجزائر مع البلاط الفرنسي 1833.1579 لمؤلفه الفرنسي أوجان بلانتي "Eugéne Plantet" ،تتجلى قيمة هذا الكتاب في كونه يجمع بين مرجع ومصدر من الدرجة الأولى ،فهو مرجع في المعلومات التي عرضها لنا في المدخل ،ومصدر من الدرجة الأولى كونه يعرض وثائق لا غنى عنها لباحث في تاريخ الجزائر ،أو في علاقات فرنسا الخارجية في العصر الحديث ،كما أن الهوامش التي طعم بها بلانتي المراسلات قد زادت الأمر شرحا وتوضيحا، وقد استفدت منه بشكل كبير في المبحث الأول من الفصل الثالث ،حيث حاولت ترجمة بعض مراسلات الداي محمد عثمان مع البلاط الفرنسي ،والتي استشفيت منها طابع العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة .

2- Alger et Tunis au XVIII siècle,Sindbad,Paris,1983.

الجزائر وتونس في القرن الثامن عشر .لمؤلفه العرنسي فونتير دو بارادي" Venture de Paradis "،كتاب يتناول تاريخ الجزائر وتونس في القرن الثامن عشر، وقد قام جوزيف كوك بنشره سنة 1983 م ، والكتاب مصدر مهم جدا كون مؤلفه دبلوماسي ،حيث كان مبعوثا من السلطات الفرنسية إلى الجزائر لتسوية خلافات نشبت بينهما عام 1788م، فأقام سنتين بالعاصمة الجزائرية ما بين (1788م .1792م)، وكتب عنها المذكرات التي عايشها أثناء اقامته،كما أنه عمل كمساعد للقنصل في الفترة نفسها مما جعله يلم بتفاصيل الحياة في الجزائر، وكانت استفادتي منه كبيرة، لأنه يشير إلى موضوع البحث بشكل مباشر، خاصة فيما يتعلق بحياة الداي، والأمور الإدارية والسياسية للجزائر في هذا العهد، وكانت مآخذه على الحكام الجزائريين قليلة.

ج) المراجع العربية والمعرّبة :

1. محمد عثمان باشا داي الجزائر 1766ـ1791م سيرته، حروبه، أعماله، نظام الدولة والحياة العامة في عهده:لأحمد توفيق المدني،هذا الكتاب يقدم بعضاً من حياة الداي محمد عثمان باشا ،وعلاقاته الخارجية ،إلا أنه لا يشير إطلاقا إلى العلاقات الفرنسية الجزائرية في هذا، أو للفترة التي سبقتها أو تلتها، وقد أفادني في جميع فصول هذه الدراسة، خاصة علاقات الجزائر بإسبانيا في الفترة محل الدراسة.

2. المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780م . 1798م) ليحي بوعزيز، الذي أورد فيه العديد من الوثائق والمراسلات التي تمت بين حكام الجزائر والإسبان وقد

أفادني الكتاب كثير في الفصل الثالث، وذلك في تتبع تطور المفاوضات بين الجزائر وإسبانيا من خلال الرسائل .

3. معاهدات الجزائر مع فرنسا 1619-1830م :للأستاذ جمال قنان ،حيث يتضمن الكتاب المعاهدات التي أبرمتها الدولتين، مع تحليل لمسار العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة وبأسلوب قوي، وأفكار متسلسلة، وذلك من وجهة نظر جزائرية، كما امتاز الكتاب بغزارة المعلومات ،وجديتها ،وتوثيقها من دور الأرشيف، وقد استفدت منه في الفصل الثالث، وخاصة من خلال نصوص المعاهدات التي أوردها الكاتب .

4. الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا:لمؤلفه عزيز سامح إلتر،وقد قام محمود علي عامر بترجمته وقد استفدت من هذا الكتاب كثيرا لأنه يشير إلى موضوع الدراسة بشكل مباشر، لذا يعتبر من المراجع المهمة في دراستي.

5. الجزائر وأوربا 1500-1830م: لمؤلفه جون ب وولف" John B,Wolf "، الذي ترجمه الأستاذ أبو القاسم سعد الله، استفدت منه كثيرا خاصة في الفصل الأول، والثالث، حيث أفرد الكتاب فصلا كاملا عن العلاقات الجزائرية الإسبانية .

د) المراجع الأجنبية :

1- Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830), Paris,1889.

تاريخ الجزائر تحت السيطرة التركية 1515-1830م، لهنري دالماس دو غرامون "Henri Delmas de Grammont"،استفدت من هذا الكتاب كثيرا، حيث يعرض الكثير من المعلومات عن أوضاع الجزائر خلال العهد العثماني، وكذا عن حياة الداي محمد عثمان باشا، كما أشار إلى العلاقات الجزائرية الإسبانية في عهده، وخاصة الحملات الإسبانية على الجزائر .

2- Histoire Des Etablissements et du Commerce Française Dans L'Afrique Barbaresques (1560-1793) ,Alger,Tunis, Tripolitaine,Maroc ,Librairie Hachette, Paris,1903.

تاريخ المؤسسات والتجارة الفرنسية في إفريقيا البربريسكية 1560-1793م، (الجزائر، تونس ،طرابلس) لبول ماسون "Paul Masson "،كتاب يتناول تأسيس المراكز والمؤسسات الإقتصادية الفرنسية في

الدول المغاربية ،وتأثيرها على العلاقات السياسية بين فرنسا وهذه الدول، وقد استفدت من القسم الرابع لهذا الكتاب، والذي كان بعنوان تطور التجارة الفرنسية مابين (1740.1793م)، وذلك في الفصل الثاني .

كما أنني استعنت بالعديد من المراجع العربية ،والأجنبية الأخرى، والمقالات المنشورة في بعض المجلات المتخصصة ، إضافة إلى بعض الرسائل الجامعية .

الصعوبات التي واجهتني في هذه الدراسة:

إن أي بحث علمي لا يمكن أن يخلو من الصعوبات، ولعل أبرز الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجازي لهذه الدراسة ما يلي:

ـ عدم القدرة على التحكم بأدوات البحث ،وذلك راجع إلى قلة خبرتي في ميدان الكتابة التاريخية ،وقد إستفدت من هذه التجربة بمعية الأستاذ المشرف .

ـ صعوبة التنقل إلى المكتبات والمؤسسات التي تهتم بمثل هذه الموضوعات في الضفة الأخرى من البحر الأبيض المتوسط ،حال دون الإطلاع على ما كتب عن هذا الموضوع ،ولكنني حاولت تلافي هذا المشكل قدر الإمكان، كما سأعمل في المستقبل على تجاوز هذه العقبة إن شاء الله .

ـ كما أن مسألة عدم إجادتي للغات الأجنبية دوراً في خلق بعض الصعوبات ،ولكنني ذللتها بالإعتماد على بعض الأشخاص ممن يتقنون هذه اللغات، وهذا ما خلق في أعماقي الرغبة بضرورة تعلم تلك اللغات وإتقانها إن شاء الله .

ختاماً وأنا أنهي هذا العمل ،أمل أن يكون لي أجر المجتهد إن أصبت أو أخطأت ،كما أضع هذا البحث بين أيدي السادة أعضاء لجنة المناقشة الكرام ،ويقيناً أن ملاحظاتهم وأرائهم القيمة، ووجهات نظرهم العلمية ستسهم في إغناء هذا البحث وإخراجه بالمظهر العلمي اللائق بها.كما أمل أن يسد هذا الجهد فراغاً في المكتبة الجزائرية، وأن يكون مدخلاً للمزيد من الدراسات حول هذا المحور المهم من تاريخ بلادنا ،نظراً لأهميته وإرتباطه بحياتنا المعاصرة .

الفصـل الأول :

لمحة عن علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا قبل سنة 1766م/1179هـ

المبحث الأول:الوضع السياسي في الجزائر وفرنسا وإسبانيا

المبحث الثاني:جوانب من علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا

المبحث الثالث :التعريف بالداي محمد عثمان باشا

تمهيد :

شهدت منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في الفترة الحديثة تطورات سياسية ،وتغيرات جذرية تمثلت أساسا في الصراع القائم بين ضفتيه الشمالية التي تمثلها دول غرب أوروبا، والجنوبية التي تمثلها الايالات العثمانية ،خاصة أيالة الجزائر التي تعتبر أقوى هذه الإيالات بحكم موقعها الجغرافي الممتاز ،وكثافة سكانها، وغناها الاقتصادي ،وتفوق بحريتها عدة وعددا،فكانت سواحلها من أهم حلبات هذا الصراع ،والذي استمر طيلة القرن الثامن عشر الميلادي .

ومن خلال هذا الفصل، سأحاول الاحاطة بالوضع السياسي الذي ميّز منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط في مطلع القرن الثامن عشر الميلادي، ومعرفة مختلف القوى السياسية الفاعلة فيه ،وعلى وجه الخصوص فرنسا وإسبانيا اللتان حاولتا فرض قوتهما للسيطرة على المنطقة ،وفرض وجودهما فيها عسكريا واقتصاديا وحتى دينيا، وبالجهة المقابلة أيالة الجزائر التي عرفت كيف تتصدى لكل محاولات الاستيلاء عليها خاصة بعدما تولى الحكم فيها واحد من أبرز الحكام،آلا وهو محمد عثمان باشا الذي استطاع بحزمه وحسن تدبيره أن يعيد تنظيم شؤونها الداخلية وعلاقاتها الخارجية، والتي إرتبطت بشكل مباشر بنشاطها البحري، وقدرتها على مواجهة أطماع الدول الأوروبية فيها .

ومن خلال ما سبق ،طرحنا التساؤلات التالية:كيف كان الوضع السياسي لكل من الجزائر وفرنسا وإسبانيا في هذه الفترة؟ وكيف كانت الملامح العامة للعلاقات الخارجية للجزائر قبيل عهد محمد عثمان باشا؟وما هي الظروف والأوضاع التي تولى فيها محمد عثمان الحكم في الجزائر؟

المبحث الأول :الوضع السياسي في كل من الجزائر وفرنسا وإسبانيا :

تميّز الوضع السياسي لمنطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط خلال القرن الثامن عشر الميلادي بوجود قوى سياسية كبرى كفرنسا وإسبانيا من جهة ،والجزائر من جهة أخرى،هذه القوى كان لها تأثير مباشر في مسار العلاقات بين ضفتيه ،ويمكن أن نلخص هذا الوضع فيما يلي :

أ) الوضع السياسي في الجزائر:

مرت الجزائر خلال الحكم العثماني بتعاقب عدة أنظمة سياسية عبر فترات تاريخية محددة إنفرد كل واحد منها بمواصفات خاصة ،وذلك بسبب الوضع الدولي للإيالة الجزائرية ،آخر هذه الأنظمة حكم الدايات،والذي يعد أطول العهود العثمانية في تاريخ الجزائر الحديث حيث استمر ما بين (1671 ــ1830م) وهي فترة تعادل تقريبا نصف تاريخ التواجد العثماني بالجزائر ،ويمكن تقسيم هذه الفترة من خلال الأحداث التي شهدتها إلى مرحلتين:

1 . مرحلة ضعف الإرتباط بالدولة العثمانية :

بعد الأحداث والتطورات المتسارعة التي عرفتها الجزائر خلال حكم الأغوات[1] ،الذين عجزوا على تحقيق الاستقرار تحولت السلطة إلى طائفة رياس البحر[2] الذين إستطاعوا تأسيس نظام حكم أصبح يعرف بنظام الدايات ،وهو نظام قام على مبدأ الانتخاب دون تحديد للمدة الزمنية[3]، ويشير إلى ذلك بلانتي "Plantet" ،وعليه ،إبتداءاً من عام 1671م بدأ هؤلاء بإنتخاب الحاكم من دون الرجوع إلى الباب العالي،ولم يتركوا لمبعوثي السلطان العثماني إلا الوظائف الشرفية.[4]

---

(1) الأغوات هي المرحلة الثالثة من مراحل الحكم العثماني بالجزائر دامت 12 عاما مابين (1659.1671م) تميزت بتسلط الجيش وإراقة الدماء وإنتشار الفوضى، للمزيد ينظر: أمين محرز :الجزائر في عهد الأغوات (1659.1671)،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر ،2011،ص ص 77.136.

(2)رياس البحر هم مجموع الذين يعيشون على الجهاد في البحر، إختلفت أصولهم فمنهم الأندلسيون والأعلاج والأقلية من سكان الجزائر ،وقد إستعمل هذا المصطلح للدلالة على بحرية الجزائر ،وكان لهذه الطائفة دور أساسي في مصير الجزائرخلال العهد العثماني، للمزيد ينظر:وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر،تع وتق: عبد القادر زبادية، ش.و.ن.ت، الجزائر،1980 ،ص ص 72- 95 .

(3)عزيز سامح إلتر :الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ،تر :محمود علي عامر،دار النهصة العربية للطباعة والنشر ،بيروت 1989،ص 463 .

(4) Eugéne,Plantet: Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France (1579_1833) , Paris ,F.Alcan,1889,T2,PP,333-334 .

وكان الداي ينتخب في الحالات العادية من بين أعضاء الديوان[1] لمدى الحياة شرط أن لا يعزل من منصبه إلا بموته أو تنازله تلقائيا، وأن لا يكون منصبه هذا وراثيا،وبعدها تؤخذ موافقة السلطان بالأستانة على تسميته دايا،وتنصيب الداي رسميا لا يتم إلا بعد وصول القفطان التقليدي وسيف الدولة،[2] وهذا يدل على أن السلطان العثماني لم يكن يتدخل في عملية إختيار الداي، وإنما دوره يقتصر على الموافقة على ما تقرر من قبل أعضاء الديوان ،وهذا يعني أن الدولة العثمانية كان همها المحافظة على الإرتباط الشكلي للإيالة الجزائرية بلا أي مشاكل .

عرفت الجزائر في عهد الدايات،ونحن نعلم تأثير الإستقرار السياسي على الوضع الإقتصادي والإجتماعي، إذ كلما كان هناك إستقرار سياسي يعني هناك إنتعاش إقتصادي ،وبالنسبة للجزائر كان أمراً ضرورياً لأنها كانت في مواجهة قوى خارجية تسعى إلى إنهائها.

أول داي حكم الجزائر هو الحاج محمد التريكي[3] ،وإستمر حكمه أحد عشر سنة من عام 1671م إلى عام 1682م ،ولم يعزل أو يغتال بل فضل ترك السلطة لصهره بابا حسن[4]، وكان الدايات الأربع الأوائل[5]، وهم من زعماء طائفة رياس البحر الذين عملوا على تقليص نفوذ الديوان،وتنظيم الوظائف الإدارية وذلك بإنشاء إدارات متخصصة،مثل: الخزناجي وهو المشرف على المالية، وكيل الحرج وهو المكلف بالبحرية والشؤون الخارجية، أغا المحلة وهو الوزير المكلف بالشؤون العسكرية وقائد الجيش البري، خوجة الخيل وهو المكلف بالواردات من داخل البلاد وتزويد الدولـة

---

(1)وهما ديوانان: ديوان كبير وأخر صغير ،فالكبير عبارة عن مجلس إستشاري يترأسه الأغا يضم مختلف الموظفين السامين في الأوجاق فضلا عن العلماء وممثلين عن الأعيان ،اما الديوان الصغير فيرأسه الباشا يضم كبار رجال الإنكشارية ورياس البحر وبعض الموظفين الإداريين وهو صاحب السلطتين التشريعية والتنفيذية.للمزيد ينظر:وليم سبنسر:المرجع السابق، ص ص 79.77 .

(2) عمار عمورة: الجزائر بوابة التاريخ الجزائر (ماقبل التاريخ إلى 1962م) ،ج2،دار المعرفة، الجزائر،2009،ص94.

(3)الحاج محمد التريكي هو أول دايات الجزائر وكان يعرف بين أصحابه بقبطان رايس ولكبر سنه كان يدعى "بابا حجي" في عهده هاجم الهولنديون الجزائر سنة 1680م، كما تم في عهده ترسيم الحدود بين الجزائر والمغرب الأقصى،للمزيد ينظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي :تاريخ الجزائر العام ،ج 3 ،دار الأمة ، الجزائر ،2010،ص ص 192.189 .

(4)بابا حسن داي الجزائر ما بين (1682.1683)تعرضت الجزائر في عهده لحملتين فرنسيتين ،للمزيد حول الداي، ينظر: عبد الرحمان الجيلالي :نفسه،ج 3 ،ص 194.

(5)وهم: الحاج محمد باشا (1671.1682)،بابا حسن (1682.1683)،حسين ميزمورتو (1683.1689)،حاجي شعبان (1689.1695) ،للمزيد حول باشوات الجزائر، ينظر: إبن المفتي حسين بن رجب شاوش:تاريخ باشوات الجزائر وعلمائها ،تح فارس كعوان ،ط1 ،بيت الحكمة ،الجزائر ،2009.

بالمؤونة وإدارة أملاك البايليك ،بيت المالجي مكلف بالمواريث المخزنية [1]،وإلى جانب هذه الإدارات كانت كتابة الدولة تشرف على كل السجلات الرسمية ،وكانت إدارات عامة، وأخرى مختصة لكل منها مهامها المحددة، فتركيز السلطة بأيدي مجموعة محددة يعينها الداي، قد سمحت باتباع سياسة عامة موحدة مكّنت من النهوض بالإيالة[2] .

وبدون شك فإن عهد الدايات هو عهد القوة العسكرية ، وكانت سلطة الداي واسعة وإن كانت مقيدة بالديوان فهو الذي كان يبت في مسائل الحرب و السلم، وهو الذي يختار و يعين الوزراء[3]، فالجزائر في هذا العهد قد تمتعت بحرية العمل في المجال السياسي وبنت جيشًا قويًا، وعندها ميزانية مستقلة لا تقل أهمية عن ميزانيات الدول القوية في تلك الفترة [4]، وعلى الرغم من مظاهر القوة والنفوذ التي إتصف بها الداي ،إلا أن بعض المؤرخين الغربيين يرون خلاف ذلك ،فالكاتب الإسباني خوان كانو "Jouab Canau" وصف الداي بقوله : "رجل غني لكنه ليس سيد خزانته ،أب بدون أطفال ،زوج بدون إمرأة ،طاغية بدون حرية ،ملك لعبيد ،عبد لأتباعه " [5].

تعرضت الجزائر في عهد الدايات لغارات متعاقبة، وهجمات متكررة شنّتها أساطيل الدول الأوربية أو التي قامت بها جيوش الأقطار المجاورة التابعة لكل من أيالة تونس وسلطنة المغرب،والتي واجهها الدايات الأوائل ما أدى إلى ضعف سلطة طائفة رياس البحر ،والسماح للجند بالتدخل مرة ثانية في الحياة السياسية ،وأصبح إنتخاب الدايات يتم خارج طائفة رياس البحر [6]، وكان للصراع القائم بين الإنكشارية والرياس من أجل السلطة الأثر السلبي على مختلف جوانب الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجزائر ،مما انجر عنه حالة عدم الإستقرار الداخلي[7].

---

(1) شارل أندري جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الاسلامي إلى 1830م،ط3،تع: محمد مزالي ،البشير بن سلامة ،الدار التونسية للنشر ،تونس،ج2،1978 م،ص 374.

(2)المنور مروش:دراسات عن الجزائر في العهد العثماني،القرصنة ،الأساطير والواقع،ج 2،دار القصبة،الجزائر،2009،ص 378.

(3) حمدان بن عثمان خوجة: المرآة،تح :محمد العربي الزبيري،ط2،ش. و.ن .ت ،الجزائر1982 م،ص125.

(4) عمار بوحوش:التاريخ السياسي للجزئر من البداية ولغاية 1962،ط1 ،دار الغرب الإسلامي،2005،بيروت ،ص 60 .

(5) محمد خير فارس : تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي،ط2 ،مكتبة دار الشرق،بيروت لبنان 1979 ،ص 56 .

(6) عائشة غطاس وأخريات: الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954 ،الجزائر ،2007 ،ص ص 256 . 273.

(7) يحي بوعزيز :الموجز في تاريخ الجزائر، د.م.ج، الجزائر ،2007 ،ج2، ص48 .

2 . مرحلة شبه الإستقلال عن الدولة العثمانية :

واجه الدايات الذين تعاقبوا على السلطة في الجزائر العديد من المشاكل تمثلت أساسا في ازدواجية السلطة[1] ،وتوتر العلاقات الخارجية وتمردات الجند المستمرة ،إلا أنه ومع مطلع القرن الثامن عشر الميلادي وصل إلى السلطة دايات عملوا جاهدين من أجل تدعيم سلطتهم، عبر إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان ،وأولى هذه المحاولات مبادرة الداي حسين ميزمورتو[2] عام 1688م[3].

وبحلول عام 1710 م دخلت الجزائر مرحلة هامة في تركيبها السياسي ،حينما بادر الداي علي شاوش[4] إلى إلغاء منصب الباشا ممثل السلطان لينهي إزدواجية الحكم برفضه إستقبال الباشا "إبراهيم شرقان" المبعوث من طرف الدولة العثمانية ،ولم يسمح له حتى بالنزول إلى البر ،فعاد الباشا إلى إسطنبول غاضباً، إلا أن الداي علي شاوش أرسل مبعوثا محملا بالهدايا إلى السلطان أحمد الثالث[5] وأرسل معه رسالة يشرح فيها الأسباب التي إضطرته لمنع إبراهيم باشا من دخول الجزائر ،فقوة الحجة لدى علي شاوش مع الهدايا الفاخرة أقنعت السلطان بوجهة نظره ،ومنح لقب الباشا إضافة لمنصب الداي ،وبذلك دخلت الجزائر مرحلة الدايات الباشوات ،لأن الداي أصبح يجمع بين المنصبين ،وهي مرحلة الإستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية ،إذ أصبح يستعمل في الفرمان الوارد من اسطنبول "إلى أمير الغرب ودايها "[6].

---

(1)دأب السلطان العثماني على إرسال باشا إلى الجزائر كممثل عنه ،يجلس إلى جانب الداي لكنه لا يحكم ،وكان ذلك في محاولة للسلطان لإستعادة ما فقده من نفوذ بالجزائر ،لكن تعيين الباشا الشكلي هذا أصبح مشكلة لدى الدايات و أشعرهم بوجود مضايقة وإزدواجية في الحكم ،فأخذوا يسعون للقضاء عليه وإلغائه بمختلف الوسائل،للمزيد ينظر:عائشة غطاس وأخريات:المرجع السابق،ص 262 .

(2)حسين ميزمورتو :أحد أبرز رياس البحر المتميزين لمع إسمه في النشاط البحري عام 1670م،إرتقى إلى منصب الداي في ظروف غير عادية في صائفة 1683م وإمتد حكمه إلى 1689م،للمزيد ينظر: عبد الرحمان الجيلالي:المرجع السابق،ص195.

(3) تهدف هذه المبادرة إلى تأسيس حكم محلي بمنأى عن نفوذ السلطان ،ففي عام 1688 م عارض الدي حسين ميزمورتو بكل قوة قدوم الوالي العثماني الباشا إسماعيل،الذي عاد من حيث أتى،للمزيد ينظر: عزيز سامح إلتر :المرجع السابق ،ص 466.

(4)الداي علي شاوش حكم الجزائر مابين (1710.1717م)عرف بأوزون علي الدولاتلي، تميز عهده بالإستقرار وشبه الإستقلال عن الدولة العثمانية، توفي بمرض الملاريا ،للمزيد ينظر :عبد الرحمن الجيلالي :المرجع السابق ،ص220.

(5)أحمد الثالث هو إبن السلطان محمد الرابع تولى السلطنة سنة 1703م كثر في عهده تغيير الصدور العظام ،للمزيد ينظر:محمد فريد بك المحامي :تاريخ الدولة العليا العثمانية ،تح: إحسان حقي،ط1 ،دار النفائس ،بيروت،1981،ص ص 312 ـ 319 .

(6)عزيز سامح إلتر :المرجع السابق ،ص 466 .

إن الجمع بين اللقبين ـ الباشا والداي ــ أكسب الدايات نفوذا كبيرا وسمح لهم بممارسة سلطتهم بشكل فعلي ،وبذلك أصبح نظام حكم الأيالة الجزائرية أشبه شئ بجمهورية عسكرية[1] يتولى تسيير شؤونها حاكم منتخب هو "الداي" الذي يعتبر المسؤول العسكري والسياسي للبلاد،والقاضي الأعلى في أمور الحرب والسلم والمسؤول على الضرائب ،وكان يعقد المعاهدات باسم الجزائر ويبعث بالقناصل إلى الدول الكبرى ،ويوافق على إعتماد القناصل الأجانب في الجزائر بدون مشاورة الباب العالي ،مما يبين إستقلالية القرار السياسي الجزائري[2]، أي أن للداي صلاحيات غير محدودة، فنظريا هو مطلق الصلاحيات في تعيين البايات والموظفين[3] ولا يحد من نفوذه سوى وجود مجموعة من الموظفين الكبار والقادة العسكريين، الذين كانوا يجتمعون عادة بالديوان لتقديم النصح والمشورة للداي[4].

أوصى الداي علي شاوش في آخر حياته بأن يخلفه أحد وزرائه وهو محمد الخزناجي بن حسن[5] الذي تولى السلطة في أفريل 1718م دون معارضة تذكر ،ويعد هذا القرار بمثابة خطوة حاسمة في سبيل وضع أسس نظام سياسي بعيد عن هيمنة الجند إذ أصبح تعيين الدايات يتم بإختيار أحد الوزراء ، وقد حافظ الدايات الذين تولوا السلطة خلفا للداي علي شاوش، على ما حققه هذا الأخير ،حيث تمسكوا بمبدأ الاستقلالية عن الباب العالي ،والذين عارضوا كل محاولات التدخل في شؤون الجزائر الداخلية ،كما رفضوا بشدة قبول الباشا المبعوث من طرف السلطان،وذلك ما وقع عام 1729م حينما حاول السلطان فرض نفوذه من جديد ،حيث أرسل باشا يدعى "علي درناوي" عارض الداي بابا عبدي باشا[6] استقباله،[7] وكانت هذه آخر محاولة من قبل الدولة العثمانية بهدف

---

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"،ج4، م.و.ك ، الجزائر ،1984،ص 15 .

(2) عمار بوحوش :المرجع السابق،ص ص 60،61 .

(3) Grammont,(H,de): Histoire D'Alger sous la domination turque (1515-1830),Paris ,1889 ,P233.

(4) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق،ص 15 .

(5)هو محمد بن حسن أفندي الخزناجي الشهير بلقب دارنغلي ،تولى الحكم ما بين (1718-1724م)شهدت الجزائر في عهده أزمة إقتصادية بسبب ما أصابها من قحط وتمردات الرعية عن دفع الضرائب،عمل على التقليل من نفوذ رياس البحر الذين نضموا هجوما قتل أثناءه، للمزيد ينظر :عبد الرحمان الجيلالي :المرجع السابق ،ص 221 .

(6)الداي بابا عبدي يلقب بالكرد والأعور وهو من اكراد العراق ،تقلد وظائف عسكرية وإدارية كثيرة ثم داي الجزائر ما بين (1724-1732م)،،قضى على الفوضى والتمردات القبلية ،كما عقد إتفاقيات صداقة مع السويد وألمانيا والمجر وصقلية،وفي عهده إستولى الإسبان ثانية على مدينة وهران ما ادى إلى وفاته ،للمزيد ينظر :عبد الرحمان الجيلالي :المرجع نفسه ،ص 220 .

(7) Grammont, (H,de),OP,Cit,P233.

فرض ممثل عنها لاسترجاع سلطتها ونفوذها السابق أيام حكم البايلربايات[1] والباشوات[2].

غير أن هذا الوضع لم يكن يعني انقطاع كل تعاون أو تعاطف مع الدولة العثمانية ،بل كانت الجزائر في أوقات الرخاء تبعث هدايا قيمة إلى الباب العالي مرة في كل ثلاث سنوات ،والتي كانت في الغالب لا تخرج عن الخيول والزرابي والعبيد والجواهر ،وبالمقابل كانت الجزائر تتلقى من الباب العالي جنود إنكشاريين ومعونات مالية واسلحة وبارود وسفن حربية ،أما في حالة الحرب كان الأسطول الجزائري يشارك مع الجيوش العثمانية في عملياتها الحربية.[3]

ونستطيع القول أن الجزائر أصبحت قوة حليفة للباب العالي أكثر منها قوة تابعة لها ،وإرسال الهدايا إلى الباب العالي، لم يكن يعبر عن الحصول على الترسيم بقدر ما كان تعاطفاً مع الدولة العثمانية ،باعتبارها تمثل الخلافة الإسلامية ،ولا تتعدى في حقيقة الأمر نطاق المصلحة المشتركة.

وإبتداءا من العقد الثاني من القرن الثامن عشر عرف نظام الدايات إستقرارا واضحا، وهو ما نلمسه في طريقة إنتخاب الداي، حيث كان يختار ضمن الوزراء الثلاثة وهم الخزناجي وأغا المحلة وخوجة الخيل ،وكان الخزناجي الشخصية المؤهلة الأولى لتولي منصب الداي، وشيئا فشيئا أصبح ذلك تقليدا ،وقد أشار الزهار لذلك بقوله :«... وفي عادتهم إذا مات الأمير يتولى مكانه الخزناجي ...»[4]

خلاصة القول، هو أن الجزائر في هذه الفترة أخذت قوتها تبرز ،وتستعيد هيبتها البحرية في منطقة غرب المتوسط ،ونتيجة ضعف الدولة العثمانية ،تغيرت العلاقة بينهما من التابع إلى الحليف ،إن صح التعبير، والمصالح المشتركة كانت تجمعهما ،وتذيب الخلافات بينهما في أغلب الأحيان،فالدولة العثمانية لم تكن ترغب أن تفقد وجودها ،وإن كان شكلياً في منطقة غرب المتوسط ،هذا الوضع ساعد في إستقرار نظام حكم الدايات ،وإبتعاد تدخل الباب العالي في الأمور الداخلية للجزائر،وإن كانت المرجعية الإسمية والدينية لا زالت للدولة العثمانية ،وهذا أمر طبيعي نظراً للروابط التاريخية والدينية بين الجزائر والدولة العثمانية .

---

(1)البايلربايات:تعني باي البايات وهي المرحلى الأولى للحكم العثماني بالجزائر تمتد من (920995هـ/15141586م) حققت الجزائر خلالها وحدتها الإقليمية والسياسية ،للمزيد ينظر:وليم سبنسر:المرجع السابق،ص63 .

(2)الباشوات :هي المرحلة الثانية من الحكم العثماني للجزائر تمتد من (9951070هـ/19861659م) سموا بالبشوات الثلاثين لأن كل واحد منهم حكم ثلاث سنوات فقط ،شهدت الجزائر خلالها إظطرابات داخلية وخارجية عرضت الحكم العثماني لهزات عنيفة وهزائم كثيرة ، للمزيد ينظر : Grammont,(H. de),OP,Cit,PP135_ 147.

(3)محمد خير فارس :المرجع السابق ،ص 72 .

(4) أحمدالشريف الزهار :مذكرات الحاج أحد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168_1246هـ/1754_1830م، تح و تق: أحمد توفيق المدني، ش.و.ن.ت، الجزائر 1974م ،ص 51 .

ب) الوضع السياسي في فرنسا :

شهدت فرنسا في ظل حكم أسرة بوربون (Bourbon) [1] تطورات سياسية وإصلاحات جذرية ،ارتقت بموجبها إلى مصاف الدول الأوربية العظمى ، وفي هذا العنصر أتحدث عن الوضع السياسي العام في فرنسا ،وذلك من خلال عصرين متتاليين ،عرف الأول تفوق فرنسا وتبوأها المكانة الأولى في المنطقة ، والذي إتسم بكثرة الحروب لمواجهة أوربا .أما الثاني فهو يمثل عصر الإنحطاط والإضطراب الداخلي بسبب فقدان الملك قدرته على تسيير البلاد .

1. عصر التفوق والمجابهة:

اتسم نظام الحكم في فرنسا في عهد أسرة البوربون بالحكم المطلق، و إزدهرت فيه فرنسا سياسيا وثقافيا،وأضحت لها مكانتها المرموقة بين دول أوروبا[2]، ولا سيما في عهد لويس الرابع عشر (Louis XIV) [3] ،والذي تعتبر فترة حكمه عصره عصر رخاء ورقي ،وأنموذجاً للحكم المطلق حيث حكم فرنسا حكما إستبدادياً فردياً، ولم يترك للبرلمان أي سلطة[4] خاصة بعد وفاة وزيره مازاران (Mazarin)[5] في 9 مارس 1661م، وكان لويس الرابع عشر مصاباً بداء العظمة والغرور، وهو صاحب مقولة "أنا الدولة و الدولة أنا " [6].

---

(1) آل البوربون أسرة ظهرت في القرن العاشر ميلادي ،حكمت فرنسا وبرز منها 72 ملكاً كما حكم بعضها خارج فرنسا كما في إسبانياوبارما والصقليتين ،وذلك عن طريق المصاهرة بين الأسر الحاكمة في أوربا ،للمزيد ينظر:محمد فريد وجدي : دائرة معارف القرن العشرين،المجلد الثاني،ط 1 ،دار المعرفة للطباعة والنشر،لبنان،1971 ،ص 400.

(2)الأغا بن عودة المزاري :طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى اواخر القرن التاسع عشر، تح: يحي بوعزيز ،ج 2 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009 ،ص 69.

(3) لويس الرابع عشر :ولد بسان جيرمان في 05سبتمبر 1637م،أصبح ملك لفرنسا وهو في سن الخامسة من عمره بعد وفاة والده الملك لويس13 في ماي 1643م ،حكم فرنسا 54عاما ما بين (1643.1715م).للمزيد ينظر:رولان موسنييه وأخرون: تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر)،تع: يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر،ج 4 ،عويدات للنشر والطباعة ،بيروت ،لبنان ، 2006.ص 196 .

(4) جلال يحي :تاريخ أوربا الحديث والمعاصرحتى الحرب العالمية الأولى،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية ، 1983،ص57.

(5) الكاردينال مازاران: إيطالي الأصل،حصل على الجنسية الفرنسية سنة 1639م،تولى رئاسة مجلس الدولة الفرنسية ما بين (1643.1661)،للمزيد ينظر: صلاح أحمد هريدي:أوربا من مطلع العصور الحديث حتى سقوط نابليون بونابرت،مكتبة بستان المعرفة ،الإسكندرية ،2009، ص ص 284.287 .

(6)محمد خير فارس:المرجع السابق ،ص128.

كانت الدولة تُسير في عهد الملك لويس الرابع عشر بشكل مباشر من قبله، ورغم وجود مستشارين ووزراء للشؤون الخارجية وللحربية والبحرية، إلا أن لا أحد يتخذ أي قرار دون عرضه على الملك، الذي كان يقرأ توصياتهم وتقاريرهم مساء كل يوم[1] .

وكان أشهر وزراء لويس الرابع عشر الخبير الاقتصادي كولبير"Colbert" الذي ترأس جميع الوزارات عدا الحربية[2] ،إذ عهد له الملك بتنظيم شؤون المالية، وتنمية الصناعة، وزيادة حجم ونشاط التجارة، فقام كولبير بإنشاء أسطول تجاري فرنسي حديث، نتيجة الرغبة بتطوير التجارة الخارجية الفرنسية وللمحافظة على مستعمراتها[3]. ونتيجة لهذا الإهتمام ،تطور الأسطول التجاري الفرنسي من 20سفينة سنة 1661م، ليصل إلى نا يربو على 140سفينة مطلع القرن الثامن عشر الميلادي [4].

كما اهتم كولبير بالصناعة المحلية ووضع العراقيل أمام السلع الأجنبية ،و شجع الإستيطان في مستعمرات كندا ولويزيانا وسانت دومينيكو وأسس المراكز التجارية المهمة في الهند ومدغشقر والسنغال ،فأصبحت فرنسا دولة إستعمارية كبرى[5].وعلى هذا الأساس نستطيع القول أن كولبير نجح في مهامه رغم العقبات التي واجهته والتي كانت تتمثل في سياسة لويس الرابع عشر العسكرية وميله للبذخ وحياة العظمة .

وقد أمضى لويس الرابع عشر ثلاثين سنة من فترة حكمه التي بلغت خمسة وخمسون سنة في الحروب ،الأمر الذي جعله يهتم ببناء جيش قوي ،وأوكل ذلك إلى لوفوا(Louvois) الذي ظل وزيرا للحربية لمدة 25 سنة خلال الفترة بين (1666 .1691)[6] ،فقام لوفوا في تغيير النظم العسكرية الفرنسية وإبتكار أساليب حديثة لإعداد جيش فرنسي متطور،بلغ عدد قواته مطلع القرن الثامن عشر

---

(1) جفري برون: تاريخ أوربا الحديث،تر: علي المزروقي،ط1، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2006 ص 287.

(2) صالح حسن العكيلي: الوجه الأخر للنهضة الاوربية ،محاضرات في تاريخ أوروبا في عصر النهضة (1453.1789) ، ط1مؤسسة الوراق،عمان ،الاردن، 2006 م، ص 179.

(3)للمزيد حول أعمال كولبير ينظر: Louis Madelin :Histoire de La nation Française , (Histoire Politique "1515_1804"), T4,Librairie Plon ,Paris ,1924 ,PP 306_311.

(4) عبد العزيز سليمان نوار ومحمود محمد جمال الدين : التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ،دار الفكر العربي ،مصر 1999 .ص 174 .

(5) صالح حسن العكيلي:المرجع السابق ص 180.

(6) جلال يحي :المرجع السابق ،ص ص 59 . 60 .

الميلادي 125 ألف من المشاة و7 آلاف من الفرسان[1].

ارتكزت سياسة فرنسا الخارجية خلال عهد لويس الرابع عشر،على مبدأ الوصول للحدود الطبيعية لفرنسا[2]، إذ إعتبر الملك ان الحدود الطبيعية لفرنسا يجب أن تشمل جبال الألب في الشمال الشرقي وجبال البرانس في الجنوب الشرقي، والعمل على تقويض حكم آل هابسبورغ [3]، هذه الإستراتيجية أدخلت فرنسا في سلسلة من الحروب العديدة مع الدول الأوربية الأخرى [4]، ولم تحقق سياسة لويس الرابع عشر أهدافها ،وإقتصرت على مكاسب إقليمية محدودة، بالمقابل كلف فرنسا خسائر بشرية ومالية كبيرة ،ومن أبرز هذه الحروب نذكر:حرب الوراثة في الأراضي المنخفظة (1667.1668) ،حربه ضد هولندا (1672.1679) حرب الثلاثين عام (1688.1697) [5]، كما كان يعتبر نفسه حامية المسيحية ومسؤول أمام الله عن مصالحها فدفعه الحماس الكبير إلى محاربة الإسلام والمسلمين في مناسبات مختلفة سرا وعلنا ، وبالرغم من أنه كان حريصا على صداقة تركيا بما يخدم مصالح فرنسا كان يميل إلى إستخدام القوة والعنف ضد حكام شمال إفريقيا ليكسب صفة البطل الصليبي، فوجه حملات عسكرية ضد الجزائر[6] ، إلا أنه ألحق أضرارًا كبيرة بمصالح فرنسا بهذه المنطقة .

ويمكن القول بأن لويس الرابع عشر قد سيطر جزئيا على أوربا، وزاد بذلك إمتداد الرقعة الجغرافية لفرنسا، إلا أن سيطرته هذه اصطدمت بالتكتلات الأوربية، وانتهى به الأمر إلى هزيمة قاسية.

---

(1) جفري برون: المرجع السابق ،ص290 .

(2) جمال قنان :مظاهر من تطور أوربا في القرن الثامن عشر، د.م،ج، الجزائر،1984 ،ص 3 .

(3)الهابسبورغ :أسرة أوربية عريقة تولت عرش الإمبراطورية الرومانية المقدسة، إلا أنهابعد عام 1521م إنقسمت إلى فرعين الأول نمساوي تحت حكم فرديناند الأول،والثاني إسباني تحت حكم شارل الخامس،للمزيد ينظر:جان بيرنجيه وأخرون: أوربا منذ بداية القرن 14 وحتى نهاية القرن 18،تر:وجيه البعيني ،ط1 ،منشورات عويدات ،بيروت باريس،ج2،ص ص 215.220.

(4) صالح حسن العكيلي:المرجع السابق ص 183.

(5) للمزيد حول حروب لويس الرابع عشر في أوربا ينظر :صلاح أحمد هريدي:المرجع السابق، ص ص 292.301

2 . عصر الإنحطاط والإضطراب الداخلي :

بعد وفاة لويس الرابع عشر ،جاء من بعده حفيده لويس الخامس عشر(Louis xv) [1] الذي حكم ما بين (1715م . 1774م) ،وتعتبر الفترة الأكثر شؤماً على فرنسا، لأنها فقدت في عهده أهم مستعمراتها وبعضا من مكانتها الدولية، ورث لويس الخامس عشر دولة مثقلة بالديون نتيجة كثرة حروب جده لويس الرابع عشر الذي ترك الخزانة خاوية تماما عند وفاته سنة 1715 م فكانت لا تحوي إلا على 800 ألف جنيه[2]، في الوقت الذي بلغت فيه ديون الدولة ثلاثة آلاف مليون جنيه. وكانت السنين الأولى من حكم لويس الخامس عشر ،كان الحكم بيد الوصي على العرش الدوق فيليب أورليان "Philippe Orlèan " [3] ،الذي إتبع سياسة خارجية اتسمت بالضعف ،وقد أخفق في محاولاته العديدة لإجراء بعض الإصلاحات على المؤسسات السياسية والاقتصادية التي ورثتها فرنسا عن حكم لويس الرابع عشر[4].

وفي ظل هذا الوضع الاقتصادي المتدهور كلف لويس الخامس عشر مرشده المسن الكاردينال فلوري "Fleury" الذي كان معلمه ومستشاره بتشكيل الحكومة[5] ،فحاول فلوري أن يضمن السلام الدائم لفرنسا إلى جانب قيامه بإصلاحات داخلية كبيرة لا سيما في الجانب المالي، فقد قلل من المصروفات وشجع التجارة والصناعة الفرنسية ،كما حاول تحقيق التوازن في ميزانية الدولة لصالح الطبقة الوسطى [6]،إلا أن الكاردينال فلوري المسن وجد نفسه في النهاية قد فشل في مهمة الإصلاح، ولم يستطع تحقيق السلام المنشود بسبب ميل آل البوربون للحرب والبذخ.

---

(1) لويس الخامس عشر:ولد بفرساي عام1710،وتولى الحكم في فرنسا وهو في سن الخامسة من عمره أي عام 1715،شهدت فرنسا في عهده عدة ازمات سياسية وإقتصادية حادة،للمزيد ينظر:جلال يحي :المرجع السابق،ص87 .

(2) نفسه :ص 84.

(3) Olivier Chaline : La France au XVIII SIéCLE (1715_1787),Éd;Belin,Paris,1996;p7 .

(4) صالح حسن العكيلي :المرجع السابق ،ص 189.

(5) ماتيو اندرسون:تاريخ القرن الثامن عشر في أوربا،تع: نورالدين حاطوم،دار الفكر،دمشق،1981،ص 171 .

(6) للمزيد حول أعمال الكاردينال فلوري ينظر: Louis Madelin: Op.Cit,PP 404_411 .

إن حياة البذخ والترف وحب التوسع وكثرة الحروب أفقدت لويس الخامس عشر قدرته على اتخاذ القرارات الحاسمة ،وخاصة بعد وفاة الكاردينال فلوري عام 1743م ،ولم يظهر لويس الخامس عشر أي ميل إلى الاهتمام بشؤون الدولة أو بالسياسة ،ولم يكن حريصا كسلفه على ممارسة "مهمة الملك " بل كانت شؤون الدولة تدفعه إلى الهروب والانزواء ،وترك أمور الحكم في أيدي عدد من الوزراء أولاً ثم لمحضياته فيما بعد ،فأصبح النفوذ داخل القصر الملكي خاضعا لنساء القصر وعشيقات الملك وعلى وجه الخصوص الماركيزة بومبادور[1] التي ظلت تتصرف في شؤون الدولة لمدة عشرين سنة ،فكانت تتحدى الوزراء ،بل وهي التي تعينهم وهي التي تقيلهم.

فكان لويس الخامس عشر لا يهتم إلا بملذاته وراحته الخاصة ،ينفق ببذخ وبدون حساب مما أدى إلى عجز الحكومة عن دفع مشترياتها ،وحتى عن دفع رواتب الجنود والضباط في الجيش ،ولمدة طويلة ،فقد أنفق لويس الخامس عشر 390 مليون جنيه على بناء القصور وعلى الحفلات والمحظيات .[2]

حاولت الحكومة الملكية مواجهة هذه الحالة عن طريق فرض ضريبة بمبلغ 20% على الإيراد [3] على أن تفرض على كل الطبقات،غير أن الملك قام بإعفاء النبلاء ورجال الدين فرفض البرلمان تسجيلها ، فذهب الملك بنفسه إلى البرلمان وأمر بتسجيلها، وبدأت فعلا حركات معارضة واضحة الظهور منذ سنة 1750م ،لمقاومة الرغبات الملكية وتركزت أساسا في برلمان باريس والذي إنضمت إليه برلمانات الأقاليم، وسادت فكرة أن الملك يملك بالقانون وأنه لا يمكنه أن يحكم إلا بالقانون ،وهكذا تحولت البرلمانات إلى ميدان عمل سياسي وعينا لمراقبة أعمال الحكومة فطلبوا من الملك أن يقدم لهم إيرادات الدولة وديونها حتى يتمكنوا من معالجة الموقف، إلا أن استمرار الملك على طريقته أدى إلى قيام أعضاء البرلمان بالاضراب ،وقدموا استقالات جماعية ، فرد الملك سنة 1770 م بعدم

---

(1) للمزيد حول أعمال الماركيزة بومبادور ينظر: Louis Madelin: Op.Cit,PP 422-427 .

(2) جلال يحي :المرجع السابق،ص 88 .

(3) نفسه :ص 89 .

إتصال البرلمانات ببعضها البعض ،كما أصدر قرارات بنفي المعارضين له من أعضاء البرلمانات إلى خارج فرنسا ،فعاشت فرنسا بحق سنوات عصيبة تميزت إجمالا بالعجز المالي ولم يعد للملك إرادة مستقلة .

ففرنسا في عهد لويس الخامس عشر تميزت بعدم وجود المساواة في الحقوق والامتيازات بين رعايا الدولة التي لم تكن منظمة أو موحدة، فلكل من مقاطعاتها نظامها الخاص وما عليها سوى دفع مقدار من المال كل سنة لخزينة الملك [1]،فابتعدت تلك المقاطعات عن الصبغة المركزية للدولة التي حاول لويس الرابع عشر فرضها عليها.

كما بقي المجتمع الفرنسي مقسما إلى طبقات: النبلاء ورجال الدين والعامة فقد تمتع النبلاء بحقوق وإعفاءات من الضرائب ،وكان رجال الدين يجمعون الأموال من العامة هذه الأخيرة التي كانت تعاني البؤس والحرمان،[2]إذ تدهورت أحوال البلاد في عهد لويس الخامس عشر من دون أن يعمل على إصلاح تلك الأحوال بل تهرب منها وانشغل عنها بالصيد والحفلات، ومما أثقل كاهل الدولة، هو إقحام فرنسا في ثلاثة حروب[3] كلفتها ثمنا باهظاً، وفقدت إمبراطوريتها الاستعمارية ،وهو ما زاد في الأزمة المالية للحكومة ،مما ساهم في ميلاد طبقة من المفكرين والمصلحين والفلاسفة نادوا بضرورة إصلاح تلك الأوضاع ،بسبب ما إنتشر من حكم مطلق وظلم إجتماعي ،وعدم وجود تسامح ديني ،وكان من أشهر هؤلاء مونتينيسكو وفولتير وروسو.[4]

فالقرن الثامن عشر يعتبر الفترة التي افتقرت فيها فرنسا إلى الهيمنة البحرية والتجارية و حتى السياسية ،أما في نظر بعض المؤرخين فإن فرنسا التي كانت أكثر بلدان أوربا سكانا وأحسنها تنظيما مازالت على الرغم من هزائمها التي تخللتها بعض الانتصارات دولة كبرى وقوة عسكرية لا يستهان بها في العالم بأسره، ومنطقة الحوض الغربي للمتوسط خاصة .

---

(1)صالح حسن العكيلي :المرجع السابق،ص191 .

(2) نفسه :ص 192.

(3) هي حرب الوراثة البولندية(1730_1735)،حرب الوراثة النمساوية(1740-1748)،حرب السبع سنوات (1756- 1763م) ،للمزيد حول حروب لويس الخامس عشر في أوربا، ينظر:عمر عبد العزيز عمر:دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث،دار المعرفة الجامعية،الإسكندرية،1992 ،ص ص 278-285 .

(4) جلال يحي :المرجع السابق،ص 91 .

ج) الوضع السياسي في إسبانيا :

على الرغم من ضعف الاقتصاد الإسباني ،والتراجع التدريجي لمكانة إسبانيا الدولية في النصف الثاني من القرن السابع عشر الميلادي، إلا أنها حافظت على إمبراطوريتها الشاسعة عبر البحار ،وقد بلغ هذا التدهور حدته مع الجدل حول خلافة العرش الذي استهلك السنوات الأولى من القرن الثامن عشر الميلادي.

إعتلاء البوربون عرش إسبانيا :

بعد وفاة كارلوس الثاني" Charles II " [1] إنتهى حكم أسرة الهابسبورغ في إسبانيا، إذ لم يترك أي وريث شرعي يخلفه، فإنتقل العرش إلى أسرة آل بوربون بتولي فيليب الخامس "Philippe V" [2] ،وهو حفيد لويس الرابع عشر، وكان من الطبيعي أن يؤدي ذلك إلى اتحاد عرشي فرنسا و إسبانيا،وهو ما أثار مخاوف الدول الأوربية ،وسرّع في نشوء تحالف أوربي لمواجهتهما، ضم كل من إنجلترا وهولندا والنمسا وبروسيا والبرتغال، وبذلك نشبت حروب الوراثة الأسبانية [3].

ففي اسبانيا توقفت جميع النشاطات الاقتصادية تقريبا ،وتعرقلت اتصالاتها مع ممتلكاتها في العالم الجديد ،كما تجمدت مبادلاتها مع معظم الأقطار الأوروبية ،ونجم عن هذا تدهور الوضع الاقتصادي بشكل خطير خاصة عندما أصبحت إسبانيا تشكل منذ 1705م ميداناً رئيسياً من ميادين الحرب الدائرة[4].

---

(1)كارلوس الثاني :هو آخر ملوك أسرة الهابسبورغ،ابن الملك فيليب الرابع ،خلف أباه وتولى عرش إسبانيا في الفترة ما بين(1665.1700م) وكان طفلا في الرابعة من عمره ،نحيل الجسم ،ضعيف البنية ،تولت الوصاية عليه أمه ماريانا النمسوية،ولما توفي ولم يترك خلفا ،قام نزاع حول وراثة العرش الإسباني،للمزيد ينظر : محمد شفيق غربال :الموسوعة العربية الميسرة ،دار إحياء التراث العربي،بيروت . لبنان،1965 ،مج 2 ،ص 1063.

(2)فيليب الخامس (1683.1746م) أول ملوك البوربون على إسبانيا في الفترة مابين (1700.1746م)حفيد لويس الرابع عشر أوصى به خلفا لشارل السادس ما أدى إلى نشوب حرب الوراثة الإسبانية التي أضعفت من هيبة إسبانيا ،كان فيليب ضعيف البنية والنضوج الديني ،سيطرت على حياته النساء.للمزيد ينظر:محمد شفيق غربال :المرجع نفسه، ص 1353 .

(3) حرب الوراثة الإسبانية :هي حرب ظهرت في اوربا في الفترة ما بين (1701. 1714 م)قامت عقب وفاة الملك شارل الثاني للحصول على حق وراثة العرش الإسباني ،ونظرا للتداخل العائلي بين الأسر الحاكمة في أوربا طالبت كل من فرنسا وبريطانيا بهذا العرش .للمزيد ينظر :جلال يحي :المرجع السابق ،ص ص 65 . 79 .

(4) جمال قنان :المرجع السابق،ص 61.

في ظل هذه الظروف الصعبة التي تعيشها اسبانيا إلتف الشعب حول فيليب الخامس الذي استطاع أن يستعيد معظم أراضي أراغون، وبذلك انتهت هذه الحرب بمعاهدة أوترخت "Utrecht"[1] التي اعترفت بفيليب الخامس ملكاً على إسبانيا ،شرط أن لا يتولى عرش فرنسا فيما بعد، وبمقتضى المعاهدة استولت انكليترا على جزيرة مينورقة وعلى جبل طارق،كما تنازلت إسبانيا على جزيرة صقلية لدوقية سافوا ،وبسبب هذه الهزائم والخسائر تراجعت مكانة إسبانيا بين الدول الأوربية [2] .

وبعد أن استتب الأمر لفيليب الخامس ،وإعتراف الدول الأوربية به كملك على عرش إسبانيا عمد إلى إجراء تغييرات جذرية في هياكل ومؤسسات الدولة ،فقرراته الاولى استهدفت على وجه الخصوص كبار النبلاء للحد من طموحهم ،والذين ناصروا خصومه ،ومنافسوه على عرش البلاد ،وألغى امتيازات بعض المقاطعات التي ناؤته مثل فالنسيا وميورقة ،والحد من امتيازات المقاطعات الأخرى كمقاطعة كاتالونيا وأراغون ،وعمل على توحيد أنظمتها ومؤسساتها وربطها بالأنظمة القائمة في قشتالة.

استطاع فيليب الخامس أن يقيم ملكية إدارية على غرار الملكية الفرنسية [3]، فأعاد تنظيم الشؤون المالية المضطربة، وقلل من الفساد وحد من الإسراف إلا في عمليات البناء، فبنى الجسور والطرق الجيدة وشيد عدد من المباني الفخمة، ومنها: القصر الملكي في مدريد، وقلعة لاجرانخا "La granja " على الطراز الفرنسي[4] .

---

(1)عقدت في الأراضي المنخفضة مابين (1713-1715م) بموجبها تم إنهاء حرب الوراثة الإسبانية في الأراضي المنخفضة وإيطاليا ،وبالمقابل تم الإعتراف بـ فيليب الخامس ملكاً على إسبانيا ،كما تم الإعتراف بالمذهب البروتستانتي في إنجليترا ، للمزيد ينظر : ماتيو اندرسون :المرجع السابق،ص ص 303-307 .

(2) جمال قنان:المرجع السابق،ص 61 .

(3) رولان موسينييه: المرجع السابق،ص 194 .

(4)دوروثي لودر :إسبانيا شعبها وأرضها،تر: طارق فودة،مر وتق: عزالدين فريد ،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة ، 1965م، ،ص125 .

رغم هذا فقد واجه فيليب الخامس تحديات كبيرة عندما أراد توطيد سلطة ملكية مطلقة ومركزية بسبب مطالبة بعض الأقاليم على غرار كاتالونيا والقسم الأعظم من أراغونة بالتحرر من الوصاية الإسبانية ،كما حافظت الأقاليم الباسكية طوال القرن الثامن عشر على إستقلال ذاتي كبير، مما جعله يقوم بحصارها ،والتغلب على برشلونة سنة 1714م ،كما إستطاع إقناع الأقاليم الباسكية بدفع ضريبة طوعية للخزينة الملكية .[1]

وقد سعى فيليب الخامس إلى التوحيد التنظيمي والقانوني للمملكة الإسبانية ،وقد تدعم هذا الإتجاه إلى المركزية عندما إقتدى لما يجري به العمل في فرنسا على عهد جده لويس الرابع عشر ،فقام فيليب الخامس بوضع المجالس القديمة التي كان بعض منها يتولى الاشراف على ناحية من نواحي النشاط الحكومي ،والبعض الأخر مكلف بالاشراف على تسيير مناطق الامبراطورية تحت اشراف الوزراء، وعلى مستوى الادارة المحلية أصبح حكام الاقاليم والمحافظون مراقبون من طرف المديرين الماليين الذين اصبحوا المسيرين المعنيين لهذه المناطق[2] .

تميز عهد فيليب الخامس بالانتشار الكبير لمظاهر الحياة الفرنسية في إسبانيا، وبروز تقاليد الطبقة الراقية فضلاً عن الفنون والآداب والعلوم،وقد استحدم فيليب الخامس في سنوات حكمه الأولى عددا من المستشارين الفرنسيين لإعادة تنظيم الحكومة على الأسس التي وضعها جده لويس الرابع عشر ، فكانوا ضمن المجلس الملكي،وفي عام 1714م خلف هؤلاء المستشارين الفرنسيين الإيطالي صاحب الكفاءة والطموح العاليين الكاردينال جوليو البيروني(Giulio Alberoni) [3]،الذي إستطاع بناء قوات إسبانيا المسلحة واستخدمها لطرد النمساويين من إيطاليا واستعادة النفوذ الإسباني في نابولي ومالطا.

---

(1)ماتيو أندرسون: المرجع السابق ،ص 174.

(2) جمال قنان :المرجع السابق ،ص 61.

(3)البيروني:هو جيوليو البيروني (1664- 1752م)،كاردينال إيطالي ،ووزير في الحكومة الإسبانية ما بين (1716 . 1719م)،حاول مساعدة الإسبان على إسترجاع المناطق الإيطالية التي ضاعت منهم بمقتضى معاهدة أوترخت،اتسم بالتحفظ الشديد تجاه المصالح الفرنسية.للمزيد ينظر: إبراهيم سعيود :علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث (غ.م)،الجزائر،1999-2000م، ص 22 .

كما فرض الضرائب على رجال الدين المتمردين،وأعاد بناء السفن القديمة،وأقام القلاع والترسانات على طول السواحل والحدود، ومول الصناعة المحلية، وزاد ووسع من شبكة الطرق المواصلات . [1]

من خلال ما سبق، يمكن القول أن الملك فيليب الخامس البوربوني تمكن بشكل جزئي في إستعادة إسبانيا لمكانتها الدوليةالتي كانت عليها من قبل، وهي الإمبراطورية التي كانت أطرافها تمتد في كل قارات العالم .

وبالرغم من أن فيليب الخامس ،قام بإصلاح الأحوال الإقتصادية في إسبانيا ،إلا أن سياسته الخارجية تسببت في إضطراب جديد لأنه أشرك إسبانيا في حروب خارجية أنهكت الخزينة الملكية، وقد لعبت زوجته الثانية "إليزابيث فارنيز" دوراً كبيراً في الحياة السياسية وكان وصولها إلى مدريد يعتبر بداية لزوال النفوذ الفرنسي والإستعاضة عنه بالنفوذ الإيطالي[2] ، فأثرت على زوجها والقرارات التي يتخذها، فأقحم تدخلها إسبانيا في حروب الوراثة النمساوية [3] ضد النمسا وبريطانيا، رغبة منها في أن يتولى أبناؤها الإمارات الإيطالية التابعة للنمسا، وقد أسفرت هذه الحروب عن تولي الإبن الثاني، وهو الأمير فيليب، دوقية بارما .

وعند منتصف القرن الثامن عشر الميلادي شهدت إسبانيا كغيرها من بلدان غرب أوروبا حركة تجديد ونهضة مست جوانبها الحياة الأساسية في البلاد ،وقد برزت هذه النهضة خاصة في الميدان الاقتصادي ،وتبناها ملكان مستنيران ابنا فيليب الخامس هما فرديناند السادس ،وكارلوس الثالث الذي يعتبر النموذج الاسباني لحاكم مستبد مستنير.[4]

---

(1) جمال قنان :المرجع السابق ،ص 61.

(2) ماتيو اندرسون :المرجع السابق ،ص175 .

(3) حروب الوراثة النمساوية : هي حرب قامت بين الدول الأوربية في الفترة ما بين (1740.1748م) بسبب صراعها من أجل السيطرة على بعض الممتلكات في أوربا والمستعمرات، وكانت بين فرنسا وإسبانيا وحلفائهما من جهة، وبين إنكلترا وحليفتها بروسيا من جهة أخرى.حول هذه الحروب، ينظر: صالح حسن العكيلي:المرجع السابق،ص 262 .

(4) جمال قنان :المرجع السابق،ص 62.

بعد وفاة فيليب الخامس، تولى الحكم بعده ابنه فرديناند السادس "Ferdinand VI"[1] من زوجته الأولى لوتيسيا، وقد اعتمد الملك الجديد على المركيز "دولا آنسينادا" الذي كان له الأثر الكبير في تطور البحرية حيث جلب الخبراء والفنيين في بناء السفن، فنجم عنه نمو سريع في القدرة البحرية الإسبانية التي أصبحت تملك 57 سفينة حربية عام 1774م. [2]

كما نجح آنسينادا في تنمية الثروة الوطنية ،بتحسينه أساليب الزراعة ،وضخ المال في ميادين التعدين والصناعة ،وشق الطرق والقنوات ،وألغى المكوس الداخلية، وإستبدل بضريبة البيوع البغيضة ضريبة على الدخل والممتلكات، ونظم المالية من جديد، وفك عزلة إسبانيا الفكرية بإيفاده البعوث من الطلبة إلى الخارج. ويرجع بعض الفضل إلى دبلوماسية آنسنادا في إبرام اتفاق مع البابوية عام 1753م، فاحتفظ للملك بحق فرض الضرائب على الأملاك الكنسية وتعيين الأساقفة للكراسي الأسبانية، وقد حد من سلطان الكنيسة، وأخضع ديوان التفتيش، وألغيت الاحتفالات العلنية بإحراق المهرطقين.[3]

وعلى صعيد السياسة الخارجية ،اتبع الملك فرديناند السادس سياسة تحالف سياسة أبيه فيليب الخامس،إذ قرر إتياع سياسة الحياد وتجنب التدخل في الصراعات الأوربية التي لا طائل منها سوى إرهاق ميزانية الدولة، وخسارة إسبانيا لما تبقى من نفوذها الدولي.

وعليه، نجد توقيعه على معاهدة إكس لا شابيل عام 1748 م أنهى بموجبها حرب الوراثة الإسبانية ، والتي وافق بموجبها على منح الإمبراطور النمساوي مقاطعة توسكانيا الإيطالية ، كما حرص الملك فرديناند السادس على إلتزام الحياد في الصراع المسلح القائم بين فرنسا و بريطانيا أثناء حرب السبع سنوات[4] .

---

(1) فرناندو السادس :هوالإبن الرابع للملك فيليب الخامس ولد بمدريد في 23 سبتمبر 1713م ،تولى حكم اسبانيا في الفترة ما بين (1746-1759م)،للمزيد ينظر:رولان موسنييه:المرجع السابق،ص 199.

(2) ماتيو اندرسون : المرجع السابق،ص ص 207-208 .

(3) نفسه: ص 209 .

(4)حرب السبع سنوات :هي حرب قامت بين الدول الأوربية في الفترة ما بين (1756-1763م) بسبب صراعها من أجل السيطرة على بعض الممتلكات في أوربا والمستعمرات، وكانت بين فرنسا والنمسا وحلفائهما من جهة، وبين إنكلترا وحليفتها بروسيا من جهة أخرى. وقد استمرت مدة سبع سنوات، وبدأت في القارة الأوربية ثم انتقلت إلى ما وراء البحار بين انكلترا وفرنسا لتشمل المستعمرات في أمريكا وإفريقيا والهند،للمزيد ينظر:صالح حسن العكيلي:المرجع السابق،ص ص 267-270.

لم ينجب فرديناند السادس وريثاً للعرش، فانتقل العرش بعده إلى أخيه كارلوس الثالث "Charles III "[1] بعد أن تنازل عن عرش نابولي، ويعدُّ عهد كارلوس الثالث إمتداداً لعهد أخيه في متابعة إصلاح الاقتصاد وتوفير أسباب الحياة الكريمة وتحسين أوضاع الطبقات الفقيرة، واتُخذت إجراءات تحد من إمتيازات النبلاء ورجال الكنيسة[2].

وبعد تولي كارلوس الثالث العرش في إسبانيا مباشرة، سعت كل من فرنسا وانكلترا للتحالف معه على منافستها ،فاختار الملك الأسباني التحالف مع فرنسا ، وأبرم معاهدة مع فرنسا سنة 1761م، تعهدت بموجبها كل منهما بأن تضمن ممتلكات الأخرى، وتدافع عنها، ولم يلتزم كارلوس الثالث سياسة الحياد في حرب السنوات السبع ،وانحاز إلى جانب فرنسا ،ما تسبب في هزيمة إسبانيا أمام إنجليترا في كوبا والفليبين ،ولكن معاهدة باريس عام 1763م أنهت حرب السبع سنوات ،وأعادت إلى إسبانيا مانيلا بدلاً من فلوريدا، وعوضتها فرنسا بمنطقة لويزيانا، كما استعادت مينورقة وفلوريدا بعد هزيمة إنجليترا في حرب الاستقلال الأمريكية واعترافها باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية بموجب معاهدة فرساي عام 1783م[3].

---

(1)كارلوس الثالث : (1716_1788م)،ملك إسبانيا ما بين 1759.1788م ،وهو الإبن الأكبر لفليب الخامس ،يعتبر أذكى من جميع أمراء بيت آل بوربون ،كانت له عدة أعمال إقتصادية وعسكرية ،للمزيد ينظر :مولاي بالحميسي :"صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية معاهدة 1786م بين الجزائر وإسبانيا" /في/مجلة تاريخ وحضارة المغرب ،العدد 11 ، 1994،ص6.

(2) ماتيو اندرسون :المرجع السابق ،ص 353 .

(3) نفسه:ص 354 .

المبحث الثاني:جوانب من علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا قبيل حكم الداي محمد عثمان

ارتبطت الجزائر مع دول أوروبا الغربية، وبخاصة فرنسا وإسبانيا بعلاقات تاريخية ،وذلك بحكم القرب والتفاعل الحضاري،فعرفت هذه العلاقات فترات من المد والجزر، فثمة تاريخ مشترك بينهما ،وهو ما بين التحالف والتعاون من جهة، والصراع والمواجهة من جهة أخرى،من خلال هذا المبحث أحاول تسليط الضوء على بعضا من هذه العلاقات مطلع القرن الثامن عشر الميلادي.

أ) العلاقات مع فرنسا :

كانت علاقة الجزائر مع فرنسا تعتبر ضمن الأولويات عند ملوك فرنسا، وهذا راجع إلى المكانة التي حظيت بها فرنسا داخل الأيالات العثمانية عموما والجزائر بصفة خاصة ،فالعلاقات الجزائرية الفرنسية قديمة، إذ تعود جذورها الأولى إلى بدايات ظهور العثمانيين بالجزائر مطلع القرن السادس عشر إنطلاقا من معاهدة سنة 1535م[1] ،ورغم ذلك فإن هذه العلاقات كانت تتأرجح بين السلم والصراع ،إلى أن سادها الود والوفاق الفعلي بعد إمضاء البلدين معاهدة السلم المئوي عام 1689م[2]، والتي وضعت معالم أساسية للسلم والتعاون بينهما، حيث استمر العمل بها طيلة القرن الثامن عشر ،ويتضح ذلك من خلال :

1 . ترسيخ السلم وتعزيز التعاون :

عرفت العلاقات الجزائرية الفرنسية حالة هدوء ،واستقرار نسبيين ،على امتداد القرن الثامن عشر الميلادي مقارنة بالحروب والتوترات المستمرة التي عاشتها الدولتين في القرن الذي سبقه،إلا أن هذه العلاقات كانت متذبذبة، تتحسن وتتأزم حسب مصالح فرنسا الاقتصادية في الجزائر، هذا من جهة ومن جهة أخرى حسب طبيعة العلاقات الجزائرية مع باقي دول أوروبا، وعلى رأسها بريطانيا

---

(1) تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ العلاقات العثمانية الأوربية خاصة الفرنسية منها ،وقعها سليمان القانوني مع فرنسوا الأول في فيفري 1535م، وقد اشتملت على إمتيازات عظيمة للرعايا الفرنسيين المقيمين في الأراضي العثمانية ،للمزيد ينظر:كمال حسنة :العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث(1789_1807 م) ،مذكرة ماجستير غير منشورة ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،السنة الجامعية :2006/2005 ،ص18 .

(2) حول نص المعاهدة ينظر :جمال قنان: معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830م)، م.و.ن،ت، الجزائر ،2007 ،ص ص 307. 315.

المنافس الأول للمصالح الفرنسية في الجزائر ،فكلما تحسنت العلاقات بين الجزائر ودول أوروبا الأخرى، كلما ساءت بينها وبين فرنسا، والعكس صحيح .

فالعلاقات الجزائرية الفرنسية منذ 1689م [1] تميزت عموما بالإستقرار والتعايش السلمي على الرغم من وجود بعض الحوادث إلا أنها لم تصل بالعلاقات إلى درجة القطيعة ،ثم إن الخلافات كانت تحل إنطلاقا من بنود معاهدة السلم المئوي التي كرست مبدأ التعامل بالمثل ،واحترام مصالح كل من الطرفين المتعاقدين ،فكان ذلك عاملا أساسيا في استمرار هذا السلم وترسيخ قواعده[2] .

ويبدو أن فرنسا خلال هذه الفترة هي التي كانت تحرص على توطيد علاقاتها مع الجزائر، وتحسينها أكثر من أي وقت مضى، وذلك بالنظر إلى التطورات التي شهدتها منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط عامة، وفرنسا على وجه الخصوص ،ولهذا سعت من أجل إقناع الجزائر بالوقوف إلى جانبها ضد التحالف الأوربي أثناء حرب الوراثة الإسبانية ،فأرسلت فرنسا لهذا الغرض وفدا إلى الجزائر سنة 1701م، كما كلفت قنصلها بالجزائرالسيد فيليب ديرون "Philippe Durand" [3] بمتابعة هذه الجهود ،لكن فرنسا لم تستطع جر الجزائر طرفاً في هذا الصراع [4].

وعليه فالعلاقات الجزائرية الفرنسية مطلع القرن الثامن عشر اتسمت بالصداقة والثقة المتبادلة من خلال تبادل المعلومات والتشاور حول العديد من القضايا والتطورات التي تشهدها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط مما يعكس تزايد النشاط الدبلوماسي وتأثيره على مسار العلاقات في ظل التنافس الشديد بين فرنسا وأنكلترا .

---

(1) للمزيد حول العلاقات الجزئرية الفرنسية في القرن السابع عشر ينظر:عائشة غطاس:العلاقات الجزائية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1619-1694)،رسالة ماجستير غير منشورة ،معهد التاريخ جامعة الجزائر ،1985.

(2)جمال قنان: المرجع السابق ،ص 141 .

(3) فيليب جاك ديرون: قنصل فرنسا بالجزائر في الفترة ما بين (1698-1705م).للمزيد ينظر:يحي بوعزيز:علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا(1500-1830)،دار البصائر للنشر والتوزيع،الجزائر،2009،ص 162 .

(4) جمال قنان: المرجع السابق ،ص 147 .

عموما فالعلاقات بين البلدين في هذه الفترة طبع عليها التفاهم والاحترام المتبادل،وهذا ما أكدته الرسائل المتبادلة بين دايات الجزائر والمسؤولين الفرنسين، والتي عكست طابع الود والوفاق ،ولما تحمله من عبارات التقدير والتعظيم المتبادل ،فنجد مثلا أن الداي الجديد حاجي مصطفى [1] تلقى رسالة تهنئة من الملك لويس الرابع عشر بتاريخ 8 سبتمبر 1700م[2] يشكره فيها على تهنئته بوليد لحفيده دوق بروغنديا، ويعبر له فيها عن جميل عواطفه ، وعلى ضرورة الحفاظ على المعاهدات السابقة من كلا الجانبين.

وفي رسالة أخرى إلى الداي حاجي مصطفى بتاريخ 04فيفري 1705[3] هنأه بإنتصاره على باي تونس حسين بن علي[4] ،كما أرسل لويس الرابع عشر جوابا إلى الداي حسين خوجة[5] بتاريخ 13 جانفي 1706م [6]،يهنئه فيه بتوليه منصب داي الجزائر، ويعبر له فيه على تقديره وصدق نواياه، كما كان لويس الرابع عشر دائم التأكيد على أهمية المحافظة والالتزام ببنود المعاهدات بين البلدين .

---

(1) هو الداي بابا حاجي مصطفى تولى في الفترة مابين (1700-1705م) عرفت الجزائر خلالها حرباً مع الإيالة التونسية اغتيل عام 1705م.للمزيد ينظر: عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق،ص ص206-208.

(2) Eugéne,Plantet ,Op.cit,p 8.7.

(3) Ibid,p 30.31.

(4) حسين بن علي : هو مؤسس الأسرة الحسينية بتونس تولى الحكم فيها في الفترة ما بين (1705-1740)،بدأ عهده بمقاومة الهيمنة الجزائرية ،وتسلط الدول الأوربية المتزايد داخل الإيالة التونسية وخاصة فرنسا ،للمزيد ينظر :أحمد بن أبي الضياف :إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان ،ط2،الدار التونسية للنشر ،ج2،تونس ،1977 ،ص ص 105-131 .

(5) حسين خوجة داي الجزائر ما بين (1705-1707م) ،عرفت الجزائر في عهده عجز في الميزانية بسبب صرف الأموال في حروب الجارتين تونس والمغرب ، فثار الجند عليه ،فإعتزل السياسة والتجأ إلى زاوية سيدي والي دادة ،للمزيد ينظر :عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق،ص209.

(6) Eugéne,Plantet ,Op.cit,p44 .

وحسب العرف المتبع في هذه الفترة، والذي يقضي بتجديد المصادقة على المعاهدات السابقة كلما انتخب حاكم جديد في كلا البلدين ،ففي نوفمبر 1705م تم تجديد معاهد السلم بين الداي مصطفى ولويس الرابع عشر [1]،كما تم في 8 مارس 1707م تجديد الاتفاقية التجارية بين الداي محمد بكداش[2] ، ولويس الرابع عشر ،وتم تجديدها أيضا يوم 30 مارس 1710 بين الداي دالي براهيم[3] ولويس الرابع عشر ،وبعد تولي لويس الخامس عشر الحكم تم تجديد معاهدة السلم والتجارة عام 26 جانفي 1718 م[4] مع الداي محمد بن حسن[5] .

وحتى عام 1718م السنة التي تم فيها إقرار وتثبيت معاهدة السلم المئوي من طرف الملك الجديد لويس الخامس عشر ،فلم يطرأ على العلاقات أي توتر، ولم يحدث أي نزاع سوى بعض الحوادث البحرية التي وقعت بين الحين والأخر ،ولكن سرعان ما تسوى بطرق سلمية [6].

---

(1)مولود قاسم نايت بلقاسم :شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830 ،ط1،الجزائر،دار البعث للطباعة والنشر ، 1985م ،ج2 ،ص 75 .

(2) محمد باكداش : هو محمد بن أبي الحسن نور الدين علي بن محمد النكيد نسبة إلى نكيدة ناحية من بلاد تركيا وبكداش أو باقطاش لقب تركي ومعناه الحجر القاسي ،حين قدومه إلى الجزائر إستقر في البداية في مدينة عنابة ولزم الشيخ قاسم بن الساسي البوني تولى عدة وظائف شرعية ومناصب عسكرية فكان خطيبا بأحد مساجد العاصمة ،وتولى منصب دفتر دار ،ثم منصب داي الجزائر في الفترة مابين (1707.1710م)من أكبر إنجازاته التحرير الأول لوهران سنة 1708م ،مات مقتولا على يد الداي دالي إبراهيم أغا ،للمزيد ينظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ص ص 209. 220.

(3) دالي إبراهيم أغا: تولى الحكم في الجزائر سنة 1710 م ولم يمكث في ولايته هذه مدة شهر واحد فقط وقيل أربعة أشهر ،ولشدته وقساوته لقب بدالي ومعناه المجنون ،اغتيل وخلفه كوسة باشا.للمزيد ينظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ص 220.

(4)حول نص المعاهدة ينظر :جمال قنان :معاهدات الجزائر...،المرجع السابق ،ص 327 .

(5) هو محمد بن حسن أفندي خزناجي المشهور بلقب وزنغلي،تولى حكم الجزائر ما بين (1718 .1724م) واجهته أزمة إقتصادية بسبب ما أصاب الجزائر من قحط شديد وتمردات الرعية عن دفع الضرائب، أغتيل من قبل طائفة رياس البحر عام 1724م.للمزيد ينظر: عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ص 221.

(6) جمال قنان :المرجع السابق ،ص 149 .

أما من الناحية التجارية فقد أظهرت فرنسا حرصا شديدا على الوفاء بجميع ارتباطاتها ،فكانت تجتهد للمحافظة على الامتيازات[1] التي حضيت بها منذ توقيع معاهدة 1535م ،والتي أعطتها الحق في إنشاء العديد من المؤسسات التجارية الفرنسية بالجزائر [2] وأصبح لها جالية مقيمة بالشرق الجزائري ،فكان نشاط هذه المؤسسات في البداية يقتصر على استغلال صيد المرجان فقط، ثم اتسعت إلى تجارة الحبوب والجلود والشمع والصوف وغير ذلك مما تنتجه الإيالة، فصارت فرنسا تعتبر هذه المؤسسات مثل عنابة والقالة كملك لها لا يحق للجزائريين أن يتدخلوا في شؤونها ،وأصبحت سفنها تتنقل بحرية على الساحل الشرقي تبيع وتشتري دون أن يسمح لمراكب أجنبية مهما كان نوعها أن تدخل للموانئ إلا بإذن منها[3] .

فالنشاط الاقتصادي للجالية الفرنسية بالجزائر فرضته الطبيعة قبل كل شئ ،وهو يعود إلى ارتباط مدينة مرسيليا بالبحر المتوسط ،وبالتالي ارتباطها بالجزائر ،وقد كانت مرسيليا عبارة عن جمهورية شبه مستقلة ،حتى قيل أن السفر إلى الجزائر أسهل من السفر إلى إكس بروفانس.[4]

يتمثل النشاط الاقتصادي الفرنسي بالجزائر في المؤسسات والدور التجارية الكبرى وفي الأفراد الذين يقومون بتسيير التجارة وادارتها استيرادا وتصديرا وهم عادة كبار أصحاب رؤوس الأموال وكبار الموظفين الذين تعينهم السلطات الفرنسية للقيام بوظيفة تتصل بالنشاط التجاري الفرنسي بالجزائر بالإضافة إلى القناصل والمبعوثين الرسميين والأسرى الفرنسيين والبحارة .

---

(1) الإمتيازات :هي مجموعة من التسهيلات التي منحها السلاطين العثمانيون للأجانب المقيمين بالأراضي العثمانية ،خاصة الفرنسيون منهم،بدأ العمل بنظام الإمتيازات بشكل واسع منذ توقيع المعاهدة الكبرى بين سليمان القانوني وفرنسوا الأول سنة 1535م،وبموجب معاهدة الأمتياز تحصل الرعايا الفرنسيون على عدة تسهيلات ،ولقد أجمع المؤرخون خاصة الفرنسيون منهم أن الإمتيازات لم تؤخذ بالقوة ،وهذا ما يفسر عدم خضوع الفرنسيين للقانون المحلي العثماني ،للمزيد ينظر: كمال حسنة : المرجع السابق،ص ص 15-16 .

(2) هذه المؤسسات هي :القالة،حصن فرنسا "الباستيون"،عنابة ،رأس الزهور،القل.للمزيد حول نشاطها ينظر: Paul Masson: Histoire Etablissements et du Commerce Française dans L'Afrique Barbaresques (1560-1793),Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Librairie Hachette, Paris ,1903 .

(3)محمد العربي الزبيري :التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792-1830م ،ط2،م.و.ك ،الجزائر ،1984 ، ص 194.

(4) قدور عبد المجيد:"النشاط الإقتصادي الفرنسي بالجزائر وتونس خلال العهد العثماني"/في/ مجلة العلوم الإنسانية،ع 28،ديسمبر 2007،جامعة قسنطينة ،الجزائر،ص 273.

وبفضل العلاقات الودية بين البلدين حرصت فرنسا قبل غيرها على تحقيق إنشاء مؤسسات تجارية لها بالجزائر ،وتطلع بعض مواطنيها من تجار مدينة مرسيليا إلى اقامة مراكز لهم على ساحل الجزائر للصيد ولتموين مراكبهم التجارية .

فكانت هذه المؤسسات التجارية بالنسبة لفرنسا المنقذ لبعض مقاطعاتها من المجاعة المهلكة فغطت بعض احتياجاتها من الحبوب خلال سنوات القحط التي اجتاحتها أثناء حرب الوراثة الاسبانية، بواسطة الشحنات التي كانت ترسل من الجزائر بواسطة هذه المؤسسات فمعدل ما كانت ترسله هذه المؤسسات من الحبوب سنويا إلى فرنسا بين عامي 1700 .1710 م هو عشرون ألف طن[1] ،كما استفادت الجزائر من جهتها بتمكنها من اقتناء كمية من المعدات البحرية .

ونظرا لتوسع النشاط الاقتصادي الفرنسي بالجزائر ،أسس الملك الفرنسي الشركة الملكية الإفريقية في 22 فيفري 1741م[2]، لتشرف على إستغلال جميع المؤسسات الفرنسية في شمال إفريقيا ،والتي لم تكتف بصيد المرجان ،بل وسعت نشاطها و أصبحت تتاجر بالحبوب على مختلف أنواعها وبجميع ما تنتجه الجزائر من صوف وشموع وجلود ومواشي وزيوت ،فجمعت أرباحا طائلة،حيث يذكر بول ماسون أن هذه الشركة هي أكبر مؤسسة تجارية نجحت في عهد النظام القديم،وذلك لأنها حضيت باهتمام ومساعدات من السلطات الفرنسية ومن الملك نفسه لم تتوفر لغيرها من المؤسسات التي سبقتها ،فرأسمالها كان اكبر رأسمال عرفته الشركات التي كلفت بإستغلال المؤسسات الفرنسية في شمال إفريقيا ،وأسندت ادارتها إلى موظفين سامين في الدولة خدموها بكفاءاتهم ومعارفهم.

وقد كان التجار الفرنسيين في أحيانا كثيرة سببا في توتر العلاقات بين الجزائر وفرنسا ،نتيجة بعض المخالفات كاستخراج جوازات سفر مزورة لشخصيات أجنبية بأسماء فرنسية منتحلة ،كما كانت السفن التجارية التي تتردد على الموانئ الجزائرية سببا لمشاكل كثيرة كتهريب الأسرى والبضائع [3].

---

(1) جمال قنان: المرجع السابق ،ص 149 .

(2) محمد العربي الزبيري: المرجع السابق ،ص ص 195 .206.

(3) قدور عبد المجيد: المرجع السابق ،ص 284

2 ــ توتر العلاقات الجزائرية الفرنسية :

رغم أن العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة، قد غلب عليها الود والاحترام إلا أنها عرفت أشواطا من التوتر والاضطراب وذلك بسبب بعض الحوادث التي تقع بين الحين و الأخر نتيجة أعمال القرصنة البحرية والنشاط المشبوه للقناصل الفرنسيين بالجزائر، فالعلاقات بين الجزائر وفرنسا في هذه الفترة قامت لمعالجة عدة مواضيع ناجمة عن نشاط القرصنة وافتكاك الأسرى والتجارة ،وحتى التمثيل الدبلوماسي الذي كان من جانب واحد فقط.

فمنذ عام 1728 م ظهرت بعض المشاكل التي جرت أغلب حوادثها في عرض البحر ، ففي نفس السنة قام بحارة جزائريين بالاستيلاء على أربعة سفن فرنسية قرب السواحل الإسبانية ،فأرسل الفرنسيون على إثر ذلك أربع سفن حربية إلى ميناء الجزائر للتهديد وإجبار الداي على تقديم الترضيات[1]، حول ما سموه بإعتداءات القراصن الجزائريين على رعاياهم ،ولأول مرة تعمد فيه فرنسا إلى هذا الأسلوب للتفاوض منذ سنة 1687م ،ولقد انزعجت الجزائر من هذه الطريقة ،حيث وصل الأسطول الفرنسي إلى ميناء الجزائر في 11 جوان 1731م بقيادة "دوقاي تروان" الذي بعث رسالة إلى الداي عبدي باشا، تتخللتها إشارات التهديد ،يخبره فيها عن مهمته التي هي تقديم القنصل الجديد للسلطات ،والحصول على ترضية على عدد من المطالب [2]، فانزعج وغضب الداي من تواجد الأسطول، ورفض المطالب الفرنسية، وكما استدعى القنصل وطلب منه توضيحات حول ذلك ،وأراد من ذلك أن يبين للفرنسيين أن أسلوب التهديد وإستعراض القوة لا يزعجه ،وأظهر استعداده للسير قدما في اتجاه القطيعة إذا كانت هي رغبة فرنسا، كما لم يسمح الداي للقنصل الجديد ليون دولان(Léon Delane) [3]بالمثول أمامه بسلاحه حسب التقاليد المتبعة في الجزائر منذ وقت طويل

---

(1) جمال قنان:المرجع السابق،ص 153 .

(2) جمال قنان :المرجع السابق،ص 153.

(3) ليون دولان:قنصل فرنسا بالجزائر ما بين(1731.1732)،للمزيد ينظر:Grammont (H.de): Correspondance des consuls D'Alger (1690-1742), Librairie Ernest Leroux ,paris,1890, PP 194_196.

كما كان استيلاء البحارة الجزائريين على سفينة فرنسية محملة بمواد متنوعة، وعلى متنها عدد من المرتزقة الفرنسيين، كانوا متجهين إلى مدينة وهران للخدمة في الجيش الإسباني، فرصة للطرفين لتبادل التهم خاصة بالنسبة للجزائر التي كانت مستاءة ومتذمرة من الموقف الفرنسي ،وللدعم غير المعلن الذي منح للإسبان لاسترداد مدينة وهران سنة 1732م[1].

وقد أرسل الداي إبراهيم بن محمد باشا[2] رسالة إلى كاتب الدولة للبحرية الفرنسية الكونت دي موريبا (C.De Maurepas)بتاريخ 06 فيفري 1734 م[3] ندد فيها بالمساعدة العسكرية الفرنسية لإسبانيا سواءا في التحضير للحملة أو بعد نجاح الحملة بواسطة تقديم التمويل مدعما ذلك بالأدلة حيث ألقي القبض على بعض الضباط الفرنسيين مشاركين في الحرب،كما ندد بإزدواجية فرنسا صداقة معلنة وعداء مضمر،كما ندد بتحركات القنصل بنوا لومير(Bénoit Lemaire) [4] متهماً إياه بالعمل على تعكير صفو العلاقات بين البلدين .

كما أن قيام أحد الأهالي بقتل مستشار القنصلية الفرنسية في وهران ،وذهاب أغلب الأجانب للإقامة في منزل القنصل الأنجليزي ،كلها أدلة على دور فرنسا في الحملة [5].

---

(1)جمال قنان :المرجع السابق ،ص 155 .

(2) الداي إبراهيم بن محمد رمضان يعرف بالخزناجي تولى حكم الجزائر ما بين (1732-1745م) شهد عهده سخطاً عاماً من الأهالي على فرنسا .للمزيد ينظر: عبد الرحمن محمد الجيلالي:المرجع السابق :ص ص 226- 231 .

(3) جمال قنان :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث (1500-1830م)،المؤسسة الجزائرية للطباعة ،الجزائر،1987،ص 170.

(4) بنوا لومير :قنصل فرنسا في الجزائر ما بين (1732-1734م)، للمزيد ينظر :

Grammont(H.de): Correspondance des consuls…, OP.Cit,PP 202_206 .

(5)ج.أو.هابنستريت: رحلة العالم الألماني(ج.أو.هابنستريت)إلى الجزائر وتونس وطرابلس(1145هـ/ 1732م)،تر وتق وتع : ناصر الدين سعيدوني،ط1،دار الغرب الإسلامي،تونس،2008،ص104 .

ويلاحظ أنه منذ أن تم طرد القنصل لومير من الجزائر في عام 1734 م ،هدأت العلاقات بين البلدين رغم وقوع بعض الحوادث البحرية[1]، كما أن الجزائر لم تحاول استغلال مشاغل فرنسا القارية نتيجة نشوب حرب الوراثة النمساوية ،بل على العكس فقد راعت الحياد التام والإلتزام المخلص مع الأطراف التي تعاقدت معها .

وخلال عام 1753م وقعت مواجهة بحرية، كادت أن تؤدي إلى أزمة حقيقية ،وسببها يعود إلى رفض أحد السفن الفرنسية التوقف للتفتيش عند إلتقائه بأحد السفن الحربية الجزائرية قرب مدخل مضيق جبل طارق ، فبادر الربان الفرنسي بإطلاق نيران مدافعه على السفينة الجزائرية مما أدى إلى نشوب المعركة وتم الإستلاء على السفينة وسيقت إلى الجزائر وصودرت شحنته وتم أسر ملاحيه ومعاقبة ربان السفينة بجلده مما تسبب في وفاته ،فتأزمت العلاقات أكثر بين البلدين ، وفكرت فرنسا جديا في شن حرب على الجزائر وإرسال اسطول بحري لساحل الجزائر، وحضر الأسطول بقيادة دوبانا قبالة مدينة الجزائر مطلع عام 1754م، فإعتذر له الداي،وأطلق سراح الأسرى ماعدا الذين ماتوا [2].

وقد إغتنم الداي بابا علي نقسيس[3] هذه الفرصة فتقدم بطلب إلى الملك لويس الخامس عشر في رسالة وجهها إلى الكونت دو شوازال (C.DE Choiseul) كاتب الدولة للبحرية الفرنسية في 5 جويلية 1762م[4] ،لبناء خمس أو ستة سفن كبيرة ذات خمسين أو ستين مدفعاً على أن تدفع الجزائر ثمنها نقداً، ولكن هذا المطلب لم ينل الإهتمام اللازم بسبب إنشغال فرنسا بمشاكلها مع أنكلترا.

---

(1) جمال قنان :المرجع السابق،ص 157.

(2) يحي بوعزيز :علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا(1500.1830)، دار البصائر، الجزائر،2009،ص 100.

(3) بابا علي نقسيس : داي الجزائر في الفترة مابين (1754–1766 م) ،يلقب بأبو إصبع ،إبتدأ أعماله بمحاولة إخضاع تونس ،وقعت في عهده زلازل متوالية في العاصمة مدة شهرين ،تحدث عنه الحاج أحمد الشريف الزهار ،انه ترك الخزينة خاوية تقريبا للداي الذي خلفه.للمزيد ينظر:أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق ،ص 17 .

(4)حول نص الرسالة أنظر: Eugéne,Plantet ,Op.cit,pp 267_265.

كما إحتج الداي بابا علي في رسالة إلى بيريار(AM.Berruer) كاتب الدولة للبحرية بتاريخ 12 ديسمبر 1762م[1]، من سوء المعاملة التي يتعرض لها الأسرى الجزائريون في فرنسا ،وأورد عددا من الأمثلة كهدم مسجد لهم وحالة الجوع التي هم عليها إلا أن الوزير أنكر ذلك .

وفي شهر جويلية 1763م اعترضت فرقاطة فرنسية مركبا جزائريا، فرد الداي بابا علي نقسيس على ذلك بإعتقال القنصل الفرنسي فالييز (Valière)، ومعه كل الفرنسيين المقيمين بالجزائر ،والعاملين بمؤسسات القالة، وعنابة، والمتواجدين على ظهر السفن الراسية بالموانئ ،وعادت فرنسا لممارسة أسلوب القوة ،فجهزت ثلاثة سفن حربية أرسلتها نحو سواحل الجزائر للتهديد ،ووصلت إليها يوم 11 نوفمبر 1763م، وبقيت هناك حتى شهر جانفي من عام 1764م، كما أوفدت المستشار دو فابري (De Fabry) لإبرام الصلح الذي نص على إطلاق سراح الأسرى وفتح المؤسسات الفرنسية والإعتذار للقنصل الفرنسي، وتسوية القضايا العالقة بين الطرفين ،والإتفاق على اضافة سبعة بنود جديدة لمعاهدة السلم المئوي سنة 1689م[2].

وبذلك عادت العلاقات بين البلدين إلى الاستقرار و التفاهم خاصة في عصر الداي محمد عثمان باشا والملك لويس الخامس عشر ، والتي سنفصلها في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

---

(1) حول مضمون الرسالة انظر: Eugéne,Plantet ,Op.cit,pp 259_256.

(2) يحي بوعزيز :المرجع السابق ،ص 100 .

ب) العلاقات مع إسبانيا:

عرفت العلاقات الجزائرية الإسبانية في العصر الحديث جملة من الصعوبات، والمشاكل الكبيرة وسبب ذلك الإعتداءات والحروب الطويلة التي دأبت إسبانيا على شنها ضد سواحل الجزائر ،وعليه ، إتصفت العلاقات بينهما بالحرب الدائمة.[1] وسنلقي الضوء على جوانب هذه العلاقة خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر الميلادي.

1. العداء المتبادل :

اتصفت العلاقات الجزائرية الإسبانية خلال العصر الحديث بأنها ذات طابع عدائي نتيجة الأطماع الإسبانية في الأراضي الجزائرية ،الذي أخذ أبعاد أوسع وأكبر منذ مطلع القرن السادس عشر الميلادي، وهذا الصراع المسلح أخذ أبعاد مختلفة وأشكال عدة، وعلى الرغم من نجاح الجزائر في صد الإعتداءات الإسبانية على أراضيها،وتمكنها من افشال المخطط الإستعماري الإسباني في إحتلال مدينة الجزائر، إلا ان الحملات العسكرية لإحتلال مدينة الحزائر وغيرها من المدن الساحلية كانت مستمرة .وقد نجحت الجزائر من طرد الإسبان من المدن التي سطرت عليها ، بإستثناء وهران والمرسى الكبير[2] اللذين بقيا في يد الإسبان لسنوات طويلة حتى تمكنوا من تحريرها وطرد الاسبان منها، ولقد ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار ذلك بقوله :« لما تغلب الإصبانيول في السالف على الأندلس وتمكنوا من جميع بلادهم كما هو مسطور في كتب المؤرخين ،كانت لهذا الجنس عداوة مع جميع المسلمين ...فانتقل إلى بر المغرب واخذ وهران من بقية بني زيان ملوك تلمسان،وكان قبل ذلك أخذ بجاية ثم اخرجه منها ملوك الترك ،وبقيت وهران بيده إلى أن أخرجه منها الباي محمد سنة 1205...»[3].

---

(1) أرسلت إسبانيا حملات عسكرية عديدة لإحتلال مراكز هامة على الساحل الجزائري منها :إحتلال المرسى الكبير سنة 911هـ/1505م، ووهران سنة 915هـ/1509م ،وبجاية سنة 916هـ/1510م،للمزيد ينظر: أحمد توفيق المدني:حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا ،ط2 ،م.و.ك، الجزائر ،1984،ص 131 .

(2) المرسى الكبير :ميناء يقع غرب مدينة وهران ببضع الكيلومترات .

(3) أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق،ص ص 25. 26 .

وبناء عليه، فإن كل من الجزائر وإسبانيا كانا في حالة حرب مستمرة ، والعلاقات بينهما يسودها التوتر وفقدان الثقة، فقد ظلت إسبانيا تشن الغارات على المناطق الداخلية المجاورة لوهران، وعلى السواحل الجزائرية ،وتعترض السفن البحرية الجزائرية في البحر أحياناً منفردة وأحيانا أخرى متحالفة مع دول أوربية أخرى ،وكانت السفن الجزائرية ترد بالمثل ،فتهاجم القوات الإسبانية في وهران والمرسى الكبير ،وتعترض السفن الإسبانية في عرض البحر [1].

وبهذا فقد غلب على العلاقات بين البلدين في هذه الفترة العداء الصريح والصراع المستمر ترجمته القرصنة البحرية المتبادلة بينهما ،كان البحر الأبيض المتوسط وشمال المحيط الأطلسي ميدانا لها ،واستطاعت الجزائر من خلالها أن تلحق بالإسبان وحلفائهم هزائم عسكرية كبرى وتعرضت تجارتهم البحرية لمخاطر كبيرة أدت إلى كسادها أحياناً كثيرة.

لم يقتصر هذا الصراع، على الجوانب السياسية والاقتصادية ،وإنما ربط بالفكر الديني الجهادي المدافع من الجانب الاسلامي من قبل الجزائر، وبالروح الصليبية الحاقدة من طرف إسبانيا ،كما لم تقتصر حوادثه العسكرية على السواحل المغاربية فقط ،وإنما شملت كل بلدان حوض المتوسط الجنوبية والشمالية الشرقية وشاركت فيه أكثر من قوى أوربية ،بالاضافة إلى تدخل القوى السياسية المختلفة والمتصارعة والمتعارضة المصالح على مستوى فضاء البحر المتوسط، لما فيه من تعقيدات وحساسيات لدى كل أطراف الصراع ،وبقدر ما كان الإسبان يمارسون هذا العدوان لتنفيذ سياستهم في البلدان المغاربية بقدر ما كانت الجزائر على استعداد كامل للمواجهة عسكريا وسياسيا ومثلت الشوكة التي لا تكسر في حلقهم [2].

وفي خضم هذا الصراع المحتدم كان الإصرار الإسباني على إخضاع الجزائر والسيطرة عليها يرتقي لحد الغرور، لذلك كان منطق القوة هو أسلوبهم الوحيد طوال القرون الثلاثة ،ولم يتعظوا من الهزائم التي تعرضوا لها في القرن السادس عشر الميلادي أمام مدن الجزائر، فإستمروا على هذه السياسة العدوانية زمنا طويلا ،واتخذوا من قواعدهم العسكرية المحصنة في المرسى الكبير، ووهران منطلقا للغارات والهجومات والحروب من أجل إرغام الجزائر على الخضوع والإستسلام ولكن دون جدوى.

---

(1) يحي بوعزيز :الموجز في تاريخ الجزائر ،ج 2 ،د.م.ج، الجزائر،2007م، ص ص 73.71 .

(2) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 346 .

2. الصراع حول وهران والمرسى الكبير :

شكلت كل من وهران والمرسى الكبير أهمية قصوى في إستراتيجية إسبانيا في منطقة غرب البحر الأبيض المتوسط، وكانا يعتبران مركز دفاع متقدم، ومنطلق لنشاطها العسكري في البر والبحر ،وعملت من خلالهما في إستمالة بعض القبائل[1]، للعمل والتعاون معها، ومنذ أن احتلت اسبانيا وهران والمرسى الكبير سعت السلطات الجزائرية لإنها الإحتلال الإسباني وطرده من المنطقة، كما ذكرت من قبل. وهذا ما جعل الجزائر تستند على مسألة إستغلال التطورات التي تشهدها القارة الأوروبية في تحقيق مبتقاها[2]، وعندما حقق الداي الحاج مصطفى[3] انتصاره على مولاي إسماعيل[4] سلطان الدولة العلوية،نجد ان الداي ركز على مسألة تطوير قدرات بايلك الغرب العسكرية لمواجهة التهديدات التي يتعرض لها، وعين عليه مصطفى بوشلاغم[5] لتنفيذ هذه السياسة، حيث قرر الأخير نقل مقر مركز البايليك من مدينة مازونة[6] إلى مدينة معسكر ليكون قريباً من الوجود الإسباني في وهران ،وأخذ يعد العدة لتصفية الوجود الإسباني في بايلكه .

---

(1) من القبائل التي عقدت معاهدات مع الإسبان :بني راشد وأولاد موسى واولاد طلحة ،إلا ان أشهر القبائل التي عملت لصالح الإسبان هي قبائل بني عامر ،للمزيد حول هذه القبائل، ينظر :عبد القادر المشرفي الجزائري:بهجة الناظر في اخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر ،تح وتق: محمد بن عبد الكريم ،ص ص 8-40 .

(2) محمدخير فارس : المرجع السابق ،ص 114 .

(3) الداي بابا حاجي مصطفى حكم الجزائر في الفترة مابين (1110-1117هـ/1699-1705م)،للمزيد ينظر:عبد الرحمان محمد الجيلالي:المرجع السابق، ص 206-207.

(4)مولاي إسماعيل هو ثالث سلاطين الدولة العلوية في المغرب ،يعد من اعظم سلاطين العلويين حكم في الفترة مابين (1672-1727م)، للمزيد ينظر :شوقي عطا الله الجمل:المغرب العربي الكبير في العصر الحديث(ليبا ،تونس ،الجزائر المغرب)،ط1 ،مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1977 م،ص ص 214-220 .

(5) مصطفى بوشلاغم :باي الغرب الجزائري في الفترة ما بين (1686-1733م)تمكن من تحرير وهران عام 1708م ،وبقي بها حتى إحتلها الإسبان مرة ثانية سنة 1732م، توفي بمستغانم وقبره موجود بها، للمزيد ينظر:يحي بوعزيز: مدينة وهران عبر التاريخ ،دار البصائر للنشر والتوزيع، الجزائر ،2009م ،ص ص 53-56 .

(6) مازونة :مدينة داخلية تقع إلى الجنوب الغربي من تنس وشرق معسكر حاليا ، وهي أول مقر لبايلك الغرب الجزائري .

وبعد إختيار محمد باكداش دايا للجزائر في عام 1707م، انتهج سياسة سلفه الداي مصطفى في تدعيم قدرات بايلك الغرب عسكرياً من أجل القضاء على الوجود الإسباني في المنطقة، ومن إجراءاته نذكر، إرساله تعزيزات عسكرية كبيرة بقيادة صهره ووزيره أوزون حسن[1]، وهذا الدعم العسكري ساعد الباي بوشلاغم على تشديد الحصار على مدينة وهران، وكان هذا الضغط العسكري من جانب القوات الجزائرية على الإسبان سبباً في إجبارهم عام 1708م على الإنسحاب من المنطقة، وتمكنت القوات الجزائرية من أسر ما يقارب 2000 من الجنود الإسبان بما فيهم حاكم المرسى الكبير ميليشيور دو أفلاندا(Milchoir de Avellaneda) [2]، وعلى إثر هذا الإنتصار ،تم نقل مقر البايلك إلى مدينة وهران[3] .

أحدث استعادت القوات الجزائرية لمدينة وهران والمرسى الكبير، ردود فعل عنيفة لدى الأوساط السياسية الإسبانية، وتعالت الأصوات التي تدعو إلى ضرورة العمل من أجل إستعادة ما فقدوه في شمال الساحل الإفريقي، لأهميته الإستراتيجية في مواجهة تحديات الصراع البحري القائم بين إسبانيا والجزائر، وبناءاً على هذا التوجه، أصدر الملك فيليب الخامس منشوراً ملكياً بتاريخ السادس من جوان 1732 م، يطلب مساعدة الشعب الإسباني والدول الأوروبية الأخرى لاسترجاع ما فقده الإسبان[4].

أثمرت جهود الملك فيليب الخامس في تعبئة الرأي العام الإسباني والإستعداد لمرحلة إستعادة ما فقده الإسبان في الجزائر، وبدأت الإجراءات لإعداد حملة عسكرية في ميناء أليكانت التي تحركت في يوم 15 جوان 1732م، نحو مدينة وهران بقيادة الدوق دي مونتيمار"Duc de Montemar" وقدر عدد أفرادها حوالي 30000جندي، ووصلت الحملة قبالة مدينة وهران في يوم 29 جوان، وتم انزال القوات البرية على ساحل عين الترك غرب وهران، وذلك لضعف التحصينات العسكرية فيها، وتمكنت القوات الأسبانية التحرك مباشرة بعد إتمام إنزالها نحو المرسى الكبير ووهران، وجرت عدة مواجهات عسكرية بين الطرفين [5].

(1) أحمد توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا ...،المرجع السابق ،ص ص453 .481.

(2) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق ،ص ص 460 .495 .

(3)من المصادر التي تحدثت عن فتح وهران الأول :أرجوزة فتح وهران للحلفاوي المتكونة من 72 بيتا،وشرح أرجوزة الحلفاوي لعبدالرحمان الجامعي ،دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران لمحمد بن يوسف الزياني ،الثغر الجماني في إبتسام الثغر الوهراني لمحمد بن محمد بن علي بن سحنون الراشدي .

(4) عبد القادر فكاير:آثار الاحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني(1210هـ/1816م) ،أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر (غ.م) ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،الجزائر،2009/2008 ،ص 48 .

(5) للمزيد عن هذه الحملة ينظر : Grammont(H.d.de), Histoire d'Alger,Op.cit.p288.

ونظراً لعدم تكافؤ القوة بين الطرفين، فضلاً عن تأخر وصول الدعم العسكري من مدينة الجزائر، قرر الباي بوشلاغم إخلاء الأهالي منها والإنسحاب بقواته خارج حدودها، وهو يجر أذيال الهزيمة والفشل ، وحسب أحد التقارير أن الأسبان وجدوا بها 138 قطعة مدفع ، من بينها 87 قطعة من النحاس [1].

نجح الاسبان في استعادة مافقدوه في عام 1708م، وهذا الإنتصار الإسباني تحقق بسبب ضعف قدرات القوات الجزائرية، فضلاً عن الدعم الفرنسي للإسبان عبر المشاركة العسكرية والدعم اللوجستي الذي قدموه للحملة الإسبانية في إنجاح هذه الحملة الإسبانية[2]، وهذا يكشف لنا، أن الدول الأوربية في علاقاتها مع الإيالات العثمانية عموماً، والجزائر تحديداً، على أنها علاقة تقوم على أساس المبادئ والصدق، وإنما على العكس، كانت مصالحها هي التي تحدد مدى قربها أو بعدها مع الجزائر.والموقف الفرنسي دليل واضح على ما أشرت إليه .

كان وقع إستعادة الاسبان وسيطرتهم لمدينة وهران والمرسى الكبير في نفوس السلطات الجزائرية سلبي، وحاولت تدارك الموقف من خلال إتخاذ الإجراءات العسكرية التي تمكنها من طرد الإسبان مرة أخرى، ونتيجة ذلك، جرت عدة مواجهات عسكرية بين الطرفين بعد وصول الدعم العسكري من مدينة الجزائر، وهذا ما مكن القوات الجزائرية من فرض الحصار العسكري حول المدينة لمدة سنتين ولكن سرعة تحرك الإسبان في بناء تحصينات عسكرية جديدة مكنهم من النجاح في مواجهة الجهد العسكري بعد غزوهم للمدينة [3] .

الملاحظ على الإحتلال الإسباني الثاني لمدينة وهران، أنه لم يكن يشابه الفترة السابقة من الإحتلال التي كانت تمتاز بالتوسع والعمل على تهديد مصالح الجزائر في بايلك الغرب[4]، ولكن يبدو، أن الغاية من إستعادة الإسبان لوهران هو عامل سياسي يتعلق بإسبانيا في وضعها الأوربي والصراعات الدائرة حول الهيمنة والتحكم بالعلاقات الدولية أنذاك، فضلاً عن كونها وسيلة للضغط على الجزائر في تحديد مسار العلاقات بين الطرفين بما يحقق لها مكاسب دبلوماسية وسياسية،ولما لا إقتصادية أيضاً.

---

(1) Charles Tapié :La conquête D'Oran par Les Espagnols en 1732 Imprimerie Emille Collet ,Oran ,1923,P 10.

(2) محمد السعيد بوبكر: العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثامن عشر 1119-1206هـ /1708-1792م مذكرة ماجستير (غ.م)، قسم التاريخ، المركز الجامعي،غرداية،2010-2011،ص ص 94.93 .

(3)عبد القادر فكاير:المرجع السابق ،ص 49 .

(4) جون ب وولف: الجزائر وأوربا (1500.1830)،تر وتع: أبو القاسم سعد الله، عالم المعرفة، الجزائر، 2009م، ص 401.

ويتضح هذا جلياً، من أن الحكومة الإسبانية كانت تتكفل بكل ما يحتاج الإسبان المقيمين في وهران خلال فترة الإحتلال، وإن كانت وهران في هذه المرحلة كانت مهمة جداً للتحركات العسكرية الإسبانية في غرب البحر الأبيض المتوسط، وتأمين طرق مواصلات التي كانت تلقى تهديداً مستمراً.

ورغم أجواء التوتر التي سادت العلاقات الجزائرية الإسبانية طوال العهد العثماني ،إلا أن ذلك لم يمنع من وجود بعض بوادر التقارب السياسي المحدود بينهما،لكن هذا لم يصل بهما إلى قيام علاقات سلمية حقيقية بين الطرفين على أرض الواقع.

ومثال ذلك ما حدث في مطلع القرن الثامن عشر عندما كانت إسبانيا منغمسة في حروب الوراثة، فقد طرح مشروع معاهدة سميت بمعاهدة حسن العلاقات بين قوات صاحب الجلالة المسيحي ،وبين الأتراك ،والتي عقدت بين باي الغرب الجزائري مصطفى بوشلاغم والحاكم الإسباني لمدينة وهران الدون جوان فرانكو وبتفويض من الدون جوان انطونيو زوازو [1]،وأمضيت في القصر الملكي بوهران بتاريخ 10جوان 1707 م[2]، وإن كانت هذه المعاهدة لا تعبر بحق عن العلاقات السلمية بين الدولتين لكنها تشير لوجود قنوات إتصال سلمية ،لكن يبدو أن هذه المبادرة لم يكن لها أي صدى ،إذ أن السلطات الجزائرية استمرت في العمل من أجل تحرير مدينة وهران .

ومع ذلك فقد ظلت العلاقات الجزائرية الإسبانية في عداء مستمر،إلى غاية الربع الأخير من القرن الثامن عشر ، إذ عرفت في هذه الفترة محطات هامة ومفصلية جرى أغلبها في عهد الداي الحاج محمد عثمان باشا ،والتي سأقوم بتفصيلها، وتحليلها في الفصل الثالث من هذه الدراسة .

---

(1)محمد السعيد بوبكر:المرجع السابق،ص ص 134.136.

(2) حول نص المعاهدة ينظر: جمال قنان :نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث...،المرجع السابق،ص ص 207 .209.

المبحث الثالث :التعريف بالداي محمد عثمان باشا

أ) حياته :

على الرغم من أن الداي محمد عثمان باشا يعتبر من الدايات المتأخرين للجزائر، إلا أن المعلومات حول حياته قليلة وشحيحة أحياناً، وكل ما عثرنا عنه إشارات بسيطة هنا وهناك، إذ يشير أحد المراجع إلى كون أصله من قرية صغيرة في أيالة قرمان جنوب الأناضول[1]، وهناك من يذكر، أن عمره تجاوز الثمانون عاماً[2]، بعد أن أمضى سنوات طفولته في قريته في الأناضول، شد الرحال نحو الجزائر بحثاً عن فرص عمل وحياة أفضل مما كانت عليه في قريته، فإشتغل في مدينة الجزائر إسكافياً لحسابه، ونال سمعة طيبة بسبب تواضعه وإخلاصه في عمله وأمانته، وعلى ما يبد، أن محمد عثمان كان زاهداً بالدنيا وملذاتها، فكان يأحذ من اللباس ما يستر به جسده، ومن الطعام ما يسد به رمقه[3] .

وتجمع المصادر كلها على أنه شخصية متعلمة، ورجل عاقل وحازم و ،ولما كان عالما بالقراءة والكتابة انخرط في صفوف الأوجاق بمدينة الجزائر، وعندما جمع ألف بطاقة شيك قدمها للداي لتعيينه في صف كتاب القصر، ثم عين في وظيفة خوجة الطريق، فلمع اسمه وارتقى بالتدريج في سلك الوظائف الإدارية، وبعد سنوات عين خوجة لحراس القصر، مما يوحي بثقة الداي بابا علي فيه حيث رقاه فيما بعد إلى منصب الخزناجي[4]، وقد وصفه المبعوث الفرنسي للجزائر عام 1788م فونتير دي بارادي "venture de paradis" بأنه :«..كان طويل القامة ،نحيف الجسم ، إذا مشى جر رجله اليسرى جاف الطباع صحته جيدة ونظراته حادة ، بسيط في لباسه ، يحمل بطغانا (سيفا) من الفضة لا الذهب ، غير راغب في الزواج ، ولا يشرب الخمر... » [5] .

عاش الحاج محمد عثمان عيشة رجل أعزب وامتنع عن الزواج، على الرغم من إلحاح رجال حاشيته عليه بضرورة الزواج حتى وافق على ذلك، حينما قرر الزواج بأرملة علي باشا، والتي سرعان ما طلقها بعد ليلة واحدة من زواجهما، وقال مقولته الشهيرة:" إني تزوجت لكي لا أموت أعزبا وأحشر شيطانا"[6] .

---

(1) يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد 1780.1798 ،د.م.ج،الجزائر ،1993 ،ص 18 .

(2) أحمد توفيق المدني :محمد عثمان باشا داي الجزائر1766.1791مسيرته ،حروبه،نظام الدولة والحياة العامة في عهده م.و.ك ،الجزائر 1986 ،ص 162 .

(3) أحمد الشريف الزهار : المصدر السابق، ص 23 .

(4) أحمد توفيق المدني :محمد عثمان باشا...، المرجع السابق ، ص 229 .

(5) Venture de Paradis:Tunis et Alger au XVIIIe siècle,Mémoire et Observation Rassemblés et Présentés Par Joseph Cuoq,paris,Ed:la Libliothéque Arabe Sindbad,1983 ,PP193_196.

(6) أ حمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 24.

ب) توليه الحكم :

كثيرة هي الأسباب التي دفعت الداي بابا علي بوصبع لإختيار محمد عثمان خلفا له ،لعل أبرزها أخلاقه السامية التي إمتاز بها من إستقامة وأمانة وحسن تدبير ، وهذا ما أثبته لما كان في منصب الخزناجي ما دفع الداي بابا علي لأن يوصيه على أولاده وداره قبل أن يختاره لخلافته، كما أن الحزم وعدم التردد كانت دافعا أخر، وهذا ما جعل الداي غير متردد في إختيار هذه الشخصية المتزنة لخلافته، ولما أصيب الداي علي بوصبع بمرض ألزمه الفراش مدة عام ، جمع وزرائه وهم: الخزناجي، أغا العرب، خوجة الخيل، وكيل الحرج بباب الجهاد، ووكيل بيت مال المسلمين ،وأوصاهم بولاية محمد عثمان من بعده، ومما رفع أسهم محمد عثمان في تولي منصب الداي هو نجاحه في إفشال تمرد قوات الإنكشارية [1]، وهذا ما تحقق بعد وفاة سلفه في يوم 8 فيفيري 1766م، وفي اليوم الموالي جرت مراسيم البيعة له من قبل العلماء و نقيب الأشراف و رجال الإدارة العثمانية، وأعيان القوم ،وجرت بعدها الإحتفالات الرسمية بالمناسبة من لبس الخلعة السلطانية وإطلاق المدافع . [2]

إتصف الداي محمد عثمان باشا بالعدل والإستقامة ،والجد والحكمة والحزم ، متقشفا زاهدا مبالغا في التحفظ من الإنفاق على نفسه وأهله من خزينة الدولة ،وقد يبلغ به التحفظ أحيانا إلى حد التضييق والتقتير على نفسه ،متشددا في إجراء الأحكام وتنفيذها وفق ما تقتضيه العدالة الإجتماعية ،ولما تتطلبه المصلحة العامة من غير مداراة ولا محاباة ، وكان لا يقبل التساهل في القصر مع الأخلاق ،فلا يوظف إلا ذوي السلوك الحسن، وقد وصف لنا أحمد الشريف الزهار محمد عثمان باشا أنه :« كان عارفا بقوانين الملك، ملتزما لأحكام الشريعة الإسلامية المطهرة ،محبا للجهاد ،ومؤثرا للعدل والإنصاف ، متقشفا في نفقاته ...» [3].

وتولى محمد عثمان باشا منصبه الجديد في سن الخامسة والستين تقريباً، ولذلك كان يعالج الأمور عن حكمة وروية ،وعن تجربة سياسية ،وخبرة الشيء الذي مكنه من النجاح في معظم المشاكل والأحداث التي واجهها طيلة حكمه خاصة صراعه مع الإسبان .

---

(1) مبارك بن محمد الميلي : تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية ،الجزائر ،1994 ، ج 3، ص 229

(2) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق، ص 23 .

(3) نفسه :ص 24.

ج) من مآثره :

لقد ترك الداي محمد عثمان باشا مآثر كثيرة ،فقد كان لنشاطه وحركاته تزايد عظيم في سائر ميادين النشاط الحربي والسياسي ،والإجتماعي ،وأهمها ما قام به في كل من ميدان الحرب والإنشاء والتشييد والتعمير ،وكذا أعمال الخير والبر ،ومنها أنه أعاد بناء المسجد العتيق وجدده احسن تجديد ،وكسا حيطانه بالزليج[1]،كما رمم ونمق جامع السيدة "بنت مولاي الناصري ملك بجاية" الموجود قرب القصر بالعاصمة ،والذي يؤمه زعماء الإيالة [2]، وفرق الماء الذي أتى به من الحامة إلى المدينة على المساجد[3] ،كما لم يهمل موضوع الأوقاف حيث إهتم بمؤسسة سبل الخيرات [4] ،ولقد ضبط المؤرخون وثيقة أرشيفية وقفية مؤرخة فس سنة 1190هـ /1784.1785م تشمل وقف أثنا عشر حانوتا ،وكل حانوت في إعتماد شخص معين [5] ،وقد أشار إلى ذلك فونتير دي بارادي بقوله :«.. بنى من ماله الخاص مسجدا بديعا ،مقابل دار الإمارة ،وحصنين جديدين ،ومسبكة لصهر الحديد ،كذلك أثناء قنبلة الجزائر وضع في الخزينة 200 ألف دينار سلطاني ولم يسترجعها ..»[6]

وقد واجه الدي محمد عثمان باشا عدة غارات وحملات بحرية أوربية إستهدفت تحطيم مدينة الجزائر ،إلا أنه تمكن من دحرها وإلحاق الهزائم بها،مما أكسب للجزائر مهابة وإحتراما لدى كل الدول الإسلامية وحتى الدول الأوربية المسيحية.[7]

توفي الداي محمد عثمان باشا يوم الثلاثاء 9 ذو القعدة 1205هـ الموافق لـ 12 جويلية 1791 م بعد أن حكم الإيالة الجزائرية مدة خمسة وعشرين سنة وخمسة أشهر وأحد عشر يوما، وخلفه حسن الخزناجي في المنصب[8].

---

(1) بلبروات بن عتو :"الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته"/في/مجلة عصور ،العدد7.6 ،جوان . ديسمبر2005 ، مخبر مصادر وتراجم ،جامعة وهران،ص 98.

(2) شارل أندري جوليان:المرجع السابق ،ص 375 .

(3) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق، ص 23 .

(4) مؤسسة سبل الخيرات :هي مؤسسة حنفية شبه رسمية تشرف على جميع الأوقاف المتعلقة بخدمة المذهب الحنفي من زوايا ومدارس ومساجد وموظفين وفقراء ،كما أنها مكلفة بدفع مرتبات حوالي 88 طالبا أو قارئا ملحقين بالمساجد التي كانت تحت إدارتها، كما كانت تقدم الصدقات للفقراء وترعى حاجات المساجد التسعة التابعة لها، للمزيد ينظر: عائشة غطاس وأخريات: المرجع السابق ،ص ص 256 . 273.

(5) بلبروات بن عتو:المرجع السابق ،ص 98 .

(6) Venture de Paradis: Op.cit,P 200 .

(7) وليم سبنسر :المرجع السابق ،ص ص 76 .77.

(8) كاثكارت :مذكرات أسير الداي كاثكارت قنصل أمريكا في المغرب ،تر وتع وتق: إسماعيل العربي، الجزائر، د.و.م.ج، 1982م، ص 190 .

ومما سبق يمكن القول إن :

ـ منطقة الحوض الغربي للمتوسط خلال القرن الثامن عشر الميلادي عرفت وجود قوى سياسية كبرى تحكمت في علاقاتها مصالحها المختلفة،وحاولت كل واحدة منها فرض سيطرتها عسكريا، وإقتصاديا.

ـ تمكّن فرنسا من فرض نفسها كقوة كبرى في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ، بالرغم مما عرفته من إظطرابات داخلية وإنكسارات خارجية ،إلا أنها كانت مصمّمة على إحداث نوع من التوازن مع انكلترا في البحر الأبيض المتوسط،وترغب بالاستئثار لوحدها بالامتيازات في الجزائر عن طريق المعاهدات والمواثيق بما يحقق مصالحها بإستمرار .

ـ عرفت إسبانيا فترة عدم إستقرار سياسي في مطلع القرن الثامن عشر ،إلا أن ملوك آل بوربون إستطاعوا ولو جزئيا أن يعيدوا لها بعض من أمجادها وهيبتها في منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،إذ في عهدهم بدا وكأن الإمبراطورية الإسبانية السائرة في طريق الإنهيار ستسترجع قواها ومكانتها في المنطقة.

. عرفت الجزائر خلال حكم الدايات الإستقلال الفعلي عن الدولة العثمانية ،فقد كان الداي عبارة عن حاكم مستقل له مكانته وميزته بين الملوك والحكام ،وهو الذي يعقد المعاهدات باسم الجزائر،ويعلن الحرب ويستعمل العملة الخاصة بالجزائر وغيرها من مظاهر السيادة.

. ظلّت العلاقات الجزائرية الفرنسية طيلة القرن الثامن عشر ميلادي تتأرجح بين السلم والتوتر إلى أن سادها السلام والوفاق الفعلي ،إنطلاقا من معاهدة 1689م التي وضعت معالم أساسية للسلم والتعاون بينهما ،حيث إستمر العمل بها طيلة القرن الثامن عشر.

. ظلّت العلاقات الجزائرية الإسبانية متوترة، وغلب عليها طيلة ثلاثة قرون العداء الصريح والصراع الدائم ،وذلك بسبب تمسك إسبانيا بإحتلال وهران والمرسى الكبير اللذان كانا حجر عثرة في عملية السلام بين الدولتين .

. يتفق أغلب المؤرخين المهتمين بتاريخ الجزائر العثمانية أنه بتولي الداي محمد عثمان باشا الحكم في الجزائر شهد عهده إستقرارا داخليا ،وإزدهارا إقتصاديا ،وإنتظاما في السياسة الخارجية ، لم تعرفه الجزائر طيلة حكم الدايات الذين سبقوه،ولعل بقاءه مدة خمس وعشرين سنة في الحكم دليلا على ذلك.

الفصل الثاني :

العوامل المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا

المبحث الأول: العوامل الداخلية

المبحث الثاني : العوامل الخارجية

تمهيد

تعتبر فترة النصف الأخير من القرن الثامن عشر ميلادي من أهم الفترات التي أحدثت تغيرا كبيرا في تاريخ منطقة حوض غرب البحر الأبيض المتوسط عامة، وفي الجزائر بصفة خاصة، والتي تمثل فترة حكم الداي محمد عثمان باشا، فالعلاقات الجزائرية الأوربية في هذه الفترة كانت أكثر تعقيدا حيث تحكمت في مسارها العديد من العوامل منها ما هو داخلي ومنها ماهو خارجي.

لذا فإن هناك عدة عوامل أثرت في علاقات الجزائر الخارجية مع دول أوربا الغربية وبخاصة فرنسا وإسبانيا ،كما تحكمت فيها الظروف التي شهدتها أوربا من ناحية، وبالوضع الداخلي للجزائر خلال عهد الداي محمد عثمان باشا، إضافة إلى الأنشطة التي كانت تمارس في البحر المتوسط سواءا نشاط القرصنة أو المبادلات التجارية.

إذ سعى الداي محمد عثمان باشا منذ توليه الحكم الحفاظ على الإستقرار الداخلي للجزائر والاهتمام بتقوية دفاعاته ضد الأخطار الخارجية ،وتعزيز مكانتها التجارية ،فكانت سياسته تهدف إلى إسترجاع مكانة الجزائر وهيبتها كقوة فاعلة في الحوض الغربي للمتوسط .

ولنا أن نتساءل :ما هي أبرز العوامل التي أثرت في العلاقات الخارجية للجزائر مع فرنسا وإسبانيا خلال عهد الداي محمد عثمان باشا؟

المبحث الأول :العوامل الداخلية المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية

تولى محمد عثمان باشا الحكم في الجزائر في ظروف صعبة ومعقّدة ورثها عن الدايات الذين سبقوه ،مما جعله يقوم بجملة من التدابير والاجراءات لتحسين وضع الجزائر الداخلي، ومواجهة التحديات الخارجية ،لاستعادة الجزائر مكانتها في المنطقة ،وهذا ما ترك بصمته على مسار العلاقات الخارجية للجزائر ،ويتضح ذلك من خلال :

أ) ظروف توليه الحكم :

واجه الداي محمد عثمان باشا مجموعة من المشاكل التي وقفت أمام طموحاته ،ومنها :

1 . تمرد الإنكشارية :

إن من أبرز المشاكل التي كادت أن تعصف باستقرار الإيالة الجزائرية ،هو الصراع و التنافس الحاد بين قوات الإنكشارية ورياس البحر ،حول مسألة تعيين الباشا ، مما انجر عنه حالة من الفوضى والاضطراب ،وأصبحت كل من القوتين تسعى لإسترجاع مكانتها ونفوذها.

فالقوات الانكشارية لعبت دوراً كبيراً في الحياة السياسية للجزائر، فكانت منذ بداية وجودها بالجزائر متورطة في المؤمرات على الحكام، فكانت الإنكشارية تولي من تشاء وتغتال من تشاء ،فانحرفت بذلك على مسارها وكانت سبباً في فقدان الاستقرار السياسي بالجزائر[1].

ولما تولى الداي محمد عثمان باشا منصبه أخذ يقلل من عدد الإنكشارية ويعمل على تنظيمهم للحد من تمرداتهم المتكررة ،فمنعهم أولا من التجول بالسلاح في مدينة الجزائر، كما شدد عليهم إطاعة أوامره طاعة تامة[2] .

---

(1) عائشة غطاس وأخريات: المرجع السابق ،ص 88 .

(2) بلبروات بن عتو :المرجع السابق، ص 92 .

وقد شهدت بداية حكم الداي محمد عثمان باشا العديد من المؤمرات والتمردات، والتي فجرتها صرامته ،فبعد شهرين فقط على توليه منصب الداي حتى حدث تمرد إنكشاري في 11 أفريل 1766 م فتعامل معهم بقوة وحزم ، حيث تم قتل سبعة من المتمردين ،وفر ثلاثون منهم إلى بلاد القبائل [1] ،وفي شهر جوان 1766 م قامت الإنكشارية بمحاولة قتل الداي ،وكان ذلك أمام جامع التل ،إلا أن المحاولة باءت بالفشل،وقبض على المتآمرين الذين كان عددهم ثلاثة عشر شخصا وتم قتلهم جميعا، وفي شهر أكتوبر عام 1766 م أجتمع الإنكشاريون بالقرب من رأس الخزان محاولين إعلان العصيان، إلا أن الداي محمد عثمان أمر بهاجمتهم مباشرة فقتل أربعة منهم ؛وأخمد العصيان[2].

وكان هذا التمرد العسكري المتكرر مدعاة لأن يقرر الداي محمد بن عثمان عام 1766م، لأول مرة في تاريخ الحكم العثماني بالجزائر ، منع دخول الأشخاص المسلحين قصر الداي ؛وتفتيش كل من يقصد القصر ما عدا ضباط الحكومة وضباط حراس القصر (السراي) ؛ويمثل هذا الإجراء حماية للدايات الذين كانوا يقتلون في مضاجعهم ،ووضع حدا للإنكشاريين الذين ألفوا إحداث التغيرات داخل القصر[3] .

2. العجز المالي :

واجه الداي محمد عثمان باشا في بداية حكمه مشكلة العجز المالي الذي تعاني منه خزينة الإيالة بسبب سياسة الإنفاق الكبيرة إنتهجها الداي بابا علي ،ويؤكد أحمد الشريف الزهار ذلك بقوله :« لقد ترك بابا علي الخزينة خاوية تقريبا للداي الجديد لأنه أفرغها في إغناء زوجته وأولاده...»[4].

حاول الداي محمد عثمان باشا تنظيم الأمور وإتباع سياسة تقشف عبر التقليل من النفقات العامة، حيث عرف عنه اهتمامه وحرصه الشديد في اغناء الخزينة فزاد من قيمة الأتاوات المفروضة على الدول الأوربية التي تسعى لعقد إتفاقية مع الجزائر ،كما نشط الحركة التجارية بالجزائر،وزاد من الغنائم البحرية، وذلك بتنشيط الجهاد البحري ضد أعدائه وسوف أقوم بتفصيل سياسة الداي محمد عثمان باشا التجارية في المبحث الثاني من هذا الفصل .

---

(1) مبارك بن محمد الميلي :المرجع السابق ،ص 227 .

(2) عزيز سامح إلتر :المرجع السابق ،ص 523.

(3) Venture de Paradis: Op.cit p 199 .

(4) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق ، ص 17.

3. الكوارث الطبيعية:

من التحديات التي واجهت الداي محمد بن عثمان باشا خلال فترة حكمه للجزائر وقوع بعض الكوارث والأوبئة كان لها أثر سلبي على الأحوال الإقتصادية في البلاد، كما حدث في عام 1766م حين شهدت الجزائر حدوث فيضانات وكوارث بحرية [1]، كما شهدت الجزائر خلال سنتي (1778 م 1779م) زحف أسراب الجراد على المناطق الزراعية، ما تسبب في حدوث مجاعة نتيجة تلف المحاصيل الزراعية، وخلال سنتي 1786ـ1787م إنتشر وباء الطاعون، ويعتبر هذا الوباء الذي ضرب الجزائر من أعنف موجات الطاعون التي شهدتها، إذ خلف 16712 قتيل في مدينة الجزائر لوحدها[2] ،كما تسبب في موت ثلثي سكان مدينة عنابة ،فسوء الحالة الصحية التي إزدادت تدهورا، والتي أثرت سلبا على السكان، وتركت أثارا سيئة على وضعهم الإجتماعي ،فتناقص عدد سكان المدن، والأرياف، كما تناقص عدد التجار و ندرة الحرفيين والصناع ،ويعود سبب سوء الحالة الصحية إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة ،وذلك لصلة الجزائر بعالم البحر المتوسط ،وانفتاحها على الأقاليم المجاورة وعلاقتها بالدول الأوربية ،ومما زاد في سوء الحالة الصحية أن الحكام كانوا لا يهتمون بأمور الصحة، ولم يتخذوا إجراءات وقائية ضد الأمراض ،فلم يفرض أي حاكم الحجر الصحي على السفن أو الأشخاص باستثناء محاولة صالح باي قسنطينة عام 1787م حين فرض حزاماً صحياً حول عنابة[3].

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة،ج 2 ،م.و.ك، الجزائر ،1988م،ص127 .

(2) أرزقي شويتام :المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني،دار الكتاب العربي، الجزائر،2009،ص ص 414411.

(3) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي:المرجع السابق،ص 88 .

ب) سياسة الداي محمد عثمان باشا الداخلية :

1 . طريقة إختيار رجال الإدارة :

وفق الداي محمد عثمان باشا في اختيار رجال الدولة الأكفاء سياسيا وعسكريا وإداريا ، إذ قلدهم المناصب العليا سواء على مستوى البايلكات الثلاث،أو على مستوى بلاط حكومته ،إيمانا منه أن مشروع إنعاش الإيالة الجزائرية يتطلب قيادات مقتدرة وذكية وشجاعة [1]،وقد أشار إلى ذلك الشريف الزهار بقوله:« فقد كان يولي من يستحق الولاية ويعزل من يستحق العزل ...» [2] ، ومما يؤكد هذا قيامه بشنق الخزناجي عام 1787 م بعد شكوى باي الشرق صالح بن مصطفى ضده ، وثبوت سرقته لخاتم الرسالة الباشوية وخرقه لتعليمات الداي القاضية بمنع تصدير الحبوب للوكالة الإفريقية الفرنسية بعنابة [3] ، ونصب مكانه وكيل الحرج (قائد البحرية) حسن بن علي الذي أصبح فيما بعد دايا للجزائر ،كما ذكر أيضا أنه نفى وكيل مصاريف القصر مع أعوانه إلى خارج البلاد بسبب الشكاوي المقدمة ضدهم. [4]

وعلى صعيد بايلكات الإيالة الثلاثة ،فقد عين محمد عثمان باشا رجالاً أكفاء كان لهم الدور الإيجابي في بناء الدولة الجزائرية الحديثة ومنهم :

1- **صالح باي قسنطينة**:هو صالح بن مصطفى ولد في أزمير حوالي 1725م،وجاء إلى الجزائر سنة 1741م ،وظهر في حامية الباي أزرق عينه سنة 1756 م[5]،عمل بقسنطينة ،وشارك في الحملة على تونس فأظهر كفاءة عالية،فعينه الباي أحمد القلي خليفة له في 1765م[6] ،ولما توفي القلي عينه الداي محمد عثمان باشا بايا على إقليم الشرق الذي كانت مدينة قسنطينة عاصمة له ، وذلك سنة 1771 م ،فكان الحاكم الأكثر لفتا للإنتباه بين كل حكام قسنطينة.

---

(1) بلبروات بن عتو :المرجع السابق،ص 90 .

(2)أحمد الشريف الزهار: المصدر السابق، ص 23 .

(3) Venture de Paradis:op.cit p 197 .

(4) عزيز سامح إلتر : المرجع السابق ، ص 523 .

(5) فاطمة الزهراء قشي :قسنطينة في عهد صالح باي البايات ،منشورات ميديا بلوس،قسنطينة ،2005 ،ص 119 .

(6)صالح عباد : الجزائر خلال الحكم التركي1514 . 1830 ،ط2،دار هومة،الجزائر،2007،ص 176.

كان صالح باي محاربا وإداريا،وقد أخضع العديد من القبائل الثائرة على الحكم العثماني ،كما أولى صالح باي إهتماما كبيرا بالمجال الإقتصادي عامة والفلاحة خاصة،فجعل من الشرق المنطقة الأولى في الإنتاج الزراعي،بالإضافة إلى اهتمامه بالناحية الثقافية والعلمية فأنشأ المدارس والمساجد كانت له مآثر عمرانية عديدة ،إستمر صالح باي في الحكم مدة طويلة قدرت بواحد وعشرين سنة إلى أن تم عزله ثم قتله سنة 1792م بأمر من الداي حسن [1]، ولقد اشتهر بالصلاح والإصلاح ،والشجاعة وحسن التدبير والتسيير الحكيم لشؤون الرعية ،وتميز صالح باي بالخدمة والوفاء لولي نعمته محمد عثمان باشا[2]، وبقي طيلة أيام حكمه محافظا على ولائه وطاعته، ومشاركا مشاركة فعالة في جميع حروب الجزائر ،وكانت فترة حكمه في الناحية الشرقية عهد نهضة ورخاء ،وإليه يرجع الفضل في ضم بلاد الجنوب الجزائري إلى سلطة الديوان،وقد نال لقب باي البايات .

2ـ **محمد الكبير باي الغرب**[3] :ويسمى محمد الأكحل لأنه كان أسمر اللون ،كما يلقب بالكبير ،وهو محمد بن عثمان الكردي ،عينه الباي إبراهيم سنة 1768م خليفة له[4]،وشارك في التصدي لحملة أوريلي ،وبعد وفاة الباي حاج خليل عام 1778م عينه الداي محمد عثمان باشا على رأس بايليك الغرب[5]، لما توسم فيه من الحزم وحسن التدبير ،وإثر توليته شرع محمد الكبير في إثبات قدرته على تسيير البايليك ،فأولى إهتمامه بالأمور العسكرية والإدارية على حد سواء ،عمل سنوات حكمه الأولى على مواجهة وباء الطاعون الذي ظهر عام 1786م ومواجهة المجاعة التي عمت الناحية الغربية، وذلك بشراء القمح من أوربا وتوزيعه على سكان مقاطعته مجانا[6]،كما

---

(1) ناصر الدين سعيدوني: ورقات جزائرية دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط2،دار البصائر ،الجزائر 2009،ص250.

(2) فاطمة الزهراء قشي :المرجع السابق،ص 88 .

(3)للمزيد حول الباي ينظر:بلبروات بن عتو :"الباي محمد الكبير ،باي وهران،حياته وسيرته"/في/ مجلة عصور عن مخبر المصادر والتراجم بجامعة وهران ،العدد 3 ،جوان 2003 .

(4) فتيحة الواليش :الحياة الحضرية في بايليك الغرب خلال القرن الثامن عشر ،رسالة ماجستير (غ.م)،جامعة الجزائر،الجزائر ،1993/ 1994 ،ص 26 .

(5) الأغا بن عودة المزاري :المصدر السابق،ج1،ص 290 .

(6) صالح عباد: المرجع السابق، ص 174 .

أعفى الفلاحين من دفع الضرائب ،وبالاضافة إلى توسيع نفوذ الأتراك في الناحية الغربية فقد أخضع عدة قبائل وأرغمها على دفع الضرائب المقررة عليها ،مما أدى إلى ارتفاع واردات البايليك المالية،كما قام بانجازات حضارية هامة شملت مدناً عديدة من مدن بايليك الغرب فأعاد تشييد وهران وتنشيطها[1]،وكانت صلاته الودية متينة مع الباشا محمد عثمان باشا، وباي التيطري وباي قسنطينة[2] ،أما مآثره الكبرى وسيرته الخالدة فهي في محاربة الإسبان بوهران، والتضييق عليهم حتى تمكن من الإنتصار عليهم وفتح مدينة وهران في 29 فيفري 1792م[3]، ونقله لمقر البايليك إليها إلى أن توفي عام 1796م.

وفي بايليك التيطري وعاصمته المدية فقد عين الداي محمد عثمان باشا مصطفى بن سليمان الملقب بالوزناجي سنة 1774م[4] ،و استمر هو الأخر في قيادة البايليك وتسيير شؤونه إلى أن عزله الداي حسن سنة 1792 م ،وقد عرف الوزناجي بشخصيته القوية وشجاعته وصلاحه .

وهكذا قاد الداي محمد عثمان باشا الجزائر رفقة فريق سياسي منسجم كان الخزناجي حسن ،وأغا العرب علي، والباي صالح والباي الوزناجي ، والباي محمد الكبير أبرز شخصياته ولم تذكر المصادر أن أحدا منهم قد حاول الإنقلاب أو التمرد على الداي ، بل أبدوا له الطاعة والولاء .

---

(1) فتيحة الواليش :المرجع السابق ،ص ص 28.27 .

(2)أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 142.

(3)من المصادر التي تحدثت عن فتح وهران الثاني :محمد بن علي بن سحنون الراشدي:الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني،تح وتق المهدي البوعبدلي،وكذا أبو راس الناصري :عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ،وأبو عبد الله بن عبد الرحمان المعروف بإبن زرفة :الرحلة القمرية في السيرة المحمدية، تح: مختار حساني.

(4)بلبروات بن عتو :المرجع السابق،ص 91.

2 . مواجهة تمرد القبائل :

مع مطلع القرن الثامن عشر اتبع الحكام الأتراك سياسة ترمي إلى مد نفوذهم إلى الجهات الداخلية ،واخضاع القبائل الجزائرية الممتنعة عن دفع الضرائب ،وقد اتبعوا في ذلك أسلوبا عنيفا ما تسبب في حدوث الاضطرابات واندلاع الثورات في أغلب جهات الأيالة ،وهذا ما يدفعنا للقول بأن تلك الثورات لم تكن لها أي طابع وطني أو هدف تحرري ،وإنما كانت مجرد رد فعل على سياسة الحكام على المستوى المركزي أو على نطاق البايليكات [1].

واجه الداي محمد عثمان في بداية حكمه حركات تمرد واسعة شنتها بعض القبائل الثائرة أبرزها قبيلة فليسة[2] وكان ذلك سنة 1767م، والتي أعلنت العصيان على حكم الداي برفضها دفع الضرائب بحجة القبض على أحد أفرادها من طرف قائد سباو ،ولم يتوقف سكان فليسة عن دفع الضرائب بل عملوا على اخضاع القبائل المجاورة لهم ،والتي كانت تعترف بالسلطة المركزية ، فواجههم الداي محمد عثمان باشا بتكليف أغا العرب ليقود حملة من ألفا ومائة رجل من الإنكشارية والسبائهية والسير نحوهم ،لكن هذه الحملة فشلت في إخضاع القبيلة فشلا ذريعا حيث فقدت ما لا يقل عن ثلاثمائة رجل في صفوف الجيش العثماني ، وبعد عودة العساكر مهزومين ،عمد الداي إلى شنق أغا الإنكشارية ،حيث اتهمه بالخوف والجبن جراء اختياره التراجع أثناء المعركة ،وقد خلفه خوجة الخيل المسمى الوالي [3].

جهز الداي محمد سنة 1768م جيشا ضم قوات من الجزائر وقسنطينة والتيطري وبايليك الغرب والتي تجمعت في شمال جبل فليسة وحاول الجيش العثماني إقتحام الجبل لكن قبيلة فليسة ومن ناصرها من قبائل جرجرة قاومت وصمدت أمامه،فتشتت القوات العثمانية في بلاد فليسة الصعبة التضاريس،والإستسلام للهزيمة بعد كارثة تجسدت في مقتل ألف ومائتي جندي إنكشاري ،وثلاثة آلاف مقاتل مخزني مع ضياع أسلحتهم ،وأمام هذه الخسائر الكبيرة جنح الجيش العثماني إلى السلم.[4]

---

(1) ناصر الدين عيدوني والمهدي بوعبدلي:المرجع السابق ،ص 37 .

(2) توجد هذه الناحية بسفح جبل بوزقزة،قرب ثنية بني عائشة ،قبالة مدينة الجزائر،وعلى نحو 40 كيلومتر منها.

(3) صالح عباد : المرجع السابق،ص 166 .

(4) نفسه،ص 167.

وفي عام 1769م شكل الداي قوة جديدة وأرسلها لقتال القبائل الثائرة ،ولكنه أمر قادته بتفادي التوغل والإشتباك معهم وجها لوجه ، بل التخفي والإستقرار في المواقع المنتشرة بينهم ،حيث فرض حصار على القبائل من خلال نصب مراكز عسكرية على مرتفعاتهم ، وتمكنت بذلك القوات النظامية من قطع المؤن عن القبيلة ، فانتشر الجوع في صفوفهم ودب الخلاف بينهم[1] ، وفي نفس السنة حصل إتفاق على شروط السلم بين الحكم العثماني والقبائل الثائرة ، بموجبه تدفع قبائل فليسة ضريبة سنوية قدرها مائة ريال بوجو إلى قائد سيباو وبالمقابل لا تتدخل السلطات العثمانية في شؤون قبائل فليسة الداخلية[2] .

كما كانت قبيلة أولاد نايل في حالة تمرد على سلطة باي التيطري ،فامتنعت عن دفع الضريبة عدة سنوات ،فحاول الباي عثمان اجبارهم على الدفع ،إذ نظم حملة ضدها غير أنه قتل أثناء الحملة ،فنظم الباي صفطة سنة 1772م[3] حملة ضد القبيلة لكنها فشلت وقتل الباي فيها أيضا مما تطلب تدخل صالح باي الذي نظم حملة قوية ضد القبيلة وانتصر عليها ،وجمع الكثير من الغنائم في أكتوبر 1773م وبعث إلى الداي محمد عثمان باشا بستين رأسا من رؤوس أولاد نايل [4].

كما واجه الداي محمد بن عثمان في نهاية حكمه تمرد أخر في بلاد القبائل ، ففي سنة 1790م بلغ مسامع الداي أن شيخا بضواحي بجاية ،يحرض القبائل للإمتناع عن دفع اللزمة للحكم العثماني ،المقدرة بثلاثين بوجو سنويا ؛فوجه الداي محمد قوة عسكرية من الجيش الإنكشاري لقمع العصيان ؛ قوامها مائة ألف مقاتل عثماني تحت قيادة باي التيتري مصطفى الوزناجي ،وانتهت المعركة بإنتصار الشيخ الثائر ، فوجه له الداي محمد بن عثمان قوة عسكرية ثانية متكونه من اربعمائة مقاتل إنكشاري ،لكن دون جدوى ،فعاود الكرة للمرة الثانية دون فائدة أيضا ، ولم يحسم النزاع إلا بطرق سلمية حيث وقع الإتفاق على إعفاء القبائل الثائرة بضواحي بجاية من تأدية اللزمة السنوية [5] .

---

(1) مبارك بن محمد الميلي :المرجع السابق ،ص 235 .

(2)صالح عباد :المرجع السابق ،ص 167 .

(3) بلبروات بن عتو : المرجع السابق،ص 94.

(4) صالح عباد : المرجع السابق ،ص 168.

(5) بلبروات بن عتو: المرجع السابق،ص 94.

3. تنظيم الجيش[1] :

لقد أرغمت الضرورة العسكرية ،وحركة الجهاد ضد الأخطار الأجنبية، وبخاصة الخطر الإسباني، الداي محمد عثمان باشا على الاهتمام بالجانب العسكري ،فمنذ توليه الحكم اشتدت على الجزائر غارات الأوربيين، فعمل على تقوية الجيش وتجهيزه، و الأخذ بأسباب القوة حتى تصبح الجزائر بمأمن من الاعتداءات الخارجية ، فبدأ بتعزيز الجيش بالأسلحة والعتاد الدائم.

وكان اهتمامه بالأسطول البحري واضحا،فدعمه بالرجال والأسلحة والمراكب الجديدة ،فهو أول من أدخل للبحرية الجزائرية نوع جديد من المراكب يدعى اللنجور[2] ،وانشاؤه لأثني عشر مركبا حربيا من نوع جديد،وادخاله عدة اصلاحات في النظم الحربية، ففي عهده تطور الأسطول البحري [3]وازدادت عدد سفنه لترتفع من 14 قطعة عام توليه الحكم سنة 1766م إلى 70 قطعة سنة1791م منها 7 شبك ذات 12 إلى 30 مدفعا و3 ذات 40 إلى 50 مدفعا و10 من نوع اللنجور و50 زورقا من نوع شالوب كانت في طور البناء وهي مختلفة الأشكال والأحجام[4].

وبرز في عهد الداي محمد عثمان باشا عدد من الرياس والقباطنة البحريين حازوا شهرة عالمية أمثال :الرايس حميدو والرايس الحاج محمد ،والرايس الحاج سليمان والرايس ابن يونس ،والرايس ابن زرمان ،وحسب رواية الزهار فإن الرايس الحاج محمد أسر خلال غزواته البحرية المختلفة حوالي 24 ألف رجل [5] ،وقد أشار الزهار إلى ذلك بقوله: «كان استعداده دائما للحرب وكان مغرما بتجهيز المراكب للغزوات ،وفي أيامه كثر الرؤساء في البحر وكانت لمراكبه سمعة ....»[6]

---

(1)للمزيد عن الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ينظر: حنيفي هلايلي : بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني ،ط 1 ،دار الهدى ،عين مليلة ،الجزائر ،2007.

(2) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق ،ص 25 .

(3)للمزيد عن البحرية الجزائرية ينظر:

A Devoulx,:La marine de la régence d'Alger ,R AF ,T13;1869,p387.

_Moulay, Belhamissi :Histoire de la marine algérienne 1515-1830, E.N.A.L , Alger,1983P49.

(4) يحي بوعزيز: المرجع السابق ،ص211 .

(5) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق ،ص 35 .

(6) نفسه :ص 25.

كما اجتهد الداي محمد عثمان باشا في اقامة الحصون ،والثكنات العديدة كبناءه البرج الجديد عام 1774م ،وتجديده لبرج السردينة ،وكلاهما بميناء العاصمة القديم [1].

ولقد أدرك الداي محمد عثمان باشا ضرورة التسلح ،ففرض شروطه على الدول الأوربية التي كانت تسعى لعقد اتفاقية معه، وذلك بأن تكون الهدايا التي تقدم لهم عبارة عن أسلحة وذخائر حربية ،كما حدث ذلك سنة 1772م مع مملكة الدانمارك التي اشترط عليها تقديم بعض الأسلحة مقابل السلام فدفعت:أربع مدافع نحاسية وأربعمائة قنبلة وأربعين مدفعا وخمسمائة قنطار من مسحوق البارود وخمسين شراعا كبيرا، كما فرضت عليهم عدد من الأخشاب لصناعة المراكب[2]

كما استغل الداي محمد عثمان باشا حالة السلم مع بعض الدول الأوربية لزيادة التسلح فاشترى من انجليترا مجموعة من التجهيزات [3]، كما قدمت انجليتر إلى الجزائر مجموعة من التجهيزات الحربية كهدية في ظل الصداقة بين البلدين[4] ،وكانت كل من السويد والدانمارك وهولندا وانجليترا من اكثر الدول الأوربية التي كانت تزود الجزائر بكثير من التجهيزات البحرية لسنوات طويلة .

كما كان من عادة الدولة العثمانية أنها ترسل إلى الجزائر بعض التجهيزات الحربية وسوف أفصلها في المبحث الثاني من هذا الفصل ضمن سياسة الداي محمد عثمان باشا تجاه الدولة العثمانية.

وعليه، فإن سياسة الداي محمد عثمان باشا الداخلية، وخاصة العسكرية منها ساهمت ولو بشكل جزئي في اعادة بعض من أمجاد البحرية الجزائرية ،وهيبة الجزائر الدولية التي اندحرت أمام تحصيناتها المحكمة الحملات العسكرية الأوربية المتتالية ،فعملية التسلح هذه كانت من أبرز العوامل المؤثرة في مسار علاقات الجزائر الخارجية .

---

(1) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق ،ص25 .

(2) Grammont(H.d.de), Histoire d'Alger,Op.cit,p256.

(3) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق،ص 157.

(4) نفسه :ص 152 .

ج) دور القناصل الأوربيين [1] في توجيه العلاقات الجزائرية الأوربية:

1 . تعريف القنصل :

يرجع أصل كلمة قنصل "Consul" إلى اللغة اللاتينية ،وتعني مستشار،وقد استخدمت لأول مرة في العهد الروماني ،ثم أخذت تطلق على عدد من القضاة الذين ينظرون في المنازعات بشؤون التجارة والملاحة ،وكان يطلق عليهم القناصل المختارين "Consuls hospites ".[2]

وفي أوربا تم استعمال مصطلح القناصل التجار التي كانت مهمتهم مرافقة السفن التجارية والإشراف على شؤون البحارة والتجارة والفصل في منازعاتهم وأطلق عليهم قناصل البحر "Consuls de mer" .

دخلت كلمة قنصل التداول العربي فغالبا ما يكتب في الوثائق العثمانية بالجزائر بالسين قنسلو وأحيانا تكتب بالصاد ،وقد عرف ابن زيدون القنصل بأنه :«موظف تُعيّنه إحدى الدول في البلاد الأجنبية ...ولا سيما في الثغور لحماية رعايا دولته المقيمين والعابرين ... ».[3]'

ومن بين المصطلاحات الواردة ،والتي تطلق على القناصل ما كان يستعمل في المراسلات الإنجليزية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر ميلاديين ، حيث كان يطلق عليه "وزير الأمة في هذه الدولة " minister de nation en cette place "[4]

وهناك مصطلح آخر لكنه لا يرد إلا نادرا، وهو كلمة "بشدور" ،وهي كلمة دخيلة على العربية من الأصل الأجنبي "Ambassadeur" ،أي السفير المقيم مثل ما هو الشأن سفراء الدول الأوربية في القسطنطينية ،كما أن كثير من المؤرخين والكتاب يستعملون مصطلح القائم بالأعمال.

---

(1)للمزيد حول دور القناصل الأوربيين بالجزائر ينظر:بليل رحمونة :القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1514م إلى 1830م ،أطروحة دكتورة في تاريخ الجزئر الحديث والمعاصر ،(غ،م)، جامعة وهران ،الجزائر ،السنة الجامعية 2011/2010.

(2)عطا محمد صالح زهرة :أصول العمل الدبلوماسي والقنصلي ،ط1،الرباط ،1995، ص92.

(3)قدوري عبد المجيد :المغرب وأوربا ما بين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)،المركز الثقافي العربي ،بيروت،2000 ،ص 306.

(4) بليل رحمونة :المرجع السابق،ص 265.

2 . التمثيل الدبلومسي الأوربي بالجزائر :

شكّلت الدبلوماسية[1] الأداة الأساسية التي اعتمدت عليها الدول الأوربية في سياستها الخارجية منذ القرن السابع عشر ،وذلك لتحقيق مصالحها التجارية وبسط نفوذها في البحر الأبيض المتوسط[2] ، وذلك من خلال ربط علاقات دبلوماسية مع الدولة العثمانية والأيالات التابعة لها وبذلك استطاعت الدول الأوربية انتزاع حق الأمتياز من الباب العالي ،فكان القنصل أداة للتوغل داخل هذه الإيالات بحكم نشاطاته وتحركاته واحتكاكه المباشر بحكامها مكّنه ذلك من التعرف على الإيالات سياسيا وعسكريا واقتصاديا واجتماعيا.

ومنذ أن فرضت الجزائر سلطتها على البحر المتوسط، اعترفت معظم الدول الأوربية بهذه السلطة ،فأقامت معها علاقات تجارية ،ودبلوماسية تمثلت في ارسال مبعوثين عنها للجزائر يقدمون الهدايا والاتاوات[3] باعتبار أن تقديم الاتاوة كان بمثابة مفتاح العلاقات الجزائرية الأوربية.

فمنذ مطلع القرن السادس عشر نجد القناصل الأوربيين يتعاقبون على الجزائر ،إلا أننا لم نجد تمثيل قنصلي جزائري دائم في الدول الأوربية في حين نجد وكلاء وممثلين للإيالة الجزائرية في مناطق العالم الإسلامي ،كما هو الحال في تونس.

ويعود سبب إنعدام قناصل جزائرية في دول أوربا لإسباب عدة أهمها التضييق الأوربي على وصول الجزائريين إليها ،وكذا إعتماد حكام الجزائر على وكلاء وممثلين لمصالحهم كاليهود مثلا ،حتى أن الأوساط الفرنسية تتساءل لماذا لا تستغل الجزائر ما تخوله لها بنود المعاهدات الخاصة بتبادل التمثيل الدبلوماسي[4] .

---

(1)الدبلوماسية :كلمة يونانية الأصل مأخوذة من كلمة دبلومة Diploma ومعناها الوثيقة المطوية التي تعطي حاملها إمتيازات خاصة ،استعملت في اللغة الفرنسية كلمة Diplomatique التي تعني التفاوض والحوار للتوصل إلى أكبر قدر ممكن من المكاسب الإستراتيجية على حساب الخصوم، للمزيد ينظر:محمد شفيق غربال:المرجع السابق،مج1،ص 783 .

(2)مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق،ص 8.

(3)أبو القاسم سعد الله:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ط1، ش.و.ن.ت، الجزائر،1978،ص 170.

(4) بليل رحمونة: المرجع السابق ،ص 264 .

ويظهر أن المنافسة كانت حادة بين الدول الأوربية من أجل تعيين قنصل لها في الجزائر ،فأول قنصل أوربي بالجزائر كان فرنسيا وهو موريس صورون "Maurice Souron"[1]،وذلك بحكم العلاقات الفرنسية العثمانية الجيدة وقتذاك ،وكان في البدء ممثلا لجميع الأوربيين[2] ،وأمام نجاح فرنسا في إقامة قنصلية بالجزائر، ظهر الإنجليز على الساحة الدبلوماسية للمطالبة بامتيازات مماثلة والتي منحت لهم في عام1579 م وتم تعيين جون تيبتو "John Tiptou " للاشراف على المحطات التجارية الإنجليزية في الجزئر، إلا أن ذلك لم يمنع من وجود روح التضامن بين هؤلاء القناصل رغم الخلافات بين دولهم.

وخلال عهد الداي محمد عثمان باشا توسعت الهيئة القنصلية الأوربية في الجزائر لتشمل تقريبا أغلب الدول الأوربية التي تربطها علاقات سياسية وتجارية مع الجزائر، كما تحسنت ظروفهم ووضعيتهم مقارنة بأوقات سابقة، وبتوسع الهيئة القنصلية ازداد نشاط القناصل ،إذ نجد أن فرنسا وبريطانيا كانتا الأكثر إهتماما بالتمثيل القنصلي نظراً لما يجلبه من نفوذ تجاري وسياسي كبيرين[3].

وبشكل عام يختلف قناصل القرن الثامن عشر عن قناصل القرن السابع عشر في وضعهم ودورهم الذي يقومون به لصالح حكوماتهم ،فقد كانت لهم علاقات مباشرة بالدايات والأوساط الأخرى التي لها علاقة بمهامهم كالأسرى والتجار وغير ذلك[4]

وبإمكاننا القول، إنه لم يكن للإيالة الجزائرية آلة دبلوماسية تستخدمها لتحقيق مصالحها التجارية والسياسية على عكس الدبلوماسية الأوربية التي جعلت منها وسيلة لتحقيق أهدافها التي كانت تتمثل أساسا في فرض منطق التفوق والغلبة على العوالم الأخرى.

---

(1) يحي بوعزيز :المرجع السابق ، ص 101.

(2) مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق،ص 9 .

(3)جون ب وولف:المرجع السابق،ص 420.

(4)مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق ،ص 174 .

3. أثر نشاط القناصل الأوربيين بالجزئر على العلاقات الخارجية

لعب النشاط القنصلي الأوربي بالجزائر دورًا بارزًا في تفعيل علاقاتها الخارجية، وتوجيها في كثير من الأحيان لخدمة مصالح حكوماتهم ،وذلك من خلال المهام التي كان يقوم بها هؤلاء القناصل الأوربيين بالجزائر ،و التي كان لها التأثير المباشر على علاقات الجزائر بالدول الأوربية ،ويمكن حصر هذا الدور فيما يلي :

1. إفتداء الأسرى :

كانت مسألة تحرير الأسرى الشغل الشاغل للقناصل الأوربيين بالجزائر ومن أبرز نشاطاتهم ،وهي من أولويات الدول الاوربية [1]، إذا كان العديد من الأسرى اللاتينيين بالاضافة إلى الفرنسيين يستعملون خدمات مصالح القنصلية الفرنسية في تحريرهم[2] ،فكان القناصل يتولون مسألة التفاوض مباشرة مع سلطات الأيالة من أجل تحرير مواطنيهم، وذلك عن طريق الإفتداء الرسمي مثل ما قام به القنصل الإنجليزي بتحرير 7 أسرى أنجليز بمبلغ 700 بياسترة[3] ،أو عن طريق عملية تبادل الأسرى دون فدية كما جرى سنة 1775م حيث اطلق سراح 107 من الجزائريين كانو على متن سفينة حجزتها عمارة بحرية تابعة للبابا مقابل تحرير عدد مماثل من المسيحيين كانوا بالجزائر[4] ،كما كانت الوساطة الدبلوماسية تساهم في تحرير الأسرى ،مثل ما قام به السلطان المغربي محمد بن عبد الله بطلب من إسبانيا في شأن تبادل الأسرى مع الجزائر ،وبعد محاولات عديدة نجح رئيس البعثة المغربية أبو العباس الغزال في مهمته [5] .

---

(1)حنيفي هلايلي: أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى الجزائر،2008 ،ص 73.

(2)Michel Fontenay: Pour une géographie de l’esclavage méditerranéen aux temps modernes C.M ,N°02,2002, mis en ligne le 15 octobre 2004, Consulté le 28 janvier 2011. URL : http://cdlm.revues.org/index42.html,PP6_7

(3)بليل رحمونة :المرجع السابق ،ص 199 .

(4)نفسه :ص 203 .

(5) محمد الغزال :نهاية الإجتهاد في المهادنة والجهاد (رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس(1179-1180هـ/1766- 1767م) ،تح وتق: إسماعيل العربي ،ط1،دار الغرب الإسلامي،لبنان،1980 .

2 ـ حماية التجارة :

لم يقتصر عمل القناصل الأوربيين بالجزائر على تحرير الأسرى فقط ،وإنما ما هو أهم في السياسة الأوربية الخارجية ،وهو حماية المصالح التجارية من خلال احتكاكهم المباشر بحكام الإيالة الجزائرية باستغلال الإمتيازات التي تحصلت عليها بلدانهم في فترات زمنية سابقة، ولم يتوان القناصل في استعمال كل الوسائل والأساليب لحماية تجارة بلدانهم ،فكان دور القناصل فعالا في حماية مصالح بلدانهم،وأبرز مثال على ذلك القنصل الفرنسي فالبير[1] الذي عمل على حل المشاكل التي كانت تواجهها المؤسسات الفرنسية بالجزائر،وكان حرصه الشديد على تجديد وثبيت المعاهدات المبرمة لاسيما تلك الخاصة بالتجارة .

كما لعب القناصل ،وخاصة الفرنسيين منهم على حماية مصالح بلدانهم التجارية بالجزائر وذلك بابعاد كل من يشكل خطرا على مصالحهم ،كما حققت سياسة الهدايا القنصلية نوع من التقارب مع العناصر النافذة في الجزائر لحماية المصالح التجارية للدول الأوربية.

3ـ دورهم القضائي :

بالاضافة إلى الامتيازات التجارية والسياسية تحصل الأوربيون على استقلالية القضاء المسيحي عن القضاء الاسلامي وأول من تمتع به هو القنصل الفرنسي[2] ،كما تمتع بامتياز الوصاية في حماية مصالح الرعايا الأوربيين الذين ليس لهم قناصل يمثلونهم ، فأقيمت محاكم قنصلية لها الحق في الفصل في المنازعات بين الرعايا الأجانب والاشراف على شؤون ميراث الرعايا الأجانب ،وغير ذلك من الشؤون القانونية للرعايا الأجانب [3].

وبذلك فإن نشاط القناصل الأوربين بالجزائر كانت له آثار حاسمة وانعكاسات مباشرة على مسار العلاقات الخارجية للإيالة الجزائرية ،فضلا عن دورهم في الجوسسة لصالح حكوماتهم ،بنقل تقارير مفصلة عن شؤون الإيالة السياسية والعسكرية والاجتماعية وحتى الثقافية[4] ،ففي عام 1791م تقدم القنصل الفرنسي بالجزائر دي كيرسي" De KERCY "[5] بمشروع لحكومته يدعوها فيه إلى ارسال حملة برية لاحتلال الجزائر .

---

(1) بليل رحمونة :المرجع السابق ،ص 228 .

(2) نفسه :ص 248 .

(3) جمال قنان :المرجع السابق،ص 69 .

(4) يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 104 .

(5) دبلوماسي فرنسي شغل وظيفة قنصل بلاده بمصر ،ثم عين قنصلا عاما بمدينة مورا باليونان،ومنها إنتقل إلى الجزائر ليقيم بها حتى نهاية عام 1790 م.للمزيد ينظر :جمال قنان:المرجع السابق ،ص 19 .

المبحث الثاني :العوامل الخارجية المؤثرة في العلاقات الخارجية للجزائر

تولى محمد عثمان باشا الحكم، في ظروف دولية صعبة ميزها التنافس الأوربي للسيطرة على الحوض الغربي للمتوسط،وما ترتب عنه من تبعات كقضية القرصنة والأسرى ، والتي كان لها التأثير المباشر على العلاقات بين ضفتي المتوسط، هذا ما إنعكس بشكل واضح على سياسة الدي الداخلية وعلى مسار علاقاته الخارجية ،ويتضح ذلك من خلال :

أ) سياسة الداي محمد عثمان باشا الخارجية

1. تنظيم علاقاته مع العالم الإسلامي :

1ـ الدولة العثمانية :

بالرغم من أن دايات الجزائر استطاعوا انتزاع الاستقلال الذاتي عن الباب العالي ،منذ عهد علي شاوش،إلا أن الداي محمد عثمان باشا لم يحدث القطيعة النهائية مع الدولة العثمانية ،فكانت علاقاته مع الباب العالي علاقة تبادل مصالح ومنافع وتضامن في مواجهة العدو المشترك ، وبالرغم من أن الدول الأوربية كانت تتعامل مع الجزائر على أساس أنها ولاية عثمانية ،فكانت ترسل سفراءها إلى عاصمة الدولة العثمانية وترسل قناصل إلى الجزائر،وحتى أن الدولة العثمانية كانت تعتبر سكان الجزائر من رعاياها ،إلا أن السلطة الحقيقية كانت بيد الداي فهو الذي يعقد الإتفاقيات مع بلدان أخرى دون الرجوع إلى السلطان [1].

وتجلت مظاهر التبعية في عهد الداي محمد عثمان باشا في تبادل الهدايا بين الداي والسلطان ، وقد كانت هدايا معتبرة ومتنوعة ، تشتمل على مواد صناعية وذخيرة حربية [2].ففي سنة 1179هـ/1766 م[3] أرسل الداي محمد عثمان باشا هدية للسلطان مصطفى الثالث مع أحمد خوجة تتمثل في :40زربية من زرابي الصجراء و15 غطاء و10بنادق و10جرابات لوضع الرصاص

---

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق ،ص 15.

(2) صالح عباد :المرجع السابق،ص 277 .

(3) أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 150 .

و10مناطق للسيوف و10بأزواج فرود و10صناديق من الذهب والفضة لوضع البارود و50حزاما حريرا و150 شكارة من الحرير المطرز بالذهب لوضع الدخان و20حائكا أحمر و20 حائكا ورقليا احمر و33 حائكا ورقليا أبيض و75 سبحة من المرجان وسبحة من العاج خاصة لجلالة السلطان وسبحة من العنبر خاصة للسلطان و20دزينة من الشواشي التونسية و36 حائكا مصبوغا و10حياك خفيفة للسيدات و50من العبيد الكفار وساعة مرصعة وخاتم بفص من الألماس وزنجيان خصيان ونقود مسلمة عينا 7140 سلطاني (417333 فرنك حاليا)[1].

و في يوم 15 رجب 1180هـ /17 ديسمبر1766 م أرسل السلطان العثماني إلى الداي محمد عثمان باشا التجهيزات التالية كهدية على متن سفينة هولندية :8 مدافع أربعة حديدية وأربعة نحاسية ،أثنان من نوع الهاون (موريتي)عيار 200 واثنان عيار 100 واثنان عيار 32 واثنان عيار 14 و19 صاريا كبير و38 صاري صغير و250 مجذاف و250 عود للحمالين و22 عودا لدفة السفن و60 عجلة للمدافع و200 مجذاف كبير و1577 قنبلة للمدافع و100 قنطار من العلك اليابس(الصمغ العربي)[2].

وفي يوم 25 شوال 1180 هـ /26 مارس 1767 م ،وصلت إلى الجزائر سفينة فرنسية تحمل من إستنبول هدية من السلطان إلى الداي محمد عثمان باشا وهي:10 قطع من الخشب ،و6مراسن للسفن و26 قاعدة للسفن و193 مجذافا كبيرا و3030 رطلا من حديد و500قنبلة و22 صاريا و87 قاعدة خشب و250 مجذافا صغيرا و2000 منفذ و3715 رطل من القنب لصنع الحبال و2540 قنطارا من مسامير الحديد و150 برميل من العلك [3].

---

(1)أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 150 .

(2) يحي بوعزيز :المرجع السابق،ص 167.

(3) نفسه :ص ص 167. 168 .

وفي يوم 25 شوال 1180هـ أيضا وصل سفينة سردينية تحمل بقية هذه الهدية وهي :45670رطل حديد و7000 رطل مسامير نحاس و17880 رطل قصدير و145 قاعدة مدفع من الخشب و3000 منفذ و50 قربة من الزفت أو القار المعدني. [1]

ولما تولى السلطان عبد المجيد أرسل في 5 رجب 1198هـ-1784م هدية إلى الجزائر تسلمها الحاج مصطفى خوجة وهي:500 قنطار نحاسا و18عودا مثلثا لصواري المؤخرة و6صواري كبيرة و104 قواعد للمدافع و500 قنطار من أسلاك الحديد و200 قنطار من القار المعدني (الزفت) و452 مجذاف و205 اعواد للحمالين و538 قنطارا من البارود و200 قنطار من العلك [2].

كما أرسل في 2 شوال 1199هـ/1785 م هدية للجزائر وتسلمها سليم أغا وهي : 450 قنطار من البارود و300 قنطار رجينة (علك) و200 يد بندقية و17 عودا مثلثا لصواري الؤخرة و50 مجذافا و50 قنطارا نحاسا و20 ألف قنبلة و10 مدافع .[3]

وبالمقابل نجد ان الداي محمد عثمان باشا قد أرسل هدية للسلطان العثماني عبد المجيد يوم 6 شوال 1189 هـ حملها وكيل حرج البحرية حسن وهي :52حزاما حريرا و60 سبحة من المرجان و60 سبحة من العاج و2 سبحات من العنبر و22 غطاء من الصوف الرطب و10مناطق للسيوف و10 فرود و10 مكاحل و10 صنادق لوضع البارود و10 جرابات لوضع الرصاص و10 ساعات وخاتم لجلالة السلطان و60 حايكا حريرا و30 حايكا أحمرا بسكريا و10 حياك للسيدات من صنع المغرب و50 حايكا أحمر و60 زربية من الصحراء و15 من السباع و10 زنجيات و16 زنجيا مماليك و70 مملوكا من الأسارى المسيحيين.[4]

---

(1)يحي بوعزيز : المرجع السابق،ص 168.

(2) أحمد توفيق المدني :المرجع السابق ،152 .

(3) نفسه.

(4) نفسه :ص 151.

كما تتجلى مظاهر الصداقة والتعاون بين الدولة العثمانية والجزائر في اشتراك الأسطول الجزائري في حروب الدولة العثمانية كما حدث في الحرب الروسية العثمانية 1768-1774 م، والحرب العثمانية الروسية والنمساوية 1788-1791م ، حيث طلب من الداي محمد عثمان باشا إرسال أسطول للإلتحاق بالإسطول العثماني في بحر إيجة للمشاركة في الحرب ضد التحالف النمساوي الروسي مقابل مكافأة البحارة المشاركين قدر شجاعتهم [1]، وفعلا تشكل أسطول بقيادة القبطان "مامي" يتألف من سبع سفن ، إنضمت إليه إثنتا عشرة سفينة من الأسطول العثماني ، وإتجهوا إلى البحر الأسود [2].

ولم يقتصر دور الجزائر عند هذا الحد بل عملت على تضييق تحركات السفن الروسية في المناطق المعتدلة، ومنع الأسطول الروسي من المرور على مضيق جبل طارق إلى مياه البحر الأبيض المتوسط لأن الدولة العثمانية في حرب مع روسيا ،وإسبانيا صديقة للباب العالي ، وبينهما صداقة ، ومعاهدة سلم ، وتملك أسطول قادرا على ذلك [3] .

أصبحت العلاقة بين الجزائر والدولة العثمانية إذن لا تتعدى في حقيقة الأمر نطاق المصلحة المشتركة ،في وقت أصبحت فيه الدول الأوربية تتعامل مع الجزائر على اعتبارها كيانا سياسيا مستقلا عن الباب العالي ،وتعتبر حكامها "الدايات " على أنهم رؤساء دولة مستقلة [4]،ومع ذلك فإن أغلب الدول الأوربية تلجأ في حل مشاكلها مع الجزائر أو تسهيل مصالحها إلى الباب العالي ليتوسط لهم عند حكام الجزائر ،فمسار العلاقات الجزائرية العثمانية يعتبر من بين العوامل المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية ،وخاصة الأوربية منها .

---

(1) عزير سامح إلتر:المرجع السابق، ص ص 549547.

(2) يحي بوعزيز: المراسلات الجزائرية الإسبانية ...،المرجع السابق،ص 134.

(3) بلبروات بن عتو: المرجع السابق،ص102 .

(4) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق ،ص 15.

2 ـ الإيالة التونسية :

بالرغم من أن الأيالتين كانتا تابعتين للدولة العثمانية ،فإن العلاقات بينهما كانت على جانب من الدقة والحساسية، ولم تكن ودية في كثير من الأوقات ،يسودها الحذر المتبادل ،وهذا نظرا للصراع على النفوذ بين حكام الإيالتين ،وإلى مشكلة الحدود التي كانت تؤدي في كثير من الأحيان إلى عمليات غزو واسعة [1].

إلا أنه في عهد الداي محمد عثمان باشا كانت سياسة حسن الجوار هي السمة البارزة على العلاقات بينهما ،لأن البايات الحسينيين الثلاثة محمد ،علي ،حمودة كانوا يتقيدون بالشروط التي فرضتها الجزائر على أولهم سنة 1756م،إذ أنه منذ هذه السنة كان باي تونس في حالة شبه تبعية لداي الجزائر ، وكانت الفكرة الرئيسية التي واكبت عهد حمودة باشا هي الخروج من تلك التبعية وإعداد العدة كما ينبغي لها. [2]

إن هيمنة الجزائر على تونس مكنتها من الحصول على موارد متزايدة في شكل هدايا من زيت ومال ،وشواشي ،وتحف ،وغير ذلك ومن فتح أسواق تونس في وجه الصادرات الجزائرية [3].

و فترة السلام هذه سمحت لتونس بأن تحقق إنتعاشا في مختلف جوانب الحياة ولاسيما الإقتصادية ،مما مكنها من توفير موارد للإنفاق بسخاء على المجالات العلمية في عهد الباي علي ،والعسكرية في عهد الباي حمودة باشا .

وبالرغم من إلتزام بايات تونس ،وتقيدهم في هذه الفترة بالشروط المفروضة عليهم إلا أنه قد نشب خلاف بين صالح باي قسنطينة وحمودة باشا تونس حول المهاجرين الجزائريين إلى تونس ،فتوترت العلاقات بين الواليين الحاكمين ،ثم إنجلى الموقف وسوي الخلاف بطرق سلمية كلفت تونس بتعويضات ضخمة قدمتها للجزائر [4].

---

(1) عمر بن خروف :"علاقات الجزائر السياسية مع تونس في عهد الدايات 1802-1246هـ /1671_1830م"/في/مجلة الدراسات التاريخية ، ع 10،الجزائر،1997،ص ص 391-403 .

(2)محمد خير فارس :المرجع السابق،ص 111 .

(3)ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ، ص ص 187-188 .

(4)عبد الرحمان محمد الجيلالي: المرجع السابق ، ص 267 .

ورغم هذه الحساسية السياسية كان التبادل التجاري قائما بين الإيالتين ، ولم تتأثر الروابط الدينية بين الشعبين حيث كان الحجاج يحطون رحالهم مؤقتا ،ويجتازون التراب التونسي ، ويشترون دون صعوبة [1] .

3 ـ المغرب الأقصى :

شهدت علاقات الجزائر مع سلطنة المغرب فترة هدوء ،وقد إستطاع حكام البلدين في هذه الفترة أن يلتزموا سياسة حسن الجوار ،والدليل عدم تورط الجارتين في مشاكل البلدين الداخلية والمطلع على المادة التاسعة من معاهدة 1767م بين فرنسا والمغرب ،والتي نصت على إلتزام فرنسا الحياد التام في حال وقوع حرب بين فاس والجزائر يلمح حذرا متبادلا حافظت عليه كلا الدولتين[2].

وقد أوردت المصادر أيضا أن الداي محمد عثمان باشا قد وافق سنة 1199هـ الموافق لـ 1784 .1785م على وساطة السلطان محمد بن عبد الله بن إسماعيل من أجل فك أسر قريبة ملك إسبانيا أثناء توجهها لزيارة ابن عمها حاكم نابولي في جنوب إيطاليا [3] .

وبالرغم من الخلافات بين البلدين إلا أننا نجد السلطان المغربي محمد بن عبد الله قد أشرف على عمليات تبادل بين الجزائر وإسبانيا بحكم علاقات الصداقة التي كانت تربطه معها ،كما أنه توسط لابرام الصلح بين البلدين ،بل أنه كان يبلغ الداي محمد عثمان باشا بكل الاستعدادات الإسبانية لتوجيه حملات عسكرية ضد الجزائر ،وهذا دليلا على سياسة حسن الجوار التي انتهجها حكام البلدين في هذه الفترة.

ويظهر جليا أن الخلافات المؤقتة لم تؤثر على النشاط التجاري ،والتبادل الثقافي بين البلدين حيث كانت تنطلق القوافل التجارية ،وقوافل الحجيج من فاس عابرة التراب الجزائري ناهيك عن هجرة العلماء والطلبة ،و مما ساهم في جلب الهدوء الذي ساد العلاقة بين الجزائر والمغرب الأقصى الباب العالي وذلك بحكم علاقته الوطيدة بسلطان المغرب محمد بن عبد الله الذي كان يهادن السلطان العثماني ويفك الأسرى المسلمين ويبدي إستعداده لمجاهدة أعداء الدولة العثمانية .

---

(1) عزيز سامح إلتر: المرجع السابق ، ص 498 .

(2) أبو العباس أحمد بن خالد الناصري: كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ـالدولة العلوية، تح وتع :جعفر الناصري ومحمد الناصري ، دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1956م، ج8 ،ص 58.

(3) ناصر الدين سعيدوني :"من أحداث بايليك قسنطينة في العهد العثماني ،نهاية صالح باي كما اثبتها أحد الكتاب القسنطينين"/في/مجلة التاريخ ،ع 18 ،الجزائر، 1985 ، ص ص 188.187 .

2 ـ تنظيم علاقاته مع دول وممالك أوروبا:

1ـ أنكلترا :

إن العلاقات بين انكلترا والجزائر قديمة، تعود إلى أواخر القرن السادس عشر ،حينما وجد البحارة الإنجليز في موانئ الإيالة الجزائرية ملجًأ آمنًا لهم ،فتكونت بذلك علاقات ودية بين الطرفين، إلا أنها ساءت بعد السلم الذي تم بين انجلترا واسبانيا واصبح البحارة الجزائريين يستهدفون سفنهم التجارية في عرض البحر.[1]

وطوال القرن السابع عشر عرفت العلاقات الجزائرية الإنجليزية تدهورا مستمرا حيث ظل الإنجليز يشنون حروبا على الجزائر[2] ،لكن بحلول القرن الثامن عشر عرفت العلاقات بين البلدين حالة من السلام نتيجة ما عرفته انجليترا من تغير جذري جعلتها قوة بحرية مهابة ،فتمتعت بنفوذ كبير داخل الإيالة الجزائرية بموجب معاهدة 1762م حتى إن قنصلها كان يدخل ديوان الباشا علي بوصباع وهو حامل لسيفه، ولما تولى محمد عثمان باشا الحكم، أصدر قرارا بمنع الأشخاص المسلحين دخول القصر عدا الضباط والحراس ،ويبدو أن هذا القرار لم يعجب القنصل الإنجليزي ،لذا قال محمد باشا في شأنه:« إذا أصر القنصل الإنجليزي على ذلك سأحطم رأسه بسيفه»[3] .حتى ان الداي رفض وساطة السلطان العثماني القاضية بترضية الإنجليز ، وبالموازاة طالب محمد عثمان باشا من ملك إنجليترا أن يعين قنصلا جديدا الذي أظهر هو الأخر مسألة السيف من جديد في عام 1776م [4].

---

(1) جون ب وولف :المرجع السابق،ص ص 242. 243 .

(2)نفسه :ص 328 .

(3) عزيز سامح إلتر: المرجع السابق ، ص 528 .

(4)مولود قاسم نايت بلقاسم: المرجع السابق ،ج1،ص 99 .

وعلى الرغم من هذه المناوشات كانت انجليترا تفضل التزام الجزائر بنصوص معاهدة السلام فكان القناصل الإنجليز يقدمون الهدايا عند قدومهم إلى الجزائر ،حيث تقوم انجليترا بدفع هدايا دورية للدايات ،و أعضاء الديوان عند ابرام معاهدة أو تعيين قنصل ،وتعتبر سنة 1778م السنة الوحيدة التي اشترت فيها الجزائر الأسلحة من انجليترا ،وتمت عملية الشراء عن طريق المقايضة بتقديم القمح في المقابل[1]، وفي نفس السنة حل بالجزائر مركب قادم من جبل طارق يحمل خمسة مدافع نحاسية وزنها 32691 رطلا ،واشترتها الجزائر بنسبة 22 كيلة من البر للقنطار الواحد[2].

وعموما ففي عهد الداي محمد عثمان باشا عرفت الجزائر علاقات ودية مع انجليترا وإعتبروا من الاصدقاء الحقيقيين وحظوا بإحترام الداي ، وبالمقابل سعت إنجليترا إلى توطيد علاقتها السياسية والتجارية بأيالة الجزائر ،خاصة أثناء وبعد حربها مع الولايات المتحدة الأمريكية ،وحلفائها الأوربيين ،ومنذ وفاة السيد بنطون "Bonton" أخر قنصل انجليزي بالجزائر لم تعين انجليترا من يخلفه في منصبه حى وصل المستر شارل لوجي" Charle louge " الذي استلم مهامه قبل معاهدة السلام مع اسبانيا عام 1786م بوقت قصير[3] ،وفور وصوله قدم تفاصيل للداي عن نتيجة الحرب الانجليزية الأمريكية ، وأخذ يؤلب الداي محمد عثمان باشا ضد السفن الأمريكية والفرنسية والإسبانية ، كما توسط لديه لعقد معاهدة هدنة مع البرتغال سنة 1785م ،حتى يتفرغ البحارة الجزائريين للأمريكان في البحر الأبيض المتوسط [4] .

إن مسار العلاقات الجزائرية الإنجليزية يعتبر من العوامل المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية وخاصة الفرنسية منها ،ومن المعروف أنه كلما تحسنت العلاقات الجزائرية الإنجليزية ساءت العلاقات الجزائرية الفرنسية ،والعكس صحيح،وذلك نظراً للتنافس الفرنسي الإنجليزي لبسط نفوذهما في المنطقة عموماً ،إلا أنه في عهد الداي محمد عثمان باشا نجد خلاف ذلك ،حيث أن الداي حافظ على علاقات الصداقة مع كليهما ،واستغل هذه الصداقة في التزود بالأسلحة .

---

(1) Moulay Belhamissi ,Op.Cit,P 53 .

(2) عبد الرحمان محمد الجيلالي:المرجع السابق،ص 263 .

(3) كاثكارت:المصدر السابق ،ص ص 15 . 16 .

(4) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق، ص ص 152.150.

2 ــ الدويلات الإيطالية[1] :

كانت الدويلات الايطالية مثل سائر الدول الأوربية الأخرى تسعى لتحسين علاقاتها مع الجزائر ،وقد غلب على هذه العلاقات الطابع السلمي لكنها لم تستمر طويلا لتتحول هذه العلاقة فيما بعد إلى حروب ،وغارات بين الأساطيل الحربية للدويلات الإيطالية من جهة ،والأسطول الجزائري من جهة أخرى خاصة في القرن الثامن عشر لتتخللها من حين لأخر فترات سلام. [2] ومن أهم الدويلات الإيطالية التي عرفت علاقات مع الجزائر البندقية ونابولي، ومالطا.

1. البندقية :

إن السياسة التي اتبعتها البندقية لحماية تجارتها ،ورعاية مصالحها الاقتصادية في منطقة الحوض الغربي للمتوسط هو الاحتماء وراء المعاهدات المبرمة بينها ،وبين الدولة العثمانية . [3]وكغيرها من الدول الأوربية الصغيرة استمرت البندقية تدفع الإتاوات إلى الجزائر ،والمتمثلة في ارسال هدايا دورية للدايات،لكن تجارتها تضررت كثيرا بعد أن أبرمت الجزائر معاهدة مع توسكانيا سنة 1748م ،عندما أصبح البحارة الجزائريون لا يجدون صعوبة في الاستلاء على سفن البندقية والإحتماء بالموانى التابعة لتوسكانيا خاصة عند حدوث عاصفة أو مطاردة ،مما أدى إلى تضرر التجارة البندقية ،فاحتجت هذه الأخيرة لدى السلطان العثماني ضد نشاط الجزائريين فكان رد الباب العالي مفاده : « إذا كانت جمهورية البندقية ترغب في تفادي تكرار مثل هذه الأعمال عليها أن تفكر غي عقد سلام مع تلك الدول » [4]لذلك لجأت البندقية إلى إبرام معاهدة سياسية وتجارية مع الجزائر في 18جويلية سنة 1763م [5].

---

(1)حول العلاقات الجزائرية الإيطالية ينظر: إبراهيم سعيود :المرجع السابق،ص ص 8832 .

(2)مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق،ج 1 ،ص 88.

(3)إبراهيم سعيود :المرجع السابق،ص 60 .

(4)نفسه : ص 61.

(5)حول المعاهدة ينظر:عائشة غطاس:"المعاهدة الجزائرية . البندقية 7 محرم 1177هـ-18 يوليو 1763م"/ي/ مجلة الدراسات التاريخية ،ع 7،1993، ص ص 10594 .

غير أن هذه المعاهدة المبرمة بين البلدين لم تعمر طويلاً بسبب تأزم العلاقات بين الطرفين باعتلاء محمد عثمان باشا كرسي الحكم، الذي أراد أن يحافظ على السلم مع كافة الدول الأوربية، لكن الحاجة المستمرة إلى سد عجز الخزينة دفعته إلى أن يرفع من قيمة الاتاوات المفروضة على معظم الدول الأوربية بما في ذلك البندقية [1]، هذه الأخيرة التي رفضت ذلك ،فقام الداي بطرد قنصلها ،وألغى العمل بمعاهدة السلم التي تربطهما ، واشترط الداي محمد عثمان باشا على البندقية إذا أرادت المحافظة على السلم ومنح هدنة لأربعة أشهر أن تدفع هدية تقدر بخمسين ألف سكة، واضافة إثني عشر ألف سكة عوض عشرة آلاف كما كان عليه الحال في السابق .

ردت البندقية على شرط الداي بارسال عمارة بحرية بقيادة الأميرال أنجلو أمو "Engelo_Emo" بغرض ارغام الجزائر على عقد الصلح بالقوة ،إلا أن الداي رفض تهديدات الأميرال البندقي، وأعلن الحرب على البندقية ،فتدخلت بريطانيا ،وقام قنصلها بالجزائر بتسوية المسألة ،بأن تدفع البندقية مبلغ واحد وثلاثين ألف سكة للجزائر،و بذلك وافق الداي محمد عثمان باشا على تجديد معاهدة السلم مع البندقية بتاريخ 23 جوان 1768م[2] .

2 ـ نابولي ومالطا :

تميزت علاقات الجزائر مع دويلتي نابولي ومالطا في عهد الداي محمد عثمان باشا بالعداء الشديد ،والحرب الدائمة ،حيث أعلن الداي الحرب عليهما ،وهاجم البحارة الجزائريون سفنهما في البحر ،وذلك لامتناعهما عن دفع الإتاوات البحرية المفروضة عليهما من طرف الداي ، كما أن هاتان الدويلتان شاركتا في الحملة على الإسبانية الثانية ضد الجزائر سنة 1784م ،حيث قدمتا الامدادات ،والمساعدات الحربية لإسبانيا.[3]

ومجمل القول فإن الطابع العام للعلاقات الجزائرية مع الدويلات الإيطالية في عهد الداي محمد عثمان باشا اتسم بالحرب الدائمة ،وإن تخللتها من حين لأخر فترات سلام مثلما هو الحال مع البندقية .

---

(1) مبارك بن محمد الميلي: المرجع السابق ،ص 228 .

(2) إبراهيم سعيود: المرجع السابق ،ص 71 .

(3) عزيز سامح إلتر :المرجع السابق، ص ص526525.

3 ـ الدانمارك :

سعت مملكة الدانمارك كغيرها من الدول الأوربية إلى المحافظة على مصالحها التجارية في الحوض الغربي للبحر المتوسط، لكنها فشلت فشلاً ذريعاً في تحقيق أهدافها بأسلوب القوة العسكرية ،فرضخت للشروط التي فرضتها عليها معاهدة السلام عام 1746م[1]،فأصبحت الدانمارك ترسل كل سنة إلى الجزائرسفينة محملة بمختلف الذخائر الحربية من قنابل وبارود وحبال .

ولما تولى الداي محمد عثمان باشا الحكم شهدت العلاقات الجزائرية الدانماركية حالة من التوتر والعداء وصلت إلى درجة إعلان الجزائر الحرب على مملكة الدنمارك ونقض الداي لمعاهد السلام سنة 1767 م بسبب تماطل الدانمارك في دفع ما عليها من اتاوات واخلالها بشروط معاهدة السلام حينما سمحت لسفن الهامبورغ بالتجول تحت حماية علمها ،ورداً على نقض الصلح جهز الأميرال الدانماركي دي كاس" De kaas "أسطولاً حربياً، وسير حملة لقصف مدينة الجزائر ،إلا أنها باءت بالفشل، حينها قال الداي محمد عثمان باشا ساخراً منهم :« لقد أعلن الدانماركيون حربهم على السمك »[2]

وقد ذكر الحاج أحمد الشريف الزهار هذه الحرب في مذكراته قائلا : « لما تولى محمد باشا نقض المهادنة وجعل العداوة مع ديل مارك ،فأتوا بأحد عشر سفينة وأرسو بالجون،وبعد ثلاثة أيام بدأو يرمون البومبة على البلاد،ولم يصل منها شئ،وواستمروا على ذلك نحو أحد عشر يوما ،ولما رأوا أنهم لا يحصلون على طائل ذهبوا في سخط الله ... فلم يرضى الباشا بالصلح معهم إلا بمشقة كبيرة واشترط عليهم شروطا ،منها ثمن الصلح ،ومصروف القيرة ومقداره زوج ملاين ونصف مليون دورو .... »[3]

وبعد هذه الحرب بقيت الأمور معلقة بين البلدين لمدة سنة ،قام البحارة الجزائريين خلالها بمهاجمة المراكب الدانماركية حيثما وجدت وكانت الغنيمة ثمينة جدا.[4]

---

(1)عن بنود هذه المعاهدة وظروف إبرامها ينظر :عائشة غطاس :"معاهدة 22 رجب 1159هـ /10 أوت 1746 م أول حلقة في العلاقات الجزائرية الدانماركية "/في/مجلة الدراسات التاريخية ،العدد الثالث ،1983، ص ص 130.133.

(2) Grammont,(H de),OP,Cit,PP255_ 256 .

(3) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق ، ص 25 .

(4) عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ص 242 .

إلى أن اضطرت الدنمارك إلى عقد معاهدة سلام جديدة سنة 1772م ،التي كلفت خزينتها خمسين ألف سكة وعتاد حربي ،وقد ذكرها ابن حمادوش بقوله:« في يوم الجمعة وقع الصلح بين الجزائر والدنمارك من النصارى نوع من الفلامنك.... »[1] ،وقد أجمع المؤرخين أن هذه الحرب رفعت من مكانة الجزائر ودايها ،وبالمقابل كلفت الدانمارك غاليا .

4 . السويد وهولندا :

لقد غلب على علاقات الجزائر مع السويد، وحتى هولندا الطابع السلمي ،فلم يرد عن الدولتين أنهما وجها حملة مباشرة ضد الجزائر مثل باقي الدول الأوربية الأخرى ،وإن اشتركتا ربما في مناورات سرية لم تتحقق فيما بعد[2]،فكان السلم بالنسبة لهما أكثر نزاهة واحتراما .

ولما تولى الداي محمد عثمان باشا الحكم عمل على رفع مقدار الاتاوة المفروضة على معظم الدول الأوربية بما في ذلك السفن التابعة لهولندا والسويد ،فاستجابة لذلك هولندا والسويد لأول وهلة ،إذا قبلت هولندا زيادة كمية البارود ،والذخيرة الحربية ،وتأمين نقص السلاح بمدينة الجزائر ،علاوة على الهدايا التي لم تندرج ضمن قيمة الإتاوة المدفوعة ،وبذلك تسنى لقبطان هولندا بينيكس" Binkes " تجديد المعاهدة القديمة .

أما السويد فقد التزمت بدفع الإتاوات المفروضة عليها دون تذمر ،فكانت كذلك تقدم الهدايا القنصلية كل سنتين ،كما كانت تضيف هدايا أخرى بحكم الصداقة لتقوية العلاقات السلمية بينها وبين الجزائر ،وقد تمثلت هذه الإتاوات في شكل أسلحة ،وحبال وصوار وذخيرة البارود ورصاص وحديد .[3]

---

(1) عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري :رحلة ابن حمادوش الجزائري المسماة لسان المقال عن الحسب والنسب والحال،تع: أبو القاسم سعد الله ،الشركة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر،1983،ص 257.

(2) مولود قاسم نايت بلقاسم :المرجع السابق ، ج1 ،ص 102.

(3) يحي بوعزيز:المرجع السابق ، ص 22 .

ب) تأثير نشاط القرصنة البحرية في العلاقات الخارجية

تعتبر ظاهرة القرصنة البحرية من السمات البارزة التي طبعت تاريخ البحر الأبيض المتوسط في العصر الحديث ،ومن أبرز العوامل المؤثرة في مسار العلاقات بين ضفتيه ،وللحديث عن ذلك رأيت أنه لابد من التطرق إلى توضيح مفهوم القرصنة ،ومن ثم ابراز نشاط القرصنة في عهد الداي محمد عثمان باشا ،وما تأثير هذا النشاط على الصعيدين الداخلي والخارجي للجزائر.

1. تعريف القرصنة :

إن لفظ القرصان مشتق من اللفظ اللاتيني كورسارو "corsare" ،والذي كان يطلق في الأصل على كل سفينة مسلحة رخص لملاحيها بأن يجوبوا البحار ،ويقاتلوا سفن الأعداء[1] ،فالقرصان بالمفهوم الغربي يطلق على كل من كان حرا في النهب ،ولا يعترف بأي سلطة فوق إرادته الخاصة ،فقد كان يهاجم بدون تمييز سفن أية دولة ،وكان هدفه الوحيد هو النهب [2] .

ومع بداية القرن السادس عشر بدأ تعميم كلمة "corsaire" في أوربا ،خاصة بعد تواجد الدولة العثمانية على السواحل الجنوبية للمتوسط، حيث أطلق المؤرخون الغربيون على النشاط العثماني في البحر المتوسط مجموعة من الألفاظ تدخل في دائرة النهب البحري مثل"Piraterie"والنشاط القرصاني"Activité corsaire" والقرصنة البربرية الإسلامية "Course Barbaresque Musulmane"[3] ،إلى درجة أن كلمة القرصنة أصبحت مرادفة في المفهوم العام الشائع لكلمة اللصوصية ،وعنوانا يطلق على البحرية والبحارة المغاربة في ذلك العصر .[4]

---

(1)صبحي الصالح : الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية ،أعمال أكاديمية المملكة المغربية ،الدورة التاسعة ،الرباط ، 1986م ، ص 20 .

(2) جون ب وولف: المرجع السابق ،ص 43 .

(3) جمال الدين سهيل :"ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11 هـ /17 م "/في/ مجلة الواحات للبحوث والدراسات المركز الجامعي غرداية ،الجزائر ، ع 13 ، محرم 1433 هـ /ديسمبر 2011 م ،ص 143 .

(4) جمال قنان :المرجع السابق ،ص ص 249 .250 .

أما في المفهوم الإسلامي فإن هذا النشاط لم يعتبر عملا مشينا ،بل عملا دفاعيا لتأمين الفتوحات الإسلامية ،واسترجاع شبه الجزيرة الإيبيرية ،وبما أن الإسلام لا يعترف إلا بنوع واحد من الحرب . بصفته حربا شرعية . ألا وهو الجهاد ،فقد استعملت المصادر الإسلامية التي تناولت نشاط البحرية الإسلامية عدة مصطلاحات منها "غزاة البحر" او "الجهاد البحري " للتعبير عن العمليات البحرية،وهي إصطلاحات لا تعني دائما الجانب السلبي من النشاط البحري[1].

ففي هذه الفترة كان الصراع المسيحي الإسلامي ناشبا في المتوسط وبالرغم من ذلك فإنه على عكس الطرف المسيحي الذي شجع قيام مؤسسات قرصانية خاصة ،لا تخضع في الظاهر لأي نفوذ ولا لأية دولة كانت ،فإن دول المغرب البحرية قد أشرفت على هذا النشاط عن كثب وضبطته ضمن القوانين والأعراف التي كانت سائدة وقتذاك .[2]

ولقد دأب العديد من المؤرخين الغربيين أو بالأحرى معظمهم على وسم النشاط البحري الجزائري في البحر المتوسط بالقرصنة وعلى من قام به بالقراصنة ووصفوا الجزائر وحكوماتها بأبشع الصفات فاعتبروها "عش اللصوص" ،و"أرض الجحيم" ،و"وكر للصوصية البحر " على غرار المؤرخ الفرنسي دو غرامون الذي زعم أن لصوصية البحر كانت هي وسيلة العيش الوحيدة لكل سكان الجزائر [3].

كما لم يتردد ألبير دوفو في كتاباته على وصف رياس البحر الجزائريين بأنهم لصوص بحر ،و نشر دلفين في مؤلفه حول الجزائر أثناء العهد العثماني : «إن هذه المدينة الجميلة رغم موقعها الإستثنائي وخصب منطقتها لم تكن أبدا سوى وكر للصوص البحر وجهنم تسلط العار والعذاب على المسيحيين المستعبدين ».[4]

فالقرصنة التي اتهمت بها الجزائر إنما كانت فيما يبدو ممارسة عامة شاركت فيه كل الدول البحرية أنذاك ،وأن سلوك الجزائريين البحري إنما كان رد فعل لإعتداءات الأوربيين.

---

(1) جمال الدين سهيل :المرجع السابق ،ص 143 .

(2) نفسه،ص 144.

(3) المنور مروش:المرجع السابق،ص 18.

(4) نفسه،ص 19 .

2. نشاط القرصنة في عهد الداي محمد عثمان باشا

عرف النشاط البحري الجزائري في عهد الداي محمد عثمان باشا انتعاشا ملحوظا ،فقد نشط الداي الجهاد البحري ،واستغله كأداة دبلوماسية ساوم بها الدول الأوربية لمنح شروط السلم واطمئنان الملاحة البحرية ،ويقول الزهار عن ذلك :« كان إستعداده دائما للحرب ،وكان مغروما بتجهيز المراكب للغزوات ،وفي أيامه كثر الرؤساء في البحر ،وكانت لمراكبه سمعة ،ومن أكبر رؤساء عصره الحاج محمد قبطان ،وكان له صيت في البحر ،وما وجد مقيدا في دفاتر الرؤساء ان هذا القبطان أتى بأسارى في مدة سفره في البحر ما مجموعه 24000 أسير»[1].

ويقول الزهار أيضا : «كان محمد باشا من حين ولايته ،لا يفتر عن بعث المراكب لغزو الإسبانيول ،فترجع بالغنائم ويرمي السرية في أرضه فتسبي النساء والذراري والصبيان ،فلما أكثر عليهم المسلمون بأخذ مراكبهم وبالسرايا في أرضهم ،أمرهم كبيرهم راي الكاروا (الملك) بأن يرحلوا عن ساحل البحر إلى داخل البلاد فرحل أهل الشطوط من البوادي لكن المسلمين صاروا يذهبون إليهم ويقبضون لهم أكثر من السالف ،حتى إجتمع أسارى الصبانيول في الجزائر ما يزيد عن العشرة آلاف ،خلاف الأسارى من بقية الأجناس ،وقد إجتمع من الأسارى في هذه المدينة ثمانية عشر ألفا»[2]

وجه الداي محمد عثمان باشا طوال فترة حكمه النشاط البحري ضد الدول المعادية وبالأخص اسبانيا والبرتغال ومالطا ،وكذا بعض الدويلات الإيطالية ،وصارت الجزائر في عهده تمارس القرصنة بصورة أكثر انتظاما من السابق لكن مع احترام القواعد الدولية لذلك العصر ،ومما سهل هذا الانتظام استقرار نظام الحكم ،ولحالة السلم الشبه دائمة مع فرنسا وإنجليترا في هذه الفترة.[3]

وقد اعتمد الداي محمد عثمان باشا بشكل كبير على أرباح النشاط البحري في تموين الخزينة الجزائرية ،وقد قام ألبير دوفو بترجمة سجل الغنائم البحرية في الفترة ما بين 1766م إلى 1792م وهي فترة الداي محمد عثمان باشا،وقد أوردها الاستاذ المنور مروش في كتابه [4].

---

(1) أحمد الشريف الزهار :المصدر السابق ،ص 25 .

(2) نفسه :ص 26.

(3) المنور مروش :المرجع السابق،ص ص 373 .374 .

(4) للمزيد حول هذا السجل، ينظر جدول الغنائم المقيدة في سجل الغنائم البحرية في الملحق الثالث من هذه المذكرة ص 142.

كان الخروج للقرصنة خاضعا لتنظيم محكم ،فهو في فصل الربيع والصيف والخريف،أما الغنائم فكانت بعد دخولها ميناء الجزائر تخضع أولا لاحصاء دقيق من طرف جهاز وكيل الحرج ،فيحصل الداي على 12% من مجموع البضائع والأسرى ،ويؤخذ 1% لصيانة أرصفة الميناء ،والخمس لخزينة الدولة ،والباقي يوزع على أصحاب السفن المساهمين في تجهيز السفن [1].

وخلال القرن الثامن عشر ميلادي تراجعت أرباح القرصنة بسبب ما تم من معاهدات مع الدول العظمى ،وما تعرضت إليه مدينة الجزائر من هجمات بحرية ،ما أدى إلى تناقص عدد البحارة البارعين ،حيث انه لم يتجاوزو 5300 بحار عام 1769 م[2]، كما يذكر شارل اندري جوليان أنه لم تبلغ الغنائم طيلة تسع سنين أثناء فترة حكم الداي محمد عثمان باشا 100 ألف فرنك ،وتناقص عدد قطع الأسطول من 24 قطعة سنة 1724 م إلى 8 مراكب وغليوطتين سنة 1788م .[3]

فالجهاد البحري قد رافق أيالة الجزائر منذ نشأتها ،وطبع سياستها الخارجية ،ورغم أنه لم يكن يمثل المحرك الأساسي خلال القرن الثامن عشر إلا أنه ظل يؤثر على علاقاتها الخارجية.

3. أثر نشاط القرصنة على العلاقات الخارجية:

ظل نشاط القرصنة في كثير من الأحيان سببا في توتر العلاقات بين دول ضفتي البحر الأبيض المتوسط،وكانت الدول الأوربية غالبا ما تلجأ إلى استعمال القوة لتسوية خلافاتها مع الجزائر بحجة القضاء على القرصنة التي اتهمت بها ،و قد عانت الجزائر كثيرا من تلك الحملات ،فقضية القرصنة ظلت تمثل حجر عثرة في علاقات الجزائر الخارجية طيلة العصر الحديث .

وقد أسفر الصراع القائم بين دول ضفتي المتوسط عن خسائر بشرية ومادية كبيرة ،يظاف إلى ذلك عدد كبير من الأسرى، وفي كلا الجانبين[4]، وقد مثلت قضية الأسرى احدى السمات البارزة التي شكلت ملامح تاريخ منطقة الحوض الغربي للمتوسط ،وظلت تشكل حجر الزاوية في علاقات الجزائر الخارجية عامة ،ومع إسبانيا وفرنسا بشكل خاص.

---

(1) المنور مروش :المرجع السابق،ص ص 466. 467 .

(2) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي :المرجع السابق ،ص 45 .

(3) شارل أندري جوليان :المرجع السابق ،ص 371.

(4) Michel Fontenay:OP,Cit,PP 2_ 3.

إن ارتفاع عدد الأسرى في الجزائر منذ تولي الداي محمد عثمان باشا لدليل قاطع على انتعاش النشاط البحري الجزائري ،فقد كان حزم الداي ،وحاجته للغنائم تدفعه في كثير من الأحيان لتشجيع هذا النشاط ضد الدول المعادية ،وخاصة إسبانيا والدويلات الإيطالية .

أما بالنسبة لتوزيع الأسرى الذين وقعوا في قبضة البحارة الجزائريين ،فتشير تقارير الرحالة الأوربيين الذين زاروا الجزائر ،أن فور وصولهم إلى الميناء يحصل الداي على الثمن 1/8 ،ويساق البقية إلى سوق الباديستان "Badistan" حيث يخضعون للبيع الأول عن طريق المزاد ،ثم البيع الثاني عن طريق عملية الافتداء، والتي تتم بعدة طرق كالوساطة اليهودية ،أو على يد رجال الدين أو عن طريق القناصل، فعملية افتداء الأسرى بالجزائر ،وخاصة الأوربيين منهم عملية صعبة ترتبط بطبيعة العلاقات بين الجزائر والدول الأوربية [1].

وكان بإمكان الأسرى المسيحيين البقاء في الجزائر بعد إعتناقهم الإسلام ،أو العودة إلى بلدانهم بمجرد دفع فديتهم ،وقد شكلت الدول الأوربية لهذا الغرض عدة إرساليات تتولى مهمة التفاوض مع حكام الجزائر حول قيمة الفدية.

لعب الأسرى الأوربيون في الجزائر دور كبير في علاقات الجزائر مع دول أوربا الغربية ،وخاصة فرنسا وإسبانيا،وذلك أن جميع الحملات الأوربية التي كانت تشنها هذه الدول كانت تهدف إلى معاقبة الجزائر على نشاطها البحري ،وتحرير أسراها بالجزائر.

فالأسرى الأوربيون كانوا يعاملون بالجزائر معاملة حسنة بالرغم ،ن وضعهم كان يختلف من أسير إلى آخر ،وفي كل الحالات ،فإن وضعهم كان أحسن بكثير من وضع الأسرى الجزائريين في الدول الأوربية ،حتى أن بعض الأسرى الأوربيين بالجزائر تقلد وظائف في قصر الداي أو عند مسؤولي الإيالة،مثل الأسير الأمريكي كاثكارت ،الذي تولى منصب رئيس موظفي القصر[2] .

وقد ساهم الأسرى الأوربيون في الجزائر بطوير بعض القطاعات ،مثل الصناعة ،وخاصة صناعة السفن والأشرعة ،والمنشآت العمرانية والدفاعية ،وذلك بإدخال تقنيات جديدة لم تكن معروفة من قبل بالجزائر ،كما أن ثمن فديتهم كان بمثابة دعم لخزينة الإيالة .

---

(1) المنور مروش :المرجع السابق ،ص ص 466.467 .

(2) أرزقي شويتام :المرجع السابق،ص 205 .

ج) دور المبادلات التجارية في تفعيل علاقات الجزائر الخارجية :

شهدت التجارة الجزائرية انتعاشا ملموسا في نهاية القرن الثامن عشر ،ويرجع ذلك الانتعاش إلى تقلص نشاط القرصنة اضافة إلى معاهدات السلم التي أبرمها الداي محمد عثمان باشا مع أغلب الدول الأوربية ،والتي وسعت نطاق المبادلات التجارية ،ونلحظ ذلك من خلال :

1. سياسة الداي محمد عثمان باشا التجارية :

قام الداي محمد عثمان باشا بتنشيط التجارة في الداخل والخارج ، وذلك بتشديد الرقابة على تصدير المحاصيل الزراعية خارج الأيالة،كما أنه فرض مراقبة شديدة لمنع تهريب النقود إلى الخارج [1]،فهو الذي يبرم المعاهدات التجارية مع ممثلي الدول الأجنبية ،وهو الذي يعين كمية البضائع التي يمكن لهم أن يشتروها ،إلا ان البايات هم الذين يحددون الأسعار،كما أن رؤساء القبائل وأعيانها كانوا يلعبون دورا كبيرا في حماية التجار الأجانب ،وخاصة الفرنسيين.[2]

كما عمل الداي محمد عثمان باشا ،ومنذ توليه الحكم على تنمية أرصدة خزينة الدولة التي وجدها مفلسة ،كما سبق ذكره ،وذلك بالتقشف والتقليل من النفقات ،حتى أنه رفض مكافأة مجموعة من اليولداش طالبته بالمزيد بمناسبة الانتصار على الاسبان سنة 1775م،كما أنه أودع أمواله الخاصة في خزينة الدولة ،وهي أموال جمعها من عمليات افتداء الأسرى المسيحيين ومن هدايا القناصل الأوربيين ،والحصص المالية المقدمة له من طرف البايات ،وقد أشار إلى ذلك بارداي بقوله أن الداي محمد عثمان باشا أودع 200 ألف سكة جزائرية في الخزينة .[3]

إن سياسة الداي هذه ساهمت في اثراء خزينة القصبة التي أصبحت كنوزها مضرب الأمثال ،ومحط آمال كل الطامعين ،فقد اتجهت اليها أنظار قناصل بعض الدول الذين تجسسوا على ما تزخر به من أموال طائلة .[4]

---

(1) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي:المرجع السابق ،ص 77 .

(2) محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص 202 .

(3) Venture de Paradis: Op.cit,P 200 .

(4) ناصر الدين سعيدوني والمهدي بوعبدلي:المرجع السابق ،ص 78 .

كما أن القنصل الفرنسي دي كيرسي قد ذكر في مذكراته المؤرخة في 1791م أن خزينة الدولة توفرت في عهده على أرصدة مالية معتبرة قدرها بـ مائة ألف مليون تورنوا.[1]

وقد اعتمد الداي محمد عثمان باشا على مجموعة من الموارد لإغناء خزينة الدولة وكانت مصادر دخل مستقرة لخزينة الدولة ،وهي الضرائب بمختلف أشكالها كالزكاة والعشور على المحاصيل الزراعية والغرامة التي تحل محل العشور في المناطق البدوية ،والعوائد وهي بمثابة هدايا إجبارية تقدم في المناسبات وضرائب أراضي العرش وخراج البايلكات الثلاثة (الدنوش) والمكوس وغيرها.[2]

ومن مصادر الدخل أيضا الإتاوات المفروضة على الشركات الأجنبية في الجزائر ،وجزية اليهود ورسوم دخل السفن إلى المرسى ،والحقوق الجمركية على السلع المستوردة او المصدرة وغيرها، هذا بالإضافة إلى غنائم الجهاد البحري ،وفداء الأسرى المسيحيين،وهدايا الدول الأجنبية الإلزامية .[3]

وفي عهد الداي محمد عثمان باشا برز العديد من التجار الجزائريين ساهموا في تفعيل التجارة الجزائرية الداخلية وحتى الخارجية ،كما ساهموا وبشكل غير مباشر في التأثيرعلى مسار علاقات الجزائر الخارجية ،حيث نجد أسماء بعض التجار وصلوا إلى بعض الموانئ الأوربية ،وبخاصة الفرنسية منها،حيث أوردت الأستاذة عائشة غطاس أسماءهم في مقال نشرته بالمجلة التاريخية المغاربية ،ومن خلاله نجد أنه قدكان ينشط في فترة حكم الداي محمد عثمان باشا حوالي 28 تاجرا جزائريا عبروا الموانئ الفرنسية، أو استأجروا سفنا فرنسية .[4]

وبالرغم من تطور حجم المبادلات التجارية في عهد الداي محمد عثمان باشا إلا أن الجزائر لم تمتلك أسطولا تجاريا ،بالرغم من إمتلاكها لأسطول حربي قوي ،فالتجارة الخارجية عبر البحار كانت تعتمد في نقل البضائع على السفن الأوربية ،وكما كانت فرنسا هي المتعامل الرئيسي مع الجزائر ،كانت هي كذلك المسيطرة على النقل بين الجزائر وباقي البلدان.

---

(1) بلبروات بن عتو:المرجع السابق،ص 97 .

(2) عمار عمورة :المرجع السابق ،ص 119.

(3) صالح عباد :المرجع السابق ،ص ص 352351 .

(4) عائشة غطاس :"التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصلية الفرنسية (1830.1636)"،/في/ المجلة التاريخية المغاربية،العدد 62.61 ،السنة الثامنة ،جويلية 1991،ص ص 127. 136 .

2 . طبيعة الصادرات والواردات التجارية الجزائرية :

إن فترة الاستقرار السياسي ،والرخاء الطويلة التي ميزت عهد الداي محمد عثمان باشا، قد ساهمت في إزدهار الحركة التجارية بالجزائر ،كما جعلت متطلبات وحاجات السكان كثيرة ومتنوعة ،أي أن حجم الواردات خلال هذه الفترة عرف ارتفاعا ملحوظا عن غيره من الفترات السابقة ،إلا أنها كانت ضئيلة بالمقارنة مع حجم الصادرات[1] ،ويتضح ذلك من خلال :

1 . الصادرات : ومن أبرز الصادرات الجزائرية في هذه الفترة ما يلي :

. الحبوب : تمثل الحبوب المادة الأساسية ضمن الصادرات الجزائرية في هذا العهد ،وكان الشرق الجزائري أكثر المناطق تصديرا لها،يذكر بارداي أنه في سنة 1788 م خرجت من عنابة والجزائر وأرزيو ودلس حوالي 150 حمولة أي حوالي 100 ألف قنطار من القمح والشعير [2] ،هذا بالاضافة إلى ماكان الإسبان ينقلونه من وهران ومن المرسى الكبير ،وكانت فرنسا هي المستورد الرئيسي للحبوب الجزائرية ،وهي صاحبة الامتياز في الشرق ،ولم يكن ينافسها في ذلك سوى اليهود.[3]

ـ الجلود : تعتبر الجلود عنصرا هاما من الصادرات الجزائرية في عهد محمد عثمان باشا ،ومما شجع إقبال التجار عليها الثروة الحيوانية التي تمتعت بها الجزائر، وما امتاز به بايليك الشرق عن غيره من المناطق بوفرة الثروة الحيوانية ،حتى أن القانون المحلي جعل الأبقار ثمن العقوبة لجريمة ما :«على أن الذي يعتدي على جيرانه أو يتشاجر مع غيره ،أو يتعصب لجماعة ظالمة ...تعاقبه القبيلة فتذبح عددا من أبقاره يتناسب مع الجريمة المرتكبة » [4].

كما أن تجارة الحيوانات لم تكن محضورة كالقمح . الذي لا يخرج من موانئ البلاد إلا بترخيص من الداي نفسه . فلا تخضع سوى لضريبة تعرف باسم حق القائد ،وتقدر بـ 10% [5].

---

(1)صالح عباد :المرجع السابق،ص 342 .

(2) نفسه:ص 342 .

(3) محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص 97 .

(4) عائشة غطاس :المرجع السابق،ص 111 .

(5) نفسه، ص 112.

ومن المناطق التي اشتهرت بتصدير الجلود ،القل ،عنابة والقالة وبجاية، وقد كان يخرج من ميناء الجزائر سنويا ما بين 20 ألف إلى 25 ألف جلد سنويا ،وكانت مرسيليا أكبر زبون لجلود الجزائر ،فقد كان يصل إليها ما قيمته 100 ألف جنيه سنويا.[1]

3. الشمع :يعتبر الشمع من المواد الأساسية لدى أهالي الجزائر ،الذين كانو يجنونه في فصل الربيع من كل سنة ،ثم يبيعونها إلى المؤسسات الفرنسية أو يصدرونها إلى تونس ،ونظرا لندرته فلم يسمح بتصديره إلا في إطار محدود جدا،ويخضع شراؤه لضريبة تدفع للسلطات المعنية ،وحسبما ذكره العربي الزبيري أن المؤسسات الفرنسية ظلت تستورد من الشرق الجزائري سنويا حوالي 880 قنطار من الشمع، وأن هذه التجارة لم تتوقف إلا عندما أعلن الحصار على الساحل الجزائري[2] .

ـالصوف : كانت أغلب الموانئ الجزائرية تصدر الأصواف ،حيث يصدر ميناء الجزائر إلى الدول الأوربية ما بين 7 إلى 8 آلاف قنطار من الصوف سنويا ،تأتي كلها تقريبا من بايليك التيطري ،وكانت أصواف الجزائر والتيطري ومعسكر تباع بشكل حر لأي كان ،أما أصواف بايليك الشرق فكانت محتكرة من طرف الشركة الإفريقية الفرنسية والتي تصدرها من عنابة التي يخرج منها سنويا مابين 10إلى 12 ألف قنطار ،حيث أنه في سنة 1788م أمكن لهذه الشركة ان تجمع 25ألف قنطار في عنابة [3].

كما أن هناك بعض الصادرات الأخرى إلا أنها لم تكن في مستوى ما ذكرناه،مثل ريش النعام الذي أصبح موضوع تجارة هامة منذ آواسط القرن الثامن عشر ،توفره منطقة ميزاب ويصدر خاصة إلى ليفورنا وفرنسا ،ومادة زيت الزيتون التي كانت لا يصدر منها إلى أوربا إلا نادراً وبكميات ضئيلة جدا لذلك لم يعتن بها مؤرخوا التجارة الخارجية للجزائر في هذه الفترة.

---

(1) صالح عباد :المرجع السابق،ص 342 .

(2) محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص 100 .

(3) صالح عباد :المرجع السابق،ص 342 .

2 . الواردات :

إن أكبر مشكل يواجه الباحث بهذا الصدد هو عدم توفر الاحصائيات التي تسمح بتقييم حجم الواردات الجزائرية في هذه الفترة ،والثابت أن أغلبها كان يأتي من الدول الأوربية، ويمكن أن نوجزها فيما يلي :

1. الذخائر الحربية:وهي الرصاص والحديد ،والقطع الحربية ،والتي تستعمل في الصناعة المحلية وكان أغلبها يأتي من فرنسا [1]،حيث شكلت مواد التموين والذخائر الحربية سواء على المستوى الرسمي أو على مستوى الخواص ،عنصرا أساسيا ،إذ كان الرياس هم أيضا يجلبون كل ما يتصل بصناعة السفن ،حتى الخشب أحيانا رغم توفره بضواحي شرشال وبجاية.

2. الأقمشة والحلي والخردوات : كانت الجزئر تستورد من مدينة جنوة وليون أنواع الأقمشة والكتان ونسيج القطن والقطيفة [2]،ومن إيطاليا الرخام ومن البندقية المرايا والساعات والخزف ومن إنجليترا وهولندا الحبال وشرائع السفن ،ومن بوهيميا زجاج البلور ،ومن بروسيا الأواني النحاسية والحرير ،ومن الشرق الأدنى الزرابي والسجاجيد والعقاقير والسيوف والملابس الفاخرة والأواني الخزفية .

3. المواد الغذائية : وتشتمل على السكر ،القهوة والتوابل والجبن والعسل ،والفواكه المجففة والبندق ،وكان أغلبها يأتي من فرنسا ،حيث أنه في كل سنة تأتي من مرسيليا 5 إلى 6 سفن محملة بالسكر والبن والحديد والورق وبعض الخردوات.[3]

ومن خلال عرضنا لأهم صادرات وواردات الجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا يتبين لنا أن التجارة الجزائرية وخاصة الخارجية منها قد ساهمت ولو بشكل جزئي في بلورة علاقات الجزائرية الخارجية ،إذ أصبحت الجزائر مقصد للعديد من التجار الغربيين وبخاصة الفرنسيين ،فالمبادلات التجارية كان لها أثر كبير في مسار علاقات الجزائر مع دول وممالك أوربا الغربية .

---

(1) محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص 102 .

(2) صالح عباد :المرجع السابق،ص 332 .

(3) نفسه:ص 342 .

3 . دور اليهود في التجارة الخارجية :

شهدت الجزائر خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ميلاديين هجرات جماعية لليهود خاصة من ليفورنو بسبب الأوضاع المزرية في جنوب إيطاليا[1] وقد جاء اليهود إلى الجزائر بغرض التجارة ،إلا انهم سرعان ما إستوطنوا في مدينة الجزائر بعد اكتشاف أهميتها كمركز وحلقة وصل في التبادل التجاري مع أوربا،وقد ذكر بارادي أن عددهم في مدينة الجزائري سنة 1789 م قد بلغ 7 آلاف يهودي من مجموع 50 ألف نسمة ،وأما عدد منازل اليهود فقد قدره بنحو 180 منزلا من مجموع 5 آلاف منزل[2].

مارست عائلات يهودية كثيرة بالجزائر التجارة ،وصار منها تجار كبار تولوا مسؤليات تتعلق بالعلاقات التجارية للجزائر مع البلدان الأجنبية ،فقاموا باحتكار التجارة في الداخل والخارج[3] خاصة تجارة الجلود والشمع وغيرها،كما لم يستغن عنهم في الأعمال والوظائف مما جعل هؤلاء اليهود يرتبطون بالأتراك من أجل المصلحة مما سمح لهم بجمع أموال طائلة.[4]

كما أوكل الدايات لليهود مهمة سك النقود وتغييرها ومراقبة أوزانها وتنظيفها وطلائها من جديد ،كما أسندت لهم مهمة تقدير قيمة المجوهرات ورعاية ومراقبة ضرب النقود المحلية ،وقد اختص اليهود بصنع المجوهرات الثمينة والأحجار الكريمة في كل من قسنطينة وتلمسان والجزائر.[5]

وقد مارس اليهود تجارة القوافل التي كانت تمتد من الجزائر إلى قسنطينة وغيرها ،فلعب اليهود دور الوساطة في العلاقات التجارية، فكانوا يسافرون إلى داخل البلاد بهدف مقايضة السلع واستبدال المحلية منها بالسلع المستوردة ،أو شرائها بأثمان زهيدة، فاحتكروا بذلك السلع المحلية كالزيوت والشمع والتوابل والخردوات وغيرها، وأما الأغنياء من اليهود خاصة أولئك الذين قدموا من أوربا فقد أوكل اليهم تنشيط التجارة الخارجية خاصة مع دول حوض البحر المتوسط.[6]

ومما ساعد هؤلاء اليهود معرفتهم للغات الأوربية ،بالاضافة إلى وجود ممثلين عنهم في البلدان الاوربية خصة في مرسيليا وليفورنو.

---

(1) محمد العربي الزبيري :المرجع السابق ،ص 257 .

(2) Venture de Paradis: Op.cit,P108_109 .

(3) عبد القادر حليمي :مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830 ،دار الفكر الإسلامي ،ط1،الجزائر،1972م،ص 267.

(4) حمدان بن عثمان خوجة:المصدر السابق،ص 159.

(5) إبراهيم سعيود :المرجع السابق،ص 191.

(6) عبد الرحمان محمد الجيلالي:المرجع السابق،ص 299.

كما اعتمد الأهالي القاطنين في المناطق الداخلية اعتمادا شبه كلي على التجار اليهود لتزويدهم بمتطلباتهم من السكر والشاي والأقمشة والتوابل والخردوات والحلي ،سواءاً عن طريق المحلات التجارية التي امتلكوها في المدن، أو عن طريق الباعة المتجولين الذين كانوا يجوبون مناطق الجزائر.[1]

وفي عهد الداي محمد عثمان باشا تمكن اليهود من انشاء مؤسسات تجارية كبرى في الجزائر منها شركة "ميشال كوهين بكري "سنة 1774م،والتي حققت نجاحاً كبيراً في مجال التجارة ، وفي سنة 1782م تحالفت أسرتان يهوديتان تجاريا وأسستا شركة تعد من أكبر الشركات التجارية في هذه الفترة ،والتي كان إسمها " الإخوة بكري وبوشناق" ،وهي الشركة التي ورطت الجزائر الجزائر بمسألة الديون مع فرنسا .وإبتداءاً من 1785م أنشأت الشركة اليهودية وكالة لها في عنابة ومن هذه المدينة مدت نشاطاتها إلى كل أنحاء الشرق الجزائري ،وقامت الشركة اليهودية بدور الوسيط بين الأهالي والشركة الملكية الافريقية صاحبة الامتياز التجاري. [2]

ونظراً لإحتلال اليهود مركز إقتصادي كبير بالجزائر سهل عليهم أن يمدوا نفوذهم إلى السياسة داخليا وخارجيا،وذلك بتوطيد علاقاتهم بكبار رجال الإيالة بما فيهم البايات ،وحتى الدايات ،خيث نجد أن باي التيطري مصطفى الوزناجي كان له دور كبير في إعلاء شأن اليهودي نفطالي بوشناق الذي كان له دور كبير توجيه سياسة الوزناجي لما يصبح بايا لقسنطينة .

وقد أدى احتكار اليهود لتجارة الجزائر إلى الحد من توسع التجارة الفرنسية في حوض البحر المتوسط عامة ،والجزائر بصفة خاصة، الشئ الذي أدى بقناصل فرنسا إلى وضع العراقيل أمام التجار اليهود ،فكانت المنافسة اليهودية خطراً كبيراً على المصالح الفرنسية بالجزائر [3]،فالقنصل الفرنسي "دو كيرسي" يشرح لحكومته كيف أنه نجح في ابعاد اليهود، وبعض الأجانب عن تجارة الحبوب ،وقد وعده الداي محمد عثمان باشا بأن يكاتب صالح باي قسنطينة ليمنعه من بيع الحبوب للأجانب غير الفرنسيين.[4]

---

(1) كمال بن صحراوي:الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات،ط1 ،بيت الحكمة ،الجزائر،2009،ص 62.

(2) محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص ص 260.258.

(3) جون ب وولف:المرجع السابق ،ص 393.

(4) بليل رحمونة :المرجع السابق،ص 229.

ومما سبق يمكن القول أن :

هناك مجموعة من العوامل أثرت في مسار علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا الغربية وبخاصة منها فرنسا وإسبانيا ،ولعل أبرزها ما يلي :

. قوة شخصية الداي محمد عثمان باشا مكنته من إتخاذ سياسة حازمة، كان لها الأثر الكبير على توجهاته السياسية في الداخل والخارج ، وكانت إستراتيجيته الخارجية تهدف إلى منع أي تجمع أو تحالف للدول الأوربية ضد الجزائر .

. تزايد نشاط القناصل الأوربيين بالجزائر كان له تأثير كبير على علاقات الجزائر الخارجية، وتوجيهها في كثير من الأحيان لخدمة مصالح حكوماتهم، وذلك من خلال المهام التي كانوا يقومون بها في الجزائر.

. يعتبر نشاط القرصنة من أبرز العوامل التي أثرت على علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوروبا الغربية،والذي خلف خسائر بشرية ومادية كبيرة ،يضاف إلى ذلك عدد كبير من الأسرى، وفي كلا الجانبين.

. شهدت الجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا إزدهار الحركة التجارية الداخلية وتطور المبادلات التجارية الخارجية لتشمل أغلب الدول الأوربية ،حيث ساهمت التجارة الخارجية في بلورة علاقات الجزائر الخارجية خاصة مع دول وممالك أوروبا الغربية ،إذ أصبحت الجزائر مركزاً تجارياً تتنافس الدول الأوربية الكبرى لبسط نفوذها عليه.

. عرفت الجزائر في هذه الفترة بداية تزايد نفوذ اليهود في الحياة الإقتصادية ،حيث سعوا لإحتكار التجارة الجزائرية في الداخل والخارج ،ونافسوا بذلك الدول الأوربية خاصة الفرنسية منها ،مما سهل عليهم أن يكون لهم دور كبير في توجيه السياسة الخارجية للجزائر لاحقاً.

الفصل الثالث :

مظاهر علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا

المبحث الأول: مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية

المبحث الثاني : مظاهر العلاقات الجزائرية الإسبانية

تمهيـد:

عرفت الجزائر منتصف القرن الثامن عشر ميلادي استقرارا سياسيا أثناء حكم الداي محمد عثمان باشا الذي انتهج سياسة خارجية حازمة خاصة مع الدول الأوربية وعلى رأسها فرنسا وإسبانيا ،فشدد الرقابة على الإمتيازات الفرنسية عند طلب تجديدها ،وحد من نفوذ القناصل الأوربيين ،ورفع قيمة الأتاوات السنوية للدول التي كانت تنتفع بالتبادل التجاري مع الجزائر.

إن سياسة الجزائر الخارجية في هذه الفترة اتسمت بالانتظام والتنظيم ،وبالاقتناع المطلق بالقوة البحرية والثروة الاقتصادية ،واللذان كانا عاملين حيويين في توجيهها في كثير من الأحيان، وكان لهذه السياسة التي انتهجها محمد عثمان باشا تأثير كبير على علاقات الجزائر بالدول الأوربية.

فالداي محمد عثمان باشا كان يدرك مدى خطورة مطامع الدول الأوربية وتحالفهم ضدها، فدأب على التصدي لهجمات الدول المعادية ،والتي لم تكن ترتبط مع الجزائر بمعاهدات سلام أو صداقة، وبخاصة إسبانيا التي بقيت علاقاتها مع الجزائر متوترة بسبب نزعتها الصليبية وتمسكها بإحتلال وهران والمرسى الكبير ، فسيرت إسبانيا ثلاث حملات عسكرية ضد الجزائر ،إلا أنها لم تحقق من ورائها أي مكسب مما دفع حكامها بضرورة الإقتناع بإقرار المهادنة مع الجزائر منهياً بذلك الصراع القائم بين البلدين منذ ثلاث قرون .

ومن خلال هذا يمكن أن نتساءل :ما مظاهر علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا خلال حكم الداي محمد عثمان باشا؟وكيف إستطاع الداي محمد عثمان باشا تنظيم علاقاته الخارجية خاصة مع فرنسا وإسبانيا في ظل الأوضاع التي تشهدها منطقة الحوض الغربي للبحر المتوسط في هذه الفترة ؟

المبحث الأول :مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية:

إن ما يلفت الانتباه في العلاقات الجزائرية الفرنسية طوال القرن الثامن عشر ميلادي هو حالة الاستقرار والتعايش السلمي بين البلدين ،رغم وجود بعض المشاكل لكنها لم تؤدي في أي وقت من الأوقات إلى القطيعة ،فالعلاقات بين البلدين لم تشهد منذ بدايتها فترة هدوء واستقرار، وحسن النوايا المتبادلة كالتي شهدتها خلال فترة حكم الداي محمد عثمان باشا، وفي هذا المبحث سأتحدث عن هذه السمة البارزة التي طبعت العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة،باحثا عن أسباب هذا الوفاق ،وتداعياته على علاقات الجزائر الخارجية.

أ) الوفاق الجزائري الفرنسي :

استطاع الداي محمد عثمان باشا أن يحافظ على العلاقات الطيبة مع فرنسا طيلة ربع قرن تقريبا،[1] كما أن فرنسا كانت أكثر حرصا على توطيدها أكثر من أي وقت مضى بالنظر إلى التطورات التي شهدتها منطقة الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط ،وسعياً منها للمحافظة على مصالحها التجارية بالجزائر ،لذلك كانت العلاقة بينهما عموما تتسم بالاستقرار والهدوء ،وهو ما نستخلصه من الرسائل المتبادلة بين الداي محمد عثمان باشا، والمسؤولين الفرنسين التي تعكس طابع الود والاحترام ،ولما تحمله من عبارات التقدير المتبادل .

وقد أكد الداي محمد عثمان باشا على علاقة الصداقة هذه في أغلب رسائله إلى البلاط الفرنسي ففي رسالته إلى البارون تيرغو كاتب الدولة للبحرية الفرنسي في أوت1774م بقوله :« ... أنت تعلم منذ زمن لا ينسى أن علاقتنا مبنية على الصداقة والتحالف مع قصركم، وسأحاول مراعاة شروط السلم التي بيننا وبين إمبراطور فرنسا ...كما أتمنى لصداقتنا الصريحة الاستمرار وأن يدوم الوئام الذي بيننا طويلا ،وكذلك العهود و العقود التي أبرمت بيننا في الماضي تستمر على نفس المكانة التي كانت عليها ...».[2]

---

(1) يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 100 .

(2) Eugéne,Plantet:Op.cit,pp315_316.

وقد حرص الطرفان إلى ازالة أي سبب من شأنه أن يؤدي إلى تعكير صفو العلاقات بينهما،وهو ما اتضح جليا لدى الطرف الفرنسي وذلك باعتلاء لويس السادس عشر عرش مملكة فرنسا سنة 1774م ،وقد كانت العلاقات بين البلدين في عهد هذا الملك مميزة عن الفترة التي سبقتها والتي ستليها[1].

وبعد أن عين لويس السادس عشر كملك لفرنسا بادر بابلاغ الجزائر بذلك في رسالة بعث بها إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ 12 ماي 1774م[2] يخبره فيها بموت سلفه لويس الخامس عشر ،و يوضح للداي أن الأصدقاء الأجانب فقدوا صديقاً حميماً يشهد له بالخير لذلك رغبت فرنسا أن تواصل في الطريق الذي رسمه لها لويس الخامس عشر لتكون بذلك العدالة من الأسس الصحيحة التي تجمع بين الشعوب الأجنبية، هذا وقد أبدى لويس السادس عشر رغبته في مواصلة تطبيق كل الاتفاقيات الموجودة بين فرنسا والجزائر ،وفي الأخير بين أن فرنسا مقتنعة بأن الجزائرستوافق على ذلك حتى تدوم الصداقة والسلم والثقة المتبادلة بينهما.

كما أن لويس السادس عشر لم يكتف باقرار وتثبيت كل المعاهدات التي أبرمت مع الجزائر بل أضاف شيئاً جديداً على عكس ما كان يفعله الملوك الذين سبقوه،وهو اخبار الداي بميلاد واحد من أمراء الأسرة الملكية، وهو الأمير دوق أنقولام "Doc d'Angoulame" ،فقد عبر في رسالة مؤرخة في 6 أوت 1775م عن رغبته في مشاركة الحلفاء ،والاصدقاء هذه الفرحة. [3]

وبالمقابل أرسل الداي محمد عثمان باشا جواباً إلى لويس السادس عشر في 2 سبتمبر 1775م[4] يخبره فيه بأنه يبادل فرنسا ،وملكها الفرحة ،وبعد أن هنأ الملك بازدياد الأمير دوق أنقولام ذكر الإتفاقيات المبرمة بينهما ،وأرادها أن تكون بمثابة الحافز الأخوي بين الشعبين ،كما أوضح أن الجزائر على استعداد لتطبيق كل النصوص الموقعة بينها ،وبين فرنسا في كل المجالات .

وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على مدى الصداقة التي وصلت إليها العلاقات الجزائرية الفرنسية في هذه الفترة حتى في أبسط الأمور.

---

(1) جمال قنان:المرجع السابق،163 .

(2) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 307_ 308 .

(3) حول هذه الرسالة، ينظر الملحق الأول من هذه المذكرة، ص 137.

(4) حول هذه الرسالة، ينظر الملحق الثاني من هذه المذكرة، ص ص 139-140.

ب) تثبيت وتجديد معاهدات التجارة والصداقة بين البلدين :

عرفت الجزائر في عهد الداي محمد عثمان باشا تزايد النفوذ الفرنسي خاصة في الميدان التجاري وقد كانت فرنسا ملزمة بحسب الاتفاق المبرم بين البلدين على دفع الإتاوات للجزائر في كل مرة يتم فيها تغيير وكيل الباستيون، وبعد أن غيرت فرنسا السيد كاسيل وكيل الباستيون بمدينة الجزائر وحل محله السيد مايفرن[1]، قام الداي في 23 ماي 1767م[2] باقرار وتثبيت للمعاهدة الخاصة بالباستيون المبرمة سنة 1695م، مع اضافة ترتيبات جديدة ،وذلك مع القنصل جون أونطوان فاليير [3] (Jean Antoine Vallière) بمعية السيد مايفرن وكيل الباستيون الجديد ،وقد نص الاتفاق على أن يقوم السيد مايفرن بتقديم عشرة آلاف قرش قسنطيني للداي، وستة آلاف صيام إلى مانحي الجوازات تدفع على مدى عشرة سنوات، لكن الإتاوات من الأقمشة ستبقى سارية المفعول ،وتحصل دائما عند تغيير الوكيل سواءا مرت عشر سنوات أولم تمر.[4]

كما أنه في 10 جوان 1768م قام الداي محمد عثمان باشا باقرار وتثبيت للمعاهدة الخاصة بالباستيون مع القنصل فاليير ،والسيد مايفرن وكيل الباستيون،وقد أثبت هذا الاتفاق وأقر المعاهدة السابقة، ولم يضف شيئا جديدا عليها غير ذلك الترتيب الذي ينص على التأكيد على عدم تغيير عدد المباني الموجودة بالقالة، كما سمح لعمال الباستيون الاتجار في المرفأ المسمى "تكوش" بنفس الطريقة المتبعة في الموانئ الأخرى التي يرتادونها وفقا للمعاهدة بدون أن يقلقهم أحد أو يمنعهم من ذلك.[5]

---

(1) مايفرن:هو جوزيف بيار مايفرن من مواليد مدينة طولون سنة 1723 م، أقام مدة طويلة بمدينة الجزائر (1752-1794) بغرض التجارة ،كانت تربطه بالداي محمد عثمان باشا ووكيل الخرج حسن علاقة صداقة وطيدة ،حيث كلف سنة 1777م بإدارة شؤون القنصلية الفرنسية حتى سنة 1782،للمزيد ينظر:جمال قنان :المرجع السابق ،ص60.

(2) مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق،ص 90 .

(3) جون أونطوان فاليير :دبلوماسي فرنسي ،عمل كاتبا لمحافظة مارسيليا ،وفي سنة 1745 م عين مستشارا لنائب قنصل بلاده في كانديا (Candie) ، ثم التحق بقنصلية فرنسا في طرابلس الغرب سنة 1748 م، ارتقى إلى نائب قنصل في الأسكندرية سنة 1752، أنهى مشواره الدبلوماسي قنصلا في الجزائر فيما بين(1763-1774)،للمزيد ينظر:عبد القادر فكاير:المرجع السابق،ص 265 .

(4)جمال قنان: المرجع السابق ،ص 335.

(5)نفسه :ص 336.

ج) احتكار فرنسا للتجارة الخارجية الجزائرية :

سعت فرنسا إلى المحافظة على مصالحها التجارية بالجزائر، وما يبين هذا كثرة المبعوثين والمفاوضين ما بين البلدين، والنشاط المكثف للدبلوماسية الفرنسية المتمثلة في شخص قنصلها بالجزائر لا سيما القنصل" فالبير" الذي كان له الدور البارز في حماية مصالح فرنسا التجارية وعمله الدؤوب لحل المشاكل التي كانت تواجهها المؤسسات الفرنسية ،كما يشهد لذلك في احدى مراسلاته :« قمت بعدة مساعي مع الداي من أجل حل مشاكل المؤسسات المتعلقة بتوقف شراء الصوف من عنابة، وطلبت منه توجيه أوامر صارمة لباي قسنطينة من أجل إحترام معاهدة الإمتيازات للمؤسسات الفرنسية ،على أن يعطيني رسالة توصية تسلم مباشرة للباي دون المرور بكاتبه الذي يعرقل نشاطنا... ».[1] كما أكد القنصل فالبير أنه :لن يدخر جهدا في حماية مصالح الشركة الملكية الإفريقية.

وكانت المنافسة بين القناصل الأوربين بالجزائر شديدة،من أجل حماية مصالح بلدانهم التجارية، وذلك بابعاد كل من يشكل خطر على مصالحهم ،فهذا القنصل "دي كيرسي" يشرح لحكومته كيف أنه نجح في ابعاد النفوذ ،وبعض الأجانب ذوي العلاقات مع باي قسنطينة عن تجارة الحبوب ،وقد وعده الداي محمد عثمان باشا بأنه سيكاتب صالح باي ليمنعه من بيع الحبوب للأجانب غير الفرنسيين.[2]

كما يؤكد موثق القنصلية الفرنسية "أستون سياليف" أنه سيبذل جهده بمعية القنصل دي كيرسي لاستعادة مكانة المؤسسات الفرنسية ،وذلك باستغلال مساعدة الخزناجي عند قدوم باي قسنطينة إلى مدينة الجزائر، والمطالبة بالحصول على 806 قفيز من القمح[3]

وقد أكد الداي محمد عثمان باشا في أكثر من مناسبة على حماية المصالح التجارية الفرنسية بالجزائر، وقد أشار إلى ذلك في رسالة إلى البارون تيرغو في أوت 1774م، جاء فيها :«...سأحرص بثبات على اقامة الفرنسيين في هذا البلد وعلى علاقاتهم ومشاريعهم هنا ،فالميزات والهبات ستبقى إلى وقتنا الحاضر ،ولهم الأولوية بالنسبة للدول الأوربية الأخرى....»[4]

---

(1)Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 321_323

(2) بليل رحمونة :المرجع السابق،ص 229 .

(3)Devoulx,A: La Régence d'Alger sous le consulat et l'Empire ,R AF , 1887,p250 .

(4) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 315_317 .

وفي ظل المنافسة بين فرنسا وانجليترا على الظفر بالإمتيازات في الجزائر، وبخاصة التجارية منها سعت فرنسا إلى زيادة التوسع في نشاطها التجاري بالجزائر ،فكانت الشركة الملكية الإفريقية تستحوذ على أغلب المنتجات الجزائرية خاصة بالشرق، فكانت ترمي إلى جلب أكبر كمية ممكنة من حبوب الشرق الجزائري إلى فرنسا ،حيث ساهمت هذه الشركة ،كما ستساهم الشركات التي جاءت بعدها في انقاذ آلاف الفرنسيين من المجاعات القاتلة ،حتى أنها وسعت نشاطها إلى ميادين أخرى غير صيد المرجان، وتجارة الحبوب حيث أصبحت الشركة تتعاطى تجارة الجلود، والصوف والشموع والزيوت، وغيرها من المواد التي تحتاجها المعامل الفرنسية .

لهذا الغرض أنشأت الشركة عدة فروع لها عبر أغلب الموانئ الجزائرية ، أول هذه المراكز هو حصن فرنسا الذي يقع شرق مدينة عنابة على بعد حوالي 48كلم،إلا أنه لم يكن مقر الشركة الرئيسي بسبب الأوبئة التي تجتاحه من حين لأخر ،فاتخذت الشركة القالة مقرا رئيسيا لها بدلا من الحصن [1]،وتأتي عنابة بعد القالة من حيث الأهمية، ويعزى إليها جميع العمليات التجارية التي تتم في ميناء ستورة الواقع غرب مدينة سكيكدة،كما أسست الشركة مركزا أخر في مدينة القل، وتعتبر جيجل وبجاية فرعين من ميناء القل التجاري .

وقد حظيت الشركة الملكية بامتيازات ومساعدات من السلطات الفرنسية ،ومن الملك نفسه لم تتوفر لغيرها من الهيئات التي سبقتها ،وقد تطورت الشركة تطورا ملموسا في عهد الداي محمد عثمان باشا ،فازدهرت جميع تجارتها ،فجمعت الأرباح الطائلة ،ونقلت إلى فرنسا كميات ضخمة من الحبوب ،وقد ورد في رسالة إلى الملك : «إن مرسيليا استوردت في شهر فيفري 1787م من مختلف أنحاء فرنسا ومن العالم 67,922 حمولة من القمح الضروري لتموين عمالات الوسط والبروفانس ،وكان اسهام الشركة الملكية الإفريقية في ذلك يقدر بعدد 17,125 حمولة خرجت من عنابة والقالة وحدها »[2].

وتشير الإحصائيات أن الشرق الجزائري كان يصدر إلى مرسيليا عن طريق المؤسسات الفرنسية وحدها 32% مما تستورده هذه المدينة الفرنسية من الحبوب.

---

(1) محمد العربي الزبيري:المرجع السابق،ص 198.

(2) نفسه :ص 204.

د) توتر العلاقات دون القطيعة :

على الرغم من أن العلاقات بين الجزائر، وفرنسا في عهد الداي محمد عثمان باشا قد غلب عليها طابع الود والاحترام ،إلا أنها عرفت فترات من التوتر والاضطراب، وعدم ارتياح الداي من بعض التجاوزات الفرنسية، والتي كانت أغلبها حوادث بحرية ،هذه التجاوزات ورغم تكرارها إلا أنها لم تؤد إلى قطع العلاقات بين البلدين، ففي رسالة مؤرخة في 08 أفريل 1766م[1] وجهت للداي محمد عثمان باشا من قبل "الدوق براسلان" كاتب الدولة للبحرية الفرنسية ،و الذي شكا فيها من قيام بعض السفن الحربية الجزائرية بانتهاك حرمة المياه الاقليمية الفرنسية طالبا منه معاقبة البحارة المعتدين ،ومبرزا قدم الصداقة القائمة بين البلدين، وقد أجابه الداي محمد عثمان باشا في رسالة بتاريخ 13 ماي 1766 م[2] مؤكدا له على معاقبة كل من يخالف بنود المعاهدات المبرمة بين البلدين ،كما طالب الداي بالتزام البحارة الفرنسيين بقوانين البحر المعمول بها ،وبالعقود المبرمة بين البلدين.

وقد وقعت عدة حوادث نتيجة تأثيرات الظروف التي شهدتها منطقة البحر المتوسط في هذه الفترة ،ولا سيما الحرب الروسية العثمانية من جهة، والحرب الجزائرية الإسبانية من جهة أخرى على العلاقات الجزائرية الفرنسية في عهد الداي محمد عثمان باشا .

ومن بين هذه الحوادث، والتي بينت عمق العلاقات بين البلدين ،كما بينت اهتمام الداي برعاياه في الداخل والخارج،هو اضطرار بعض التجار الجزائريون الذين كانوا في ميناء الإسكندرية إلى استأجار سفينة فرنسية للعودة بها إلى الجزائر على اعتبار أنها توفر لهم الأمن أمام الروس، وأمام فرسان مالطا بحكم أن هذين البلدين تربطهم علاقات صداقة مع فرنسا، وفي أثناء الطريق توقفوا في بعض الموانئ الأمنة أين التقوا بفرقاطتين حربيتين تابعتين للأسطول الفرنسي، وقد أشار عليهم ضباطهما على متابعة طريقهم نحو الجزائر مؤكدين لهم أنه لا يتجرأ عليهم أحد ما داموا يقلون سفينة فرنسية ،لكن بعد خروجهم من هذا الميناء مستأنفين طريقهم نحو الجزائر هاجمهم الروس الذين نقلوهم إلى مالطة حيث صودرت سلعهم واسترقوا [3].

(1)Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 293_295 .

(2) Ibid:pp 293_295 .

(3) جمال قنان:المرجع السابق،ص 165 .

لقد طلب الداي محمد عثمان باشا من السلطات الفرنسية في رسالة إلى القس تراي كاتب الدولة للبحرية الفرنسية بتاريخ 14 مارس 1771 م السعي لاطلاق سراح التجار ،ورد بضائعهم إليهم أو تعويضها بما يقابلها من النقود ،مبينا أن هؤلاء كانوا يقلون سفينة فرنسية ومبحرين تحت العلم الفرنسي ،وتابعوا طريقهم بناءا على الضمانات التي أعطاها لهم ضباط السفينتين الفرنسيتين، حيث قال الداي في رسالته هذه « ... إنكم تعرفون أكثر من أي أحد تقاليد البر والبحر، وتقرون أنه ليس بمحمود ولا بنزيه أن تتم مضايقتنا بهذه الصورة في الوقت الذي نسعى فيه إلى توسيع وتطوير حسن التفاهم المشترك بيننا....».[1]

ولقد استجابت فرنسا لهذا الطلب، فقامت بمساع حثيثة ومتصلة في كل من سان بطرسبورغ ولدى فرسان مالطا ،حيث كللت مساعيها هذه بإطلاق سراح التجار وردت لهم سلعهم.

وفي سنة 1775 م وعلى اثر الحملة الاسبانية ضد الجزائر ،قام الداي محمد عثمان باشا بارسال هدايا للسلطان العثماني ،وبهذه المناسبة فقد طلب الداي بعض المساعدات من السلطان لشد أزر البلاد من الاعتداءات الخارجية خاصة ضد اسبانيا، وبالرغم من الظروف الصعبة التي كانت تعيشها الدولة العثمانية في ذلك الوقت ،إلا أن السلطان قرر ارسال مساعدات عسكرية معتبرة لكن وصول الأخيرة إلى الجزائر طرح مشكلة أمام السلطات الجزائرية ،إلى أن وقع اختيارها على الراية الفرنسية على اعتبار أنها توفر ضمانا أكثر لنقل المعدات إلى الجزائر ،نظرا للمكانة التي تحضى بها فرنسا في الحوض الشرقي للمتوسط بسبب صداقتها القديمة مع الدولة العثمانية ،ولكونها كذلك في حالة سلم مع كل من إسبانيا والإمارات الإيطالية ،ولعلاقاتها الخاصة مع فرسان مالطا إلى جانب صداقتها مع الروس، هذه الاعتبارات جعلت المسؤولين الجزائريين يعتبرون أن الراية الفرنسية هي أفضل ،وأكثر ضمانا من أية راية دولة أوربية أخرى ،يضاف إلى هذا اعتبار آخر هو الصداقة القائمة بين البلدين، والخدمات التي سبق للجزائر أن قدمتها لفرنسا في ظروف صعبة.[2]

---

(1) Eugéne,Plantet ,Op.cit,pp 300_302 .

(2) جمال قنان:المرجع السابق،ص 166 .

إلا أن ترتيبات معاهدة السلم بين البلدين لا تلزم فرنسا بأي شيء من هذا القبيل ،وقد تحجج سفير فرنسا بالقسطنطينية وربابنة السفن الفرنسية بأن القانون الأوربي ينص على عدم جواز قيام دولة محايدة بنقل سلع ومواد ذات طابع عسكري لطرف من طرفي النزاع،ليرفضوا نقل هذه المعدات إلى الجزائر.

وقد تبادل الطرفان الجزائري والفرنسي عددا من الرسائل حول هذه المسألة،حيث اعتمد الجانب الجزائري في الدفاع عن وجهة نظره على عنصرين أساسيين أولهما أنه سبق للجزائر أن إكترت في السابق سفنا أوربية لنقل هذا النوع من المعدات من القسطنطينية إلى الجزائر، ولم يسبق أن أثيرت اعتراضات من أي أحد على ذلك، ولا يقدم تبرير للرفض كالذي يثار الأن،والعنصر الثاني أن هذه المعدات ترسل من بلد إسلامي إلى بلد إسلامي آخر .

لهذا أبدت فرنسا تفهما كبيرا للخدمة التي طلبتها منها الجزائر ،وحاولت فرنسا أن تجد طريقا يوفق بين التزاماتها الأوربية ،وعلاقاتها الوطيدة مع الجزائر والدولة العثمانية ،ويبدوا أن الملك لويس السادس عشر هو الذي يكون قد طلب من رجال بحريته على أن يفسروا البند السابع عشر من معاهدة 1689م تفسيرا يستجيب مبدئيا لرغبة الجزائر من جهة وعدم إظهار فرنسا بكونها أتنهكت إلتزاماتها الأوربية من جهة أخرى.[1]

وبالفعل فقد تم الاتفاق بين البلدين على أن يتم اكتراء سفن فرنسية لنقل هذه المعدات التي سيتم تفريغها في ميناء حلق الوادي بتونس، ثم تنقل إلى الجزائر [2]،وتم بالفعل نقل هذه المعدات على متن سفينة فرنسية ولكن لم يتم تفريقها في تونس ،ذلك أن القنصل الفرنسي بالمدينة أكد للسيد حسن وكيل الحرج ومبعوث الجزائر إلى البلاط العثماني الذي رافق الشحنة بأنه لا يوجد في الطريق أي مخاوف وأن بإمكانه إستئناف طريقه بحرا إلى مدينة الجزائر ،غير أن السفن الإسبانية أعترضت السفينة الفرنسية واستولت على شحنتها كما قامت بأسر وكيل الحرج ومرافقيه وساقتهم إلى مدينة قرطاجنة .[3]

---

(1) جمال قنان: المرجع السابق،ص 165 .

(2) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 322_343 .

(3) جمال قنان: المرجع السابق،ص 167 .

أثارت هذه الحادثة جدال كبير بين البلدين، وكانت سببا في توتر العلاقات بينهما ،حيث طلب الداي محمد عثمان باشا السلطات الفرنسية رد الشحنة وإطلاق سراح الأسرى ،حيث وضع هذا الطلب فرنسا في موقف حرج للغاية .

إذ يبدو أن الاتفاق كان قد تم بين البلدين على نقل هذه المعدات بدون ضمانها،وهو ما جعل كاتب الدولة للبحرية الفرنسية الكونت "دو سارتان" يتعرض بالتفصيل في رسالة بعثها للداي محمد عثمان باشا بتاريخ 29 جويلية 1776م[1]،لترتيبات معاهدة 1689م، وخاصة بالنسبة للبند السابع عشر منها معلنا في نفس الوقت أن الملك حرصا منه على الصداقة بين فرنسا والجزائر سيقوم بمساع لدى البلاط الإسباني لإسترداد المعدات التي تمت مصادرتها أو تعويضها بثمنها.

كما تعكرت العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال المنتصف الثاني من عام 1786م بسبب حادثة وقعت قرب السواحل الفرنسية عند نهاية ربيع هذه السنة ،فحسب شهادة قائد السفينة الجزائرية أنه بعد استلائهم على مركبين جانويين وأسر بحارتيهما في البحار العالية ،توجهوا إلى ساحل جزيرة هيير الفرنسية ،حيث هاجمتهم سفن حربية فرنسية داخل المياه الإقليمية مما أدى إلى غرق الشبك الجزائري واضطرار البحارة ،وأسراهم إلى السباحة حتى الشاطئ للنجاة بأنفسهم.

لقد قامت السلطات الفرنسية بنقلهم إلى الحجر الصحي ،ومن ثم خصصت لهم سفينة حملتهم إلى بلادهم التي حلوا بها آوخر سنة 1786م ،واعتمادا على الرواية الجزائرية فإن السلطات الفرنسية تعتبر مسؤولة عن هذه الحادثة كما أنها تعتبر خرقا للصلح ،إن لم يكن عدوانا على بلد صديق وضياع الغنائم الجنوية داخل حرمة المياه الاقليمية الفرنسية ،وهوما يجعل من فرنسا مسؤولة وملزمة بتعويض هذه الغنائم.[2]

لقد احتج الداي محمد عثمان باشا على هذه التجاوزات بشدة ،وأرسل قائمة بالمطالب التعويضية الناجمة عن هذه الحادثة ،وحدد أجلا للترضية،وفي حالة عدم الاستجابة ،فإنه لمح بأنه سوف يجد وسيلة لتعويض الأضرار التي لحقت بالجزائر ماديا وبشريا.

---

(1) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 332_337 .

(2) جمال قنان: المرجع السابق،ص 22.

لقد رد كاتب الدولة للبحرية الفرنسية المركيز "دو كاستري (De Kastries) على هذه المطالب برسالة مطولة بعث بها إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ 19 جانفي 1787م [1]حيث شرح فيها وجهة نظر فرنسا حول الحادثة.

فالهجوم الذي وقع على السفينة الجزائرية لم تقم به السفن الفرنسية كما يدعي قائدها وإنما قامت به سفن حربية تابعة لمملكة نابولي،وأن الرايس الجزائري كان قد تراجع عن أقواله الأولى واعترف بأن المعتدين هم النابوليتان وليس الفرنسيين ،كما يعترف كاتب الدولة بأن الهجوم وقع فعلا داخل المياه الإقليمية الفرنسية ،وبالتالي فهو يقبل مبدأ تعويض الطرف المتضرر كما تنص على ذلك المعاهدات المبرمة بين البلدين.

أما بالنسبة للغنيمة الجنوية فالسلطات الفرنسية ترى أن السفينة الجزائرية هي التي هاجمت الجنويين داخل المياه الإقليمية الفرنسية منتهكة بذلك ترتيبات البند السابع عشر من معاهدة 1689م.وبالتالي فإن الجزائر مطالبة من جهتها هي الأخرى تعويض الجنويين عن هذا الإعتداء .كما أعلن كاتب الدولة للبحرية بأنه سيوفد مبعوثاخاصا إلى الجزائر ومعه كل الأدلة التي سيتم جمعها في عين المكان للتأكد من صحة الرواية الفرنسية .

وفي 28 سبتمبر 1788م وصل المبعوث الفرنسي "فونتير دي بارادي" إلى الجزائر حاملا رسالة للداي محمد عثمان باشا[2]، ومزودا بالتعليمات الجديدة للقنصل دي كيرسي، والذي كلف لتسوية هذه القضية، وبشد أزره في مفاوضاته مع السلطات الجزائرية، ويبدو أن الأدلة التي قدمها المبعوث لم يقتنع بها الداي محمد عثمان باشا .ولقد عبر كاتب الدولة للبحرية الفرنسي عن رغبة بلاده في تسوية هذه المسألة مؤكدا أنه أعطى تعليمات للقنصل دي كيرسي في هذا الاتجاه راجيا من الداي اعادة النظر في تقدير التعويضات المالية التي يطالب بها ،حيث عرض الداي أن يتم تعويض السفينة الجزائرية بسفينة حربية مشابهة، وهو ما لم تقبله السلطات الفرنسية تحت ذريعة أنها لم تجد سفينة بمواصفات السفن من نوع الشبك الجزائرية ،وهذا من عادة فرنسا دائما حيث أنها في كل مرة تجد حرجا في تمويل الجزائر بالمعدات ،والسلاح ما يدل على حقدها الدفين للجزائر رغم الصداقة المعلنة .

---

(1) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 376_381 .

(2) جمال قنان : المرجع السابق،ص 25 .

هـ) المبادرة الفرنسية لابرام الصلح بين الجزائر وإسبانيا:

أثناء الحملة الإسبانية على الجزائر عام 1775م ، وقعت فرنسا في حرج كبير، إذ لم يكن سهلا عليها اتخاذ موقف مناف لأحد البلدين دون الأخر، لأنها صاحبة الامتيازات الكبيرة في الجزائر وليس بامكانها التضحية بها، كما أنها لم تحقق السلم مع اسبانيا إلا بعد جهد كبير .

وبمنطق المصالح تدخلت فرنسا،وطرحت مبادرة للصلح بين الجزائر وإسبانيا سنة 1776 م،لأن مصالحها في المتوسط ستتأثر بشكل كبير بحالة الحرب القائمة بين البلدين.وفي هذه المبادرة سعت فرنسا عن طريق قنصلها السابق بالجزائر تحقيق رغبة إسبانيا للصلح مع الجزائر.

رغم أن الفرنسيين كانوا يرون في كل تقارب بين الجزائر وإسبانيا تهديدا لمصالحهم ،فانهم لم يعد لهم الخيار إلا التدخل للتقليل من حدة هذا التوتر، ،حيث ورد أن البلاط الفرنسي قد أعد مشروعا للمفاوضات بين أسبانيا والجزائر سنة 1776 م وفي هذا الوقت كانت فرنسا تسعى لتدعيم حليفتها أسبانيا ضد الانجليز الذين كانوا مشغولين بحرب التحرير الأمريكية، و ظهرت هذه المهمة من خلال بعض الرسائل المتبادلة بين بعض الشخصيات الفرنسية والأسبانية والإيطالية .[1]

ومن بين هذه الشخصيات السيد سان ديديي "M.St.Didier" [2] الذي اعتبر هذه المبادرة مشروعا مهما لفرنسا لذلك بعث برسائل إلى عدد من الشخصيات التي بامكانها تحقيق هذا المشروع ،ومن هذه الرسائل الخطاب الموجه للقنصل السابق لفرنسا في الجزائر السيد فاليير،والذي رأت فيه فرنسا الرجل المناسب للقيام بدور الوسيط ،حيث بين له في الخطاب الأسباب السياسية التي يجب أن تدفع إسبانيا لاقامة السلام مع الجزائر، والفوائد التي تعود على فرنسا في حالة تمكنها من ابعاد الانجليز عن البحر المتوسط ، وبهذا يكون قد قدم أفضل خدمة للبلاطين الفرنسي والأسباني ،كما شدد على حكومته السعي من أجل تذويب الخلافات بين الطرفين والوصول إلى اقناعهما بضرورة عقد الصلح بينهما[3].

وأوضح سان ديديي أن ضعف الإسبان سيؤدي حتما إلى تشجيع أعدائها الذين سيعملون على ضم مستعمراتها ،مما يتسبب في نشوب حرب جديدة ستتحمل فرنسا العبء الأكبر فيها.

---

(1)عبد القادر فكاير: المرجع السابق،ص 265 .

(2) سان ديدي :الأمين الأول لمكاتب البحرية المكلف بالقنصليات الفرنسية لدى دول المغرب والمشرق،للمزيد ينظر :عبد القادر فكاير :نفسه ،ص 265 .

(3) جمال قنان :معاهدات ....،المرجع السابق،ص 281.

إضافة إلى ذلك اقترح سان ديديي على القنصل فاليير أن ينتقل بنفسه إلى الجزائر لاجراء المفاوضات بصورة مباشرة ومتابعتها شخصيا، أو أن يفوض عنه شخصا آخر ليقترح باسمه التسوية على الداي محمد عثمان باشا وكبار ضباطه ، وعليه أن يشعره بأن مصلحته الخاصة تقتضي هذا المسعى ، لأن الجزائر ستجني من تحالفهم مع أمراء آل بوربون عدة فوائد منها التسهيلات التي يطلقونها في موانئهم ، إذ يحصلون على مختلف أنواع النجدات ، وعلى الأسلحة التي هم في حاجة إليها، مما يمكنهم من دعم قوتهم ،واعلان الحرب على كل القوات الأوربية، وخاصة الروسية التي تعد من الأعداء الرئيسيين للمسلمين .

كل هذه الاغراءات المذكورة في الرسالة لم تمنع من وجود بعض الوعيد ، أخطره القيام بضرب مدينة الجزائر عن طريق النزول من الجهة الغربية ، وختمت الرسالة بأنه لا يطلب من الجزائريين شروط أخرى غير تلك التي موجودة في معاهدات الجزائر مع فرنسا [1].

إن رد فاليير على خطاب سان ديديي كان برسالتين مؤرختين في 11 و 27 ديسمبر 1776 م[2] وأهم ما جاء فيهما، هو أن المفاوضات ستفشل حتما إذا أسندت لشخص ثالث غير الذي يعرفه الداي ويثق فيه ،وحرصا على نجاح هذا المسعى ،وإبعاد كل ما من شأنه أن يفشل هذه المفاوضات ،وذلك بأن يذهب إلى الجزائر لجس النبض ، وتهيئة الضباط الرئيسيين للإيالة لمعاضدة رؤى الملك الفرنسي ، وكسب أولئك الذين يخشى معارضتهم بالمكافآت ، وأن يخفي موضوع مهمته ، ولا يظهر صفته كمبعوث ،ولا يستعمل الصلاحيات المخول بها إلا عندما يرى أن العملية قد تقدمت نحو الأفضل ،وكل الترتيبات تؤكد نجاحها ،

حدد فاليير كمية الهدايا ما بين 10 أو 12 رطل من الجواهر والأقمشة التي اقترح إهداءها باسمه ، وهناك هدايا أخرى يعد بها ، ولن توزع إلا بعد إمضاء المعاهدة .

كما ذكر أن توقيت الذهاب إلى الجزائر يكون في فترة إجازة القنصل دي لا فالي[3] (De.La.Vallée) على أن يحمل المبعوث صفة القنصل الجديد.

---

(1) جمال قنان:نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر...،المرجع السابق،ص ص 278.275.

(2) عبد القادر فكاير:المرجع السابق،ص 266.

(3) اسمه الكامل روبير لويس لانغواسور دي لا فالي ، تولى قنصلية بلاده في الجزائر ما بين 1774–1782م،للمزيد ينظر : يحي بوعزيز :المرجع السابق ،ص 162 .

رغم هذا الحرص وهذه المساعي المبذولة من طرف الفرنسيين إلا أنها باءت كلها بالفشل ، وقد ذكر مقدم هذه الرسائل أن وزارة الخارجية الفرنسية في 3 أوت 1777 م،أعلنت أن البلاط الأسباني تراجع عن مبادئه ، وعليه فإنه فلن يكون هناك أي حديث عن المشروع المقترح ، الذي تخلى عنه ديوان مدريد نهائيا ، كما ذكر عودة القنصل دي لا فالي إلى منصبه في الجزائر، لكنه لم يذكر تفاصيل نشاط فالبير في الجزائر ، ولا موقف حكامها من عرض هذا الوسيط .[1]

و) تجديد معاهدة السلم المئوي:

حاول الطرفان الجزائري والفرنسي ،إلى وضع حد للمسائل الشائكة بينهما وتسويتها ،وهذا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر عندما تكررت الحوادث البحرية بينهما وقد تركزت هذه الاعتداءات على السواحل ،وفي المياه الاقليمية الفرنسية ،ويكون حل هذه المشاكل في اطار المفاوضات التي ستجري بينهما لتمديد معاهدة السلم المئوي [2] ،وفي هذا الاطار بعث لويس السادس عشر رسالة إلى الداي محمد عثمان باشا في 06سبتمبر 1789م[3] ذكر له فيها بعض الأمور التي سادها سوء التفاهم بين فرنسا والجزائر ،لذلك عبر له عن رغبته في وضع بعض التعديلات على نصوص الاتفاقيات الموقعة بين الطرفين ،والتي تخص السواحل الخاصة بالبواخر البحرية والتجارية منها ،وهذا بعد الشكوى التي قدمت من طرفهم بعد إيقاف المبعوث الخاص سان نوفيل (De Senneville)، والذي يعتبر من الضباط الأوائل في الجيش البحري الفرنسي ،ولقد جاء هذا المبعوث لتمديد السلم.[4]

وبعد مدة قصيرة بعث لويس السادس عشر برسالة أخرى إلى الداي محمد عثمان باشا يبين فيها حرصه على انهاء المشاكل المختلفة القائمة بين البلدين منذ مدة طويلة ،ومن أجل اهاء تلك المشاكل اقترح بعض التعديلات التي لا بد منها في بعض نصوص القوانين[5]، التي تخص المياه البحرية الدولية لابحار السفن التجارية الجزائرية، ولقد كلف سان نوفيل بالعمل على وضع حد لهذه المشاكل، وعلى ايجاد آليات محكمة حتى يدوم السلم بين البلدين.[6]

---

(1) عبد القادر فكاير: المرجع السابق ،ص 267 .

(2) حول نص المعاهدة ينظر:جمال قنان :نصوص ووثائق...،المرجع السابق،ص ص 157.162.

(3) Eugéne,Plantet ,Op.cit,pp 389_390 .

(4) يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 104 .

(5) مولود قاسم نايت بلقاسم:المرجع السابق،ص 95 .

(6) جمال قنان :معاهدات.. ،المرجع السابق،ص 173 .

كانت قضية تجديد معاهدة السلم المئوي الشغل الشاغل لكل من الجزائر وفرنسا في منتصف ثمانينات القرن الثامن عشر ،وذلك باقتراب نهاية مدة سريان مفعولها، لأنها ستنتهي عند أواخر 1788م ،وعندما أثيرت هذه المسألة تبين أن هناك خلافا بين البلدين حول بداية سريان مفعول المعاهدة المئوية الأولى، فالجانب الجزائري يعتبر أن بدايته بتاريخ توقيعها في 24 سبتمبر 1689م ،بينما الجانب الفرنسي يرى أن هذه المعاهدة كانت قد مددت عام 1719م، ويبدأ حساب المائة سنة ابتداءا من هذه السنة، وعليه حسب الفرنسيين أنه لن ينتهي أجلها إلا في عام 1814م.[1]

إستندت الجزائر في وجهة نظرها على الأساس الواقعي،إذ ترى أن الذي حدث عام 1719م كان اضافة بنود جديدة لمعاهدة 1689م ،والتي سويت بها بعض القضايا التي كانت عالقة ،ومحل نزاع وقتذاك،كما حدث عام 1732م، وعام 1764م.

لكن الطرف الفرنسي اعتبر أن سنة 1719م هي التي يبدأ فيها حساب المائة سنة ،وهو موقف لا أساس له من الصحة في شيء فالطرف الفرنسي هو الذي أثار قضية تجديد المعاهدة.

وفي ظل الأوضاع الداخلية التي شهدتها فرنسا سنة 1789م ،وانعكاسها على علاقاتها الخارجية ما جعلها تسعى لتصفية كل مشاكلها المعلقة مع الجزائر، وحرصها على استمرار علاقات الصداقة والتعاون، لهذا سعت فرنسا لدى الباب العالي تلتمس وساطته من أجل تسوية المشاكل بينهما بالتفاهم والتراضي ،لأجل ذلك أوفد السلطان العثماني في فيفري 1790م مبعوثا خاصا هو "حسين أفندي زادة "حاملا فرمانا يقضي بدعم ومساندة المبعوث الفرنسي في مفاوضاته مع السلطات الجزائرية .[2]

سبب المسعى الفرنسي عدم رضا الداي على فرنسا، مما جعله يستدعي مبعوثها فونتير دي برادي وطلب منه توضيح سبب ايفاد المبعوث العثماني ،وأن يبلغ قنصل بلده بترحيل هذا المبعوث وبضرورة تسديد نفقات إقامته ،وقد رد القنصل الفرنسي بأنه لا يملك الصلاحيات للقيام بذلك[3].

---

(1)جمال قنان :معاهدات ...،المرجع السابق،ص 172 .

(2) جمال قنان :العلاقات..،المرجع السابق،ص 27 .

(3) Eugéne,Plantet :Op.cit,p 390 .

وصل الفارس سانفيل إلى الجزائر في 26 فيفري 1790 م ، حاملا رسالتين إلى الداي محمد عثمان باشا احداهما رسالة مجاملة من الملك لويس السادس عشر،والثانية من كاتب الدولة للبحرية الكاتب دولا لوزيرن [1]،الذي تتلخص حول مهمة المبعوث سانفيل من اجل التفاوض وتسوية المسائل الخاصة بالتعويضات إلى جانب تعديل بعض بنود معاهدة السلم المئوي خاصة البند التاسع منها المتعلق بتحديد مجال المياه الإقليمية الفرنسية الذي هو مصدر لكثير من المشاكل وضبط صور الجوازات التي تزود بها السفن الفرنسية لمنع التجاوزات التي تحدث بهذا الخصوص .[2]

لقد كللت هذه المفاوضات بالنجاح بتوقيع اتفاق بين البلدين في 29 مارس 1790م ،يمدد أجل الصلح إلى مائة سنة أخرى ابتداءا من تاريخ التجديد أي حتى سنة 1887م ،مع اضافة مادة جديدة نصت على دفع فرنسا للجزائر مبلغ 2000 سكين كل شهرين[3].

كما أدخل الطرفان بعض التعديلات على البند التاسع من معاهدة 1689م ،بتحديد امتداد حرية المياه الإقليمية الفرنسية التي لم تعد بعشرة فراسخ وإنما أصبحت تمتد على مسافة مرمى مدفع داخل البحر ،كما تعهدت فرنسا بحماية البحارة الجزائريين من أعدائهم داخل هذا النطاق مقابل تعهد الجزائر بعدم مهاجمة أعدائها في داخله،كما طرح الفرنسيون قضية الجوازات التي يمنحونها لبحارتهم ،وإلتزمت الجزائر بالمقابل بقبول أي تجديد أو تحديث لهذه الوثيقة بشرط ألا يؤدي ذلك إلى الإخلال بأي ترتيب من ترتيبات الصلح القائم. [4]

غادر المبعوث الفرنسي الجزائر عائدا إلى بلاده في يوم 04 أفريل 1790م [5] ،بعد أن تمكن من انجاز عمل تاريخي يتخذ من الصداقة التي جمعت البلدين منذ زمن بعيد جوهر العلاقات بينهما،فهذه المعاهدة ستكون قاعدة مرجعية للبلدين لحل كل الخلافات التي قد تحدث بنهما مستقبلا.

---

(1) حول نص الرسالتين ينظر : Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 389_392.

(2)جمال قنان :العلاقات...،المرجع السابق ص ص 28.27 .

(3) يحي بوعزيز :المرجع السابق،ص 104 .

(4)جمال قنان :معاهدات...،المرجع السابق،ص 173 .

(5) جمال قنان ،العلاقات ...،المرجع السابق،ص 29 .

المبحث الثاني :مظاهر العلاقات الجزائرية الإسبانية:

اتسمت العلاقات الجزائرية الاسبانية طيلة العهد العثماني بالعداء الصريح، وغلب عليها طابع التحدي نظراً لموقف إسبانيا المعادي للنشاط البحري الجزائري، وتمسكها باحتلال وهران والمرسى الكبير،إلى أن تعرف في عهد الداي محمد عثمان باشا أحداثاً هامة وتطورات مفصلية انتهت باقرار هدنة وضعت حدا لحالة التوتر القائمة بين البلدين قرابة ثلاثة قرون كاملة،ويتضح ذلك من خلال:

أ) وساطة السلطان المغربي للصلح بين الجزائر وإسبانيا:

استطاعت إسبانيا خلال حكم كارلوس الثالث زيادة قدرتها العسكرية، وبناء أسطولها البحري نتيجة الاصلاحات الادارية والنشاطات الاقتصادية الكبيرة ،وهذا ما دفع البلاط الاسباني على انتهاج سياسة تهدف لوضع حد للنشاط البحري الجزائري ،وتأمين الخطوط الملاحية بالحوض الغربي للمتوسط ،وقد بدأ هذا التوجه باجراء أول اتصالات إسبانية جزائرية في عهد الداي بابا علي نقسيس حسب ما ذكره الأستاذ شكيب بن حفري نقلا عن مصطفى بن حسن خوجة. [1] لكن الديوان رفض رفضاً باتاً الدخول في أي مفاوضات ما دامت اسبانيا تحتل وهران والمرسى الكبير [2].

ولما تولى الداي محمد عثمان باشا الحكم في الجزائر قام الملك الإسباني كارلوس الثالث بارسال مبعوث عنه لتهنئته بهذه المناسبة، كما دعاه لعقد الصلح مع مملكته مقابل مبالغ مالية كبيرة ،غير أن الداي محمد عثمان باشا قال للمبعوث الإسباني :«إني لا أخاف من القوات الإسبانية ،وأن السلاح هو الفاصل بيننا» [3].

---

(1) مصطفى بن حسن خوجة: كان يعيش بالجزائر منذ سنة 1754م ،عمل إماما بمسجد خضر باشا ،شارك في الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملات الاسبانية الثلاثة ،عمل كاتبا رسميا في حكومة الداي محمد عثمان باشا ،مكلفا بكتابة تاريخ الأحداث التي عرفتها الجزائر في هذه الفترة ، للمزيد ينظر :شكيب بن حفري :"العلاقات الإسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر ميلادي من خلال مخطوط عثماني"/في/مجلة الآداب والعلوم الإنسانية ،ع1 ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية،قسنطينة ،الجزائر،أفريل 2002 ،ص 124 .

(2) أحمد توفيق المدني :حرب الثلاثمائة سنة... ،المرجع السابق ،ص 473 .

(3) شكيب بن حفري :المرجع السابق،ص 124 .

لما تأكد ملك إسبانيا أنّ عقد الصلح مع الجزائر بالاسلوب المباشر، قد فشل ،فإنه لم يجد بداً من التوجه إلى السلطان المغربي محمد بن عبد الله طالبا منه التوسط من أجل ذلك لدى الجزائر،مستغلاً الصداقة التي تكونت بينهما بعد معاهدة الصلح التي عقداها معاً عام 1767م، حينما كان كارلوس الثالث حاكماً على نابولي باسم شارل السابع.[1]

فالسلطان المغربي محمد بن عبد الله ،ومنذ توليه العرش عام 1757م أعطى لسياسة الحوار الدبلوماسي الأولوية على الحروب في المشاكل الدولية ،وقد أنفق مبالغ مالية كبيرة لتحرير الأسرى المسلمين والمسيحيين ،مما بوأهُ مكانة خاصة لدى بعض الدول الأوربية، ومنها إسبانيا. [2]

وقد أورد مصطفى بن حسن خوجة في مؤلفه لوساطة السلطان المغربي بقوله : «... قام السلطان محمد بن عبد الله بإرسال كتاب إلى الداي محمد عثمان باشا راجيا منه بإسم الأخوة أن يتصالح مع إسبانيا ،وأخبره أنه سيحصل في مقابل ذلك على أ موال كثيرة..»[3] .

فالسلطان المغربي قد بذل جهوداً كبيرة، وقام بمحاولات عديدة لعقد الصلح بين البلدين، فاتصل حتى بالدولة العثمانية لتمارس الضغط على داي الجزائر ليقبل بمعاهدة الصلح مع إسبانيا ،إلا أن التوفيق لم يحالفه إلا في تبادل للأسرى بين البلدين فقط، حيث أرسل عام 1767م مبعوثه الكاتب أبو العباس محمد الغزال إلى الجزائر للاشراف على تبادل الأسرى بين الجزائر وإسبانيا.[4]

غير أن الداي محمد عثمان باشا رفض الوساطة المغربية ،واعتبرها تدخل في الشؤون الجزائرية الداخلية ،وقد أورد مصطفى بن حسن ما قاله الداي للسلطان المغربي : « هل طلبت مشورتي ورأيي عندما عقدت أنت معاهدة الصلح مع إسبانيا سنة 1767م »[5] ،فلم يقبل الداي إلا بتبادل للأسرى فقط حيث حضرت إلى الجزائر البعثة المغربية على المركب الإسباني برئاسة محمد الغزال ،الذي سلم للجزائر 1600 أسير، وأطلقت الجزائر سراح 712 أسير اسباني،وتم شراء الباقي من الأسرى الإسبان بالأموال، ألف ريال لكل ضابط و500 ريال لكل جندي بسيط[6] .

---

(1) شكيب بن حفري :المرجع السابق،ص ص 123 . 124 .

(2) يحي بوعزيز :المرجع السابق ،ص 215 .

(3) شكيب بن حفري :المرجع السابق ،ص ص 124 .125 .

(4) يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 215 .

(5) شكيب بن حفري :المرجع السابق ،ص 125 .

(6) الناصري :المصدر السابق،ص 38.

وفي سنة 1773م تم تبادل ثان للأسرى بين البلدين ،وفي هذه المرة اشترط الداي محمد عثمان باشا اطلاق سراح أسيرين مسلمين مقابل كل أسير إسباني ،وبذلك أطلقت إسبانيا سراح 1106 أسيرا مسلما مقابل سراح 570 أسير من الاسبان[1].

ويمكن تفسير عملية تبادل الأسرى هذه أنها مجرد رغبة الداي محمد عثمان باشا في تحرير الجزائريين من قيد الأسر ،وكذا كسب مزيدا من الأموال لتنمية أرصدة خزينة الدولة فقط، ولم تكن كبادرة حسن نية لتطبيع العلاقات كما أرادها الإسبان .

إلا أن هذه الرغبة تتعارض ،وما نقله صاحب كتاب "الاكسير في افتكاك الأسير" لمحمد بن عثمان المكناسي الذي انتقد سياسة الداي محمد عثمان باشا في تحريره للأسرى فاتهمه بالتمييز في فكاك الأسرى بين الجزائريين الأتراك واخوانهم عرب الجزائر ، حيث أورد أنه في سنة 1193هـ 1779م ، حمل الملك الاسباني جميع أسرى المسلمين في المراكب، ووجههم إلى الجزائر بقصد مفاداة المسلمين بالنصارى ،ففدى الداي محمد عثمان باشا الترك وحدهم ،وامتنع عن فداء العرب وفدى من بقي عنده من النصارى بالمال، ورد المسلمين من العرب إلى الأسر [2]،وأشار إلى ذلك صاحب كتاب الاكسير بقوله :« وكيف يحل له أن يفرق بين المسلمين وكلهم أخذوا تحت علمه .... فيفتدي اخوانه الترك ويترك أولاد العرب،مع أنه كان بيده من أسرى النصارى ما يفتدي به أسرى المسلمين كلهم ،ويفضل بيده نصارى كثيرون ،فآثر الدنيا ،وفدى النصارى بالمال، ورد المسلمين إلى الأسر ...»[3]

بالرغم أن عملية تبادل الأسرى هذه تعد أول اتصال سياسي بين الجزائر وإسبانيا ،إلا أنها لم تساعد على تقريب وجهات النظر بين البلدين نتيجة رفض الداي محمد عثمان باشا أي اتفاق مصالحة أوسلام مع إسبانيا مادامت متمسكة باحتلال وهران والمرسى الكبير ،لذلك عادت إسبانيا لأسلوبها القديم ،وانتهجت من جديد سياسة التهديد ،والضغط على الجزائر مما أدى إلى اصطدامات عسكرية بين البلدين تمثلت في الحملات العسكرية الإسبانية ضد مدينة الجزائر.

---

(1) أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 473 .

(2) عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق ،ص 269 .

(3) محمد بن عثمان المكناسي:الاكسير في افتكاك الاسير،تح :محمد الفاسي ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط 1965،ص 165.

ب) الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر:

منذ اعتلاء الملك كارلوس الثالث عرش إسبانيا، وهو يعمل على استعادة مكانة اسبانيا في البحر المتوسط ،وهو الذي سمي بالطاغية المستنير [1]،حيث وضع من أولوياته مسألة القضاء على مدينة الجزائر "عش القراصنة"،وشجعه في ذلك الاستقرار الداخلي الذي عرفته اسبانيا منذ نهاية حرب الوراثة، وتمكنها من المحافظة على مستعمراتها فيما وراء البحار ،وتدفق خيرات العالم الجديد عليها مما جعلها قادرة على تجهيز حملة كبيرة لضرب مدينة الجزائر ،كما كانت سياسة وزيره الأول الكوندي دي أراندا (Comte d'Aranda)[2] تسير في نفس الاتجاه ،والتي تنبني على ضرورة الاعتماد على القوة لمواجهة الجزائر ،وبحريتها التي شكلت التهديد المباشر للتجارة البحرية الاسبانية[3] ،لذلك شنت اسبانيا على مدينة الجزائر ثلاث حملات عسكرية كبرى سنحاول تفصيل كل واحدة منها على حدا فيما يلي :

1 . حملة الكونت أوريلي "Le comte Oreilly"[4]:

إن رغبة ملك إسبانيا كارلوس الثالث في تحقيق مشروعه ،والهادف إلى القضاء على مدينة الجزائر رأى أنه من الضروري توجيه حملة عسكرية كبيرة تمكن من تدمير مدينة الجزائر ،وارضاخ حكومتها لاملأته ، وبحلول سنة 1774م كانت الظروف ملائمة للتفكير في توجيه حملة ضد الجزائر ،وكانت الخطة تقتضي هجوماً مباشرا على مدينة الجزائر براً أو بحراً[5] ،وقد أسندت قيادة الحملة إلى الأميرال الإيرلندي الأصل الكونت أوريلي الذي عمل جاهدا على توفير كل عوامل النجاح لهذه الحملة،وكان يأمل أن يحقق في مدينة الجزائر ما حققه سلفه في استعادة وهران سنة 1732م.

---

(1) جون ب وولف : المرجع السابق،ص 403 .

(2) هو بيدرو بابلو أباركا دي بوليا كونت دارندا :ولد بمقاطعة أرغون سنة 1719م، كان رئيسا لمجلس قشتالة في عهد الملك شارل الثالث ، ثم أصبح سفيراً لبلاده في فرنسا ما بين(1773–م1787)، وتوفي سنة 1798م، للمزيد ينظر :عبد القادر فكاير المرجع السابق،ص 265 .

(3) يحي بوعزيز :الموجز في تاريخ الجزائر،المرجع السابق،ص 214.

(4) أوريلي: هو أليخندرو أوريلي ،من أصل إيرلندي ولد سنة 1735م من أبوين كاثوليكيين شارك إلى جانب الجيش الإسباني في عدة معارك في كل من إيطاليا والنمسا وأصيب في واحدة منها،وهو قائد حملة 1775م للمزيد ينظر:
Major Dalrymple : Expédition D'Oréilly, 1775,R.AF,N° 5,1861,pp31_32.

(5) جون ب وولف :المرجع السابق،ص 403 .

الاستعداد الإسباني :

تشير أغلب المصادر ،والمراجع إلى ضخامة هذه الحملة التي حظيت بتغطية وافية من حيث التفاصيل وكثرة المعلومات ،حيث اتخذ الملك كارلوس الثالث كل الاحتياطات اللازمة لنجاحها ،وتشير الاحصائيات حول تجهيز هذه الحملة إلى :

500سفينة وزيادة بها 50 سفينة حربية مجهزة تجهيزا حديثا أكثر من من الجزائريين،و20 ألف رجل من المشاة ،وحوالي 800 فارس و900 مدفعي مع مدافعهم ،وقد حملت السفن 3500 بحار وعددا كبيرا من الارقاء للقيام بالاعمال الشاقة [1].

رغم هذه الاستعدادات إلا أنها لم تكن سرية ،أو مباغتة للجزائر ،فقد تلقت الجزائر العديد من الأخبار حول هذه الحملة نذكر منها أن السلطان المغربي محمد بن عبد الله راسل الداي محمد عثمان باشا حول الاستعدادات الاسبانية لتنظيم حملة على الجزائر[2]،كا أن الجوسسة البحرية الجزائرية لعبت دورا بارزا في جمع المعلومات عن هذه الحملة ،وما يرجح ذلك استعدادت الجزائر والتحضيرات الكبيرة التي سبقت الحملة .

الاستعداد الجزائري :

استعد الداي محمد عثمان باشا،وقام بكل الاحتياطات اللازمة لصد أي عدوان على الجزائر ،وقد علم مبكرا بالاستعدادات الاسبانية لشن حملة على الجزائر ،فاستدعى البايات الذين جاءوا مع قواتهم إلى مدينة الجزائر،كما أمر بتدعيم التحصينات من تعمير القلاع والحصون وصيانتها ،ووضع البطاريات في مواقعها ،وجند الداي الجميع لهذه الحملة بمن فيهم كبار القوم ،ومختلف الطوائف المهنية وحتى اليهود ،وقد وزع الداي القوات الجزائرية البالغ عددها 150 ألف رجل[3] على النحو التالي :

---

(1) ناصر الدين سعيدوني:دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ،ج2، م.و.ك، الجزائر،1988 ، ص 156 .

(2) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق،ص 474.

(3) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق،ص ص 527.528 .

عسكر صالح باي قسنطينة في الضفة اليسرى من وادي الحراش مع قواته البالغ عددها 40 ألف رجل[1] والمتكونة أساسا من الفرسان ،وكانت هي الأكبر حيث شارك فيها العلماء والصالحون وطلبة العلم [2] ،وخيم باي التيطري مصطفى الوزناجي في رأس تامنفوست مع قومه الذين يدعمهم فرسان سباو وبعض القبائل ،وعسكر خليفة باي الغرب محمد بن عثمان بالقرب من عين البيضاء (عين الربط)مع أربعة آلاف فارس من فرسان الدوابر إلى جانب قوات الحزناجي حسن، بينما رابط باي معسكر إبراهيم في مستغانم لقطع الطريق على القوات الاسبانية في وهران والمرسى الكبير ،إن سارت إلى الجزائر ،واستقر آغا العرب في وادي خنيس وعسكر مصطفى خوجة الخيل في باب الوادي وبوزريعة مع الانكشارية ،هذا إلى جانب قبائل البيبان وفليسة التي هرعت إلى الجزائر.[3]

وقد أمر الداي محمد عثمان باشا بنقل الأسرى إلى مدينة المدية، ووضعهم تحت حراسة مشددة لتفادي أي محاولة للتمرد أو الهروب[4] ،وأعلن الداي أنه سيدفع عشرة دنانير عن كل رأس مسيحي يؤتى به إلى الجزائر ،مما شجع الجنود على بذل مزيد من الجهد في قطع أكبر عدد ممكن من رؤس النصارى مقابل المال.[5]

سير أحداث الحملة :

انطلقت الارمادة الاسبانية في 23 جوان 1775م ووصلت إلى خليج الجزائر في أول جويلية ،إلا أن الإنزال لم يشرع فيه إلا يوم 8 جويلية الساعة الرابعة صباحا شرق مدينة الجزائر قرب وادي الحراش ،حيث تم إنزال حوالي ثمانية آلاف جندي [6]،كما بادروا باقامة المتاريس والحواجز وحفر الخنادق ،واستخدامهم الاسطول في قصف تجمعات الجزائريين وإسكات مدفعيتهم.[7]

---

(1)Grammont,(H,de):OP,Cit,PP327_328.

(2) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق،ص 492.

(3) A,Berbrugget: Expédition du conte D'Oréilly conter Alger en 1775, R.AF,N° 8, (1864) , pp 185_187.

(4)Grammont,(H,de):OP,Cit,P26.

(5) جون ب وولف:المرجع السابق،ص 404 .

(6) Major Dalrymple:OP,Cit,PP 34_ 35.

(7) ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق ،ص 159 .

ونظراً لقوة تحصينات الأرمادا الإسبانية لم يستطع الجزائريون مواجهتهم رغم أن القذائف واجهتهم من كل جهة ،إلا أنهم لم يتاثروا إلا من جهة الغرب ،وفي اليوم الرابع من بداية المعركة قدم صالح باي من ناحية باب الواد [1]،ورسم خطة للقضاء على الجيش الاسباني وتمثلت في جمع كل الابل الموجودة في المعسكر واستخدامها كدرع يحتمي به الجنود ،فيتم تقديم الابل ثم يتبعها الجيش نحو معسكر الاسبان ،لكن خطة صالح باي لم تنجح نظرا للتحصينات الاسبانية المحكمة[2].

رغم هذه التحصينات إلا أن الطلقات النارية الجزائرية كانت تصيب الجنود الاسبان، حيث وجدوا أنفسهم في مرمى المدفعية الجزائرية خاصة بطارية وادي خنيس ،والتي أخذت مواقع جديدة في المرتفعات المجاورة ،ولم يكن للاسبان سوى الرجوع إلى سفنهم بأكبر عدد من الجنود[3].

وهكذا انتهت معركة وادي الحراش في ليلة الثامن جويلية، وبقي الاهتمام منصبا على مداواة الجرحى، وإعادة تنظيم الصفوف ،إلى أن قرر المجلس العسكري الإسباني للحملة توقيف المعركة والانسحاب، وعودة الارمادة إلى إسبانيا[4]

نتائج حملة أوريلي :

خلفت هذه الحملة خسائر مادية وبشرية من كلا الجانبين ،لكن أكثرها جسامة كانت من الجانب الاسباني ،فقد قدرها بعض المؤرخين أن عدد القتلى من الإسبان بما يزيد عن 8000 قتيل و3000 قتيل، إذ يقول :«...وما بلغ لنا من علم كم وصلوا من المجاريح والمرضى...أن عدد الجرحى ثلاثة آلاف وموتاهم بعد رجوعهم يزيد من عن الثمانية آلاف ... »[5] ،وإن كان هناك من قدر عدد القتلى بعشرة آلاف قتيل[6] ،هذا عكس ما ذهب إليه الاسبان أن عدد قتلاهم لم يتجاوز 528 قتيل، و2279 جريح[7]، وأما خسائر الجزائريين فقد تحدث عنها المزاري أنها كانت ضئيلة لم تتجاوز 300 شهيد حيث قال : «..كان عدد موتانا لا يبلغ 300 ،وأنهم دفنوا في مقبرة بالرميلة بعين الربط .. »[8].

(1) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 26 .

(2) سليم بابا عمر :"مخطوط تاريخي لم ينشر:الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين اغار عليها جنود الكفرة"/في/مجلة تاريخ وحضارة المغرب،العدد 3،جويلية 1967،الجزائر،ص ص 32.25.

(3) جون ب وولف :المرجع السابق،ص ص 405. 406 .

(4) ناصر الدين سعيدوني ،المرجع السابق ،ص 160 .

(5) سليم بابا عمر:المرجع السابق،ص ص 30.28 .

(6)أحمد توفيق المدني :المرجع السابق،ص 501 .

(7) وليم سبنسر : المرجع السابق ،ص 153 .

(8) الأغا بن عودة المزاري :المصدر السابق، ص 295 .

كما خلفت هذه الحملة خسائر مادية كبيرة ،إلا أنها كانت قليلة في نظر الإسبان، وكانت على الشكل التالي: « ...ما تركنا وراءنا على الساحل إلا أربع مدافع مشاة ،وبعض القطع المدفعية من عيار 18، و19 رطلا من رصاص البنادق ورامي قذائف وبعض الأدوات... »[1]،وقد حددها الأستاذ المدني بقوله : «..فقد تركوا أثناء فرارهم جميع البنادق، و16 مدفعا من النحاس وقطعتين من راميات القذائف ،إضافة إلى الآلات الحربية وأربعين ألف قذيفة.. ».[2]

أما من حيث النتائج السياسية ،فإن حملة أوريلي أحطت من مكانة إسبانيا الدولية ،وأقنعت الدول الاوربية، وخاصة فرنسا التي لم يعد لهم خيار سوى التزام الحياد بين الدولتين، والسعي لإقناع الطرفين بعقد الصلح [3].

كما أن انتصار الجزائر في هذه المعركة جعلها محل تقدير بين دول وممالك أوربا التي سعت لعقد معاهدات سلم معها ،كما عظم شأن الداي محمد عثمان باشا ،ومباركة السلطان العثماني عبد الحميد الأول له، الذي ارسل هدايا عسكرية لحكومة الجزائر ،مع هدايا خاصة للداي محمد بن عثمان باشا ،الذي أرسل هو بالمقابل سفارة بقيادة حسن بك لتقديم الهدايا، وتقرير حول الانتصار الذي حققته الجزائر[4].

دامت هذه الحملة عشرة أيام ،و إنتهت بفشل اسبانيا في القضاء على الجزائر بأسلوب القوة ،ولقد أظهر الجزائريون قوة لا مثيل لها في الدفاع عن وطنهم ،ولقد تغنى كثير من الشعراء بهذا الانتصار الذي حققته الجزائر، مثل ما نظمه الشيخ محمد بن سعيد أبو قريش التيطواني والشيخ سعيد قدورة[5]

---

(1) جون ب وولف :المرجع السابق،ص 503 .

(2) أحمد توفيق المدني : المرجع السابق،ص 501 .

(3) جمال قنان :المرجع السابق،ص 208 .

(4) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق ،ص ص 533.532 .

(5) عبد الرحمان محمد الجيلالي :المرجع السابق،ص 244 .

مساعي إسبانيا للصلح مع الجزائر :

أدركت إسبانيا بعد فشل حملة أوريلي عام 1775 م ،صعوبة القضاء على الجزائر عسكريا وأدرك ملكها كارلوس الثالث أن عملية ارغام الجزائر على الخضوع بالتهديد العسكري ليس بالاسلوب الذي ينفع مع الداي محمد عثمان باشا .

إن تولي خوزي رودريقيز مونينو الكوندي دي فلوريدا بلانكا منصب رئيس وزراء عرش البوربون الاسباني عام 1777م[1] ،والذي يميل بفكره إلى سياسة التفاوض، والحوار لحل المشاكل الخارجية بالطرق السلمية ،فكان لا يثق في رجال الجيش ،وينبذ استعمال القوة والعنف ،وكان يرى أن القضاء على القرصنة البحرية التي عطلت مصالح إسبانيا التجارية ،لا يكون إلا بتحقيق السلم مع البلدان المغاربية ،وعلى رأسها الجزائر فوضع في اعتباره منذ بداية تسلم مهامه الحصول أولا على السلم مع الدولة العثمانية ومع المغرب الاقصى كخطوة أولى ،وقد تمكن من إبرام معاهدة صلح مع الدولة العثمانية يوم 14 سبتمبر 1782م بفضل مجهودات المفاوض الاسباني بوليني "Bouligny"[2] ،وكان هدف إسبانيا من هذا هو حمل الباب العالي على الضغط على أيالتها الجزائر لكي تبرم معها معاهدة سلم وصداقة .

كان الهدف الاساسي لشارل الثالث، ووزيره الأول دي فلوريدا بلانكا من وراء هذه السياسة هو خدمة المصالح التجارية الاسبانية، وتنشيطها وحمايتها من كل الاخطار خاصة البحارة الجزائريين ،وكذا إيجاد تحالف ضد غريمتها انجليترا في محاولة لعزلها .

نجحت اسبانيا في إبرام معاهدة سلم مع سلطان المغرب الاقصى في ماي 1780م[3] ،ومع طرابلس الغرب القرمانلية في سبتمبر 1784م ،وحاولت اسبانيا أن توسعها لتشمل الجزائر ،لكن الداي محمد عثمان باشا رفض ذلك بحجة أنه يعرف نوايا اسبانيا ،وأن التعامل معها يجب أن يكون عسكريا فقط ،فبقي أسلوب الحملات العسكرية هو الطابع على العلاقات الجزائرية الاسبانية في هذه الفترة .

---

(1) يحي بوعزيز: المرجع السابق،ص 214 .

(2) نفسه:ص 216 .

(3) مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص 10.

2 . حملة دون أنطونيو برثلو "Don Antonio de Barcelo" الأولى:

بعد فشل حملة أوريلي ،ومحاولة إسبانيا فك الحصار البري على مدينة وهران والمرسى الكبير وزيادة الضغط على الداي محمد عثمان باشا لامضاء معاهدة سلم وفق شروط إسبانية تعيد لها هيبتها بين دول المتوسط، جهزت حملة عسكرية أخرى أوكل قيادتها للأميرال دون انطونيو برثلو ،وكانت الخطة الاسبانية تقضي بمهاجمة الجزائر عن طريق حملة بحرية قوية بهدف تحطيم السفن الموجودة بالمرسى،دون التفكير في النزول إلى البر، أي قصف الجزائر عن طريق البحر .

الاستعداد الإسباني :

لقد أعطى القنصل الفرنسي دي كيرسي تقريرا دقيقا ،ومفصلا عن عدد القوات الاسبانية وأوضح أنها تتكون من :أربعة سفن كبيرة وست قذائف ، واثنا عشر شبكاً، وعشرة قوارب ،إضافة إلى أربعين زورقا مسلحا بمدافع وقذائف القنابل[1]،كما أورد السيد "M Gibault" وهو شاهد عيان أن مجموع سفن الأسطول الاسباني لا يزيد عن 76 سفينة من مختلف الأحجام [2]، إلا أن الأستاذ سبنسر فقد ذكر أنها تتكون من 31 سفينة [3].

الاستعداد الجزائري :

تلقى الداي محمد عثمان باشا في شهر ماي 1783م اشعاراً من السلطان محمد بن عبد الله يخبره باستعدادات إسبانيا لمهاجمة الجزائر[4]،فبدأ الداي يتخذ الإجراءات اللازمة لصد هذا العدوان ومن جملة الاحتياطات التي أتخذها الداي أنه أمر كل الجنود الموجودين داخل البلاد بالتجمع في مدينة الجزائر ،فجاء صالح باي قسنطينة بـ 25 ألف رجل ،وقائد بايليك معسكر بـ 20 ألفاً وقائد بايليك التيطري بـ 5 آلاف ،كما قام الداي بتحصين المدينة، ووضع كامل المدفعية في حالة تأهب بالاضافة إلى بناء بعض السفن بغرض مواجهة الاسبان في البحر . [5]

---

(1)Grammont,(H,de):OP,Cit,P266.

(2) Charles Féreud,les trois attaques des espagnols contre Alger au XVIIIème Siécle ,R,AF,N°20,(1876),P-P302 304.

(3) وليم سبنسر:المرجع السابق، ص 154 .

(4) أحمد توفيق المدني: المرجع السابق، ص 474 .

(5) عزيز سامح إلتر: المرجع السابق، ص 542 .

كما أمر الداي محمد عثمان باشا القاطنين بمدينة الجزائر إخراج أمتعتهم وأثاثهم إلى حدائق النزهة ،وأرسل الأسرى إلى مدينة المدية وعددهم 1548 ،ولقد ضمت القوات الجزائرية عددا كبيرا من المدافع الصغيرة وعشرين غليوطة و عددا من الزوارق، وكان الأسطول الجزائري مؤلفا من 25 سفينة مختلفة الأحجام والقوة .[1]

سير أحداث الحملة :

انطلقت الحملة من قرطاجنة في 17 جويلية 1783م،ووصل الأسطول الاسباني خليج مدينة الجزائر يوم 29 جويلية ،وبدأ في قصف مدينة الجزائر في الفاتح من شهر أوت [2]،وردت بطاريات المدفعية في الحصون على هذا القصف كما تمكنت سفينتان جزائريتان من الخروج للقتال، وأمام اشتداد القصف الاسباني الذي ألحق أضرار بالغة على المنازل ،بما في ذلك قصر الجنينة، السبب الذي جعل الداي محمد عثمان باشا يسمح للنساء والاطفال بمغادرة مدينة الجزائر ،وبقيت المعارك سجالا بين الطرفين دون أن يتمكن أي طرف من التغلب على الأخر.

وقد استعمل الاسبان في هذه الحملة نوع جديد من السفن الحربية في هيئة زوارق كبيرة مزودة بمدافع يمكنها قصف المدينة من بعيد ،والتي لم يعهدها الجزائريون من قبل ،فكانت هذه السفن والتي أطلق عليها الزهار اسم "اللنجور" سببا في احداث خسائر كبيرة بمدينة الجزائر[3].

سعى الداي محمد عثمان باشا ،وهو الذي أشرف على التصدي لهذه الحملة بنفسه على ايجاد حل لمشكل اللنجور هذا ،والذي كون مشكلاً فعلياً للداي،وكان الحل هو الأخذ باقتراح القبطان الحاج محمد الذي يقضي باستعمال زوارق محملة بالجير وعليها مدافع لمواجهة اللللنجور ،فأظهرت هذه الفكرة فعاليتهافي مواجهة الإسبان [4].

---

(1) Charles Féreud :OP,Cit,P312 .

(2) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق، ص 541 .

(3) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق، ص 32 .

(4) نفسه :ص 32.

وبعد تسعة أيام من المعارك الضارية بين الطرفين ألقى خلالها الأسطول الإسباني على مدينة الجزائر 3723 قنبلة و3855 طلقة مدفع ،أما ما أطلقه الجزائريون فقد بلغ 399 قنبلة و 11284 طلقة مدفع [1] ،وقد شوهد الاسطول الاسباني وهو يغادر مواقعه متجها شمالا بعدما استنفذ كامل ذخيرته التي جاء بها،مما يعني أنه أوقف الحملة وانسحب راجعا لإسبانيا.

نتائج الحملة :

تميزت هذه الحملة بقوة ،وكثافة الطلقات المدفعية بين الطرفين واستعمال اسبانيا لسلاح جديد ما يبرز فارق التقنية بين البلدين ،كما أنها خلفت خسائر مادية وبشرية كبيرة ،فمدينة الجزائر تضررت أكثر من أي وقت مضى من جراء القصف الكثيف ،فتهدم أكثر من 400 منزل ، منه قصر الجنينة وهو ما جعل الداي محمد عثمان باشا يغير مقر اقامته وينتقل إلى القصبة الموجودة في أعلى المدينة ،بالاضافة إلى تدمير عدد من الدكاكين والمساجد والقلاع ،كما أحرقت قنصلية كل من فرنسا والسويد ،كما دمرت قذائف الاسبان ثمانية منازل للفرنسيين من مجموع إثنا عشر منزلا أما الخسائر البشرية فقد استشهد من الجنود الجزائريين حوالي 100 جندي أما من سكان مدينة الجزائر فبلغ حوالي 300 شهيد.[2]

سعى الداي محمد عثمان باشا للإستفادة من التقنية الجديدة التي جاء بها الاسبان في سفن اللنجور ،بعد أن وجدت احداها محطمة بعين الربط ،مما كان دافعا لتقليدها وصناعة نموذج عنها ،وأمر الداي من صناع السفن صناعة 500 سفينة مثلها في غضون سنة .[3]

إلا أن هذه الحملة لم تكن بنفس القوة من حيث التجهيز مثل حملة أوريلي، ما يدل أنها كانت استعراضية، فكانت محاولة اسبانية للضغط على الداي محمد عثمان باشا، للرضوخ لمطالبها والقبول بالصلح معها .

---

(1) وليم سبنسر:المرجع السابق،ص 154 .

(2) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق،ص 542.

(3) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 33.

3 . حملة دون أنطونيو برثلو "Don Antonio de Barcelo" الثانية :

بعد مرور سنة من انهزام إسبانيا قامت بشن حملة أخرى على الجزائر تحت قيادة نفس الاميرال ،والتي تعتبر أخر حملة قامت بها اسبانيا ضد الجزائر في العهد العثماني ،حيث حاولت أن تضمن نجاحها باشراك البرتغال والمالطيين، وبمباركة البابا ،كما كانت أكثر عددا وتجهيزا من الحملة السابقة ،ويتضح ذلك من خلال :

الاستعداد الاسباني :

جمع الاميرال برثلو حوالي 130 سفينة حربية كبيرة وصغيرة من ضمنها إحدى عشرة سفينة من نابولي،وثماني سفن من مالطا،وفرقة من البحرية البرتغالية[1]، هذه القوة الحربية التي جاءت بها إسبانيا شملت 26 بارجة و42 مدفعا ،و30 قذيفة للقنابل وحوالي 20 غليوطة[2] ،ولقد وصف دي غرامون هذه الحملة البحرية بأنها "صليبية حقيقية Veritable Croisade"، كما نشر البابا بيوس السادس يوم 18جوان بلاغا بابوياً يعلن فيه أنه وهب البركة والغفران لكل مسيحي يشارك في هذه الحملة [3].

الاستعداد الجزائري :

كان الداي محمد عثمان باشا على علم بهذه الحملة ،فاهتم منذ رحيل الحملة السابقة في صيف 1783م باصلاح ما تهدم من حصون المدينة، وكذا المراكب، وشدد الحراسة في الأبراج ،وأوكل قيادة الأسطول الجزائري لسلامي الحاج محمد الذي استعد لهذه الحملة ببناء نحو 500 من سفن اللنجور[4] ،كما قام الداي بطلب المدد من مختلف البايلكات ،وقد حل بضواحي مدينة الجزائر قبل الهجوم الإسباني بشهر 25ألف جندي من قسنطينة ،و20ألف جندي من معسكر،و5آلاف من تيطري ،كما تلقت الجزائر دعما عسكريا من هولندا والسويد والباب العالي، إستعملت لصد هذه الحملة الإسبانية .[5]

---

(1) Grammont,(H,de):OP,Cit,P336.

(2) عزيز سامح إلتر :المرجع السابق،ص 543 .

(3) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:المرجع السابق،ص 249 .

(4) عزيز سامح إلتر :المرجع السابق ،ص 543 .

(5) عبد الرحمان محمد الجيلالي:المرجع السابق ،ص 249.

سير أحداث الحملة :

انطلقت الحملة من قرطاجنة في 28 جوان 1784م ووصلت إلى الجزائر في 9 جويلية، وبدأت المعركة بين الطرفين في 12 جويلية [1]،حيث أخذت 70 سفينة إسبانية مواقها استعدادا للهجوم وبالمقابل تصدت لها 63 سفينة جزائرية ،وقد بادرت الجزائر بالقتال فرمت قنابلها مكان رسو السفن الاسبانية ،والتي ردت بالمقابل بقصف عنيف، إلا أن القذائف الاسبانية كانت لا تصيب السفن الجزائرية،لأنها كانت تسقط وراءها،كما أنها لم تستطع اصابة مدينة الجزائر لبعدها عنها[2].

في بداية المعركة انسحبت ثلاث قوارب إسبانية نتيجة لأعطاب أصابتها،ثم تلاها إنسحاب كامل للأسطول الاسباني ،وفي 15 جويلية أستؤنف القتال وكان أشد وأقوى من المرة الأولى إلا أن السفن الجزائرية بقيت محافظة على مواقعها رغم قوة النيران الإسبانية [3].

ظهرت قوارب إسبانية للمرة الثالثة في 17 جويلية ،مكونة من ثلاثة فرق ،الأولى مهمتها الدفاع عن الاسطول والثانية مقاتلة للسفن الجزائرية ،أما الثالثة فمهمتها قصف مدينة الجزائر بالمدافع ،ودام القتال في هذه المرة ساعتين ثم انسحب بعدها الاسبان لأن معظم قذائفه كانت تسقط في البحر [4]،ثم تجدد القتال في 18 جويلية، فقدمت فرقة من الاسطول الاسباني وأصابت المرسى ،لكن تصدت لها القوارب الجزائرية وأرغمتها على الانسحاب ،وتواصل القتال إلى غاية اليوم 21 حيث أطلقت السفن الاسبانية ما يقرب عن 15150 قذيفة[5] ،لكن أغلبها سقط في البحر ،وبقيت المعارك على نفس الوتيرة ،إلى أن قرر الاسبان في اليوم 22 توقيف القتال والانسحاب في 23 جويلية عائدا إلى إسانيا دون ان يحقق أي نتيجة تذكر.

---

(1) عزيز سامح إلتر:المرجع السابق،ص 543 .

(2) محمد السعيد بوبكر:المرجع السابق ،ص 129 .

(3) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق،ص 480 .

(4) نفسه:ص 481 .

(5) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي:المرجع السابق ،ص 249 .

نتائج الحملة :

خلف القصف الاسباني على الجزائر ثلاثين قتيلا من المدنيين ،أما الخسائر العسكرية من جانب الجزائر كان معظمها نتيجة إنفجار المدافع على أصحابها ،وسبب الانفجار هو الحماسة الزائدة حيث لا تترك المدافع حتى تبرد ،مما تسبب في وقوع ضحايا بلغ تعدادهم نحو100 قتيلا [1]، أما الجانب الاسباني لم يصرح بعدد قتلاه، إنما أعلنوا أنهم أطلقوا على مدينة الجزائر أكثر من 15150 قذيفة [2].

والجدير بالذكر أن الجزائر انتصرت في هذه الحملة لأنها واجهت الاسبان بالاسلحة نفسها، وهذا ما يشير إلى تطور البحرية الجزائرية في عهد الداي محمد عثمان باشا من حيث التجهيز وحتى الخطط العسكرية ،وبهذا قد تمكن الداي من صد الحملات الإسبانية الثلاث ،مما أكسبه احترام الجزائريين ، وأصبح أكثر إصراراً على استرجاع مدينة وهران والمرسى الكبير.

وبعد فشل كل الحملات العسكرية الإسبانية المتتالية أدرك الإسبان عجزهم عن القضاء على الجزائر أو الضغط عليها عسكريا لإجبارها على عقد صلح وفق شروطهم،كما لم يتمكنوا من تحقيق آمال المسيحية، الأمر الذي جعلهم يفكرون جدياً في الحل السياسي، فقاموا بجهوداً دبلوماسية حثيثة من أجل اقناع الجزائر بقبول معاهدة سلم معهم.

---

(1) أحمد توفيق المدني:المرجع السابق،ص 482 .

(2) عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: المرجع السابق،ص 249 .

ج) معاهدة السلم الجزائرية الإسبانية 1200 هـ /1786م

بعد فشل إسبانيا في حملاتها العسكرية الثلاث على الجزائر أدركت استحالة الضغط على الجزائر بواسطة الاسلوب العسكري ،مما أرغمها إلى تغيير سياستها تجاه الجزائر ،وذلك باعتماد الأسلوب الدبلوماسي الذي أفضي في الأخير إلى توقيع معاهدة صلح بينهما.

1. ظروف ابرام المعاهدة:

لقد تظافرت عدة ظروف دفعت البلدين للبدء في التفاوض، مما ساهم في رسم مسار جديد للعلاقات بينهما أساسه الاتفاق على عقد معاهدة صلح، ويمكن أن نجمل هذه العوامل فيما يلي:

. فشل أسلوب الحملات العسكرية الاسبانية ضد الجزائر ،وادراك إسبانيا أنه لا جدوى من الضغط على الجزائر للرضوخ لعقد معاهدة وفق شروطها ،فكانت نتائج هذه السياسة عكسية تماما بتكبد إسبانيا خسائر مادية وبشرية، زيادة على فقدانها لهيبتها في البحر المتوسط، مما جعلها تفكر جديا في اعادة النظر في مستقبل العلاقة مع الجزائر[1] ،وقد أشار المزاري لذلك بقوله:«... ثم جاؤوها أيضا (أي الإسبان) سنة تسع وتسعين من القرن المذكور طالبين الصلح في الحال باذلين القناطير من الأموال يدفعونها...لما أيسوا من الظفر..»[2]

. تراجع مكانة إسبانيا الدولية بعد الهزائم التي منيت بها أمام انجليترا بوادي آش،ورفض أنجليترا عرض الملك الاسباني سنة 1780م القاضي بمقايضة مستعمرة جبل طارق بمدينة وهران.[3]

. الدور الكبير الذي لعبته فرنسا من خلال مساعيها الدبلوماسية لاقناع إسبانيا بضرورة تغيير سياستها تجاه الجزائر ،كما لعب القنصل الفرنسي بالجزائر دي كيرسي دور في المفاوضات بين البلدين لتقريب وجهات النظر بينهما.

. الدور الذي لعبه حسن وكيل الحرج الذي كانت له اتصالات وثيقة مع الإسبان،من اقناع الداي محمد عثمان باشا بحسن نوايا البلاط الإسباني وجدية العروض التي تقدم بها من أجل التوصل

---

(1) جون ب وولف:المرجع السابق،ص 408.

(2) الأغا بن عودة المزاري :المصدر السابق ،ص 258 .

(3) مولاي بلحميسي:المرجع السابق،ص 10.

إلى اقرار سلام مع الجزائر، وقد أشار الزهار إلى ذلك بقوله : «...فلما رجع حسن وكيل الحرج من إستنبول،خاطب مولانا الباشا في الصلح ،فكان يقول لا أصالحهم ما دمت حيا ... »[1]

2 . سير المفاوضات :

إن التوصل لعقد معاهدة بين الجزائر وإسبانيا لم يكن بالأمر السهل بعد قرابة ثلاث قرون من الصراع والعداء بين الدولتين ،ورغبة كل طرف في الانتقام ،واصرار الحكام في كلا الجانبين على عدم الرضوخ لاملاءات الأخر ،لذلك كان لابد من مفاوضات مضنية من خلال الاتصالات والوساطات وتبادل للرسائل وايفاد المبعوثين الدبلوماسيين من أجل حل الكثير من القضايا العالقة بين البلدين ،وتبديد للأحقاد ،ووضع أرضية للتفاهم بينهما.

ولقد أورد الأستاذ يحي بوعزيز كتابا كاملا عرض فيه المراسلات الجزائرية الاسبانية خلال الفترة الممتدة ما بين 1780 .1798م ،يبرز سير المفاوضات بين البلدين ،والتي أفضت إلى توقيع معاهدة الصلح بينهما.

كان الداي محمد عثمان باشا يرفض بصفة قطعية ابرام أي صلح مع إسبانيا ما دامت تحتل وهران والمرسى الكبير ،إلا أن الآثار السيئة التي خلفتها الحملات الثلاث، وسعي وكيل الحرج حسن لاقناعه ،مال الداي إلى التفاوض سيما وأن الباب العالي والمغرب وطرابلس أبرمتا الصلح فعلا مع إسبانيا.[2]

وصل إلى مدينة الجزائر أول وفد رسمي إسباني للتفاوض في شهر جوان 1785م ، يتكون من المندوبان الساميان الكونت ديسيبلي"D'Espilly" ،والأميرال مازاريدو"Mazzredo"،[3]وقد استقبلهما في الميناء رئيس الميناء الحاج سليمان، وبرفقته القنصل الفرنسي دي كيرسي ،وتوج الثلاثة معا لاستقبال الداي محمد عثمان باشا في قصره من أجل الشروع في المحادثات معه حول معاهدة الصلح ،ودام اللقاء معه مدة ربع ساعة.[4]

---

(1) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 34 .

(2) يحي بوعزيز : المرجع السابق، ص ص 130.31 .

(3) مولاي بلحميسي :المرجع السابق،ص 12 .

(4) شكيب بن حفري:المرجع السابق،ص 131 .

إن سماح الداي محمد عثمان باشا للسفينة الاسبانية التي حملت المبعوث الرسمي للملك الاسباني بالدخول إلى الميناء والرسو به ،وكانت قبل ذلك تنتظر في عرض البحر،مبعث الفرح للوفد الاسباني الذين رموا بقباعاتهم في الهواء ابتهاجا بما حققوه من نتيجة في مفاوضاتهم مع الداي.[1]

وقد نقل مصطفى بن حسن خوجة بعضا من المشاورات التي قام بها الداي محمد عثمان باشا مع أعضاء الديوان حول موضوع عقد الصلح مع إسبانيا ،والتي امتدت ثلاثة أيام ،ومما قاله الداي لأعضاء الديوان : «لقد صرنا منذ اليوم لا نخاف ذلك الكافر الذي هزمناه في البر والبحر ،شأنه في ذلك شأن أجداده ،وإن عقد الصلح معه لا يعتبر أبدا عارا بالنسبة إلينا ،لأن ذلك الصلح سنعقده معه وهو تحت سلطان سيوفنا ،وعلاوة على ذلك فإنه هو الذي طلب الصلح ولسنا نحن الذين طلبنا ذلك،كما أن الصلح الذي سنعقده معه لمدة ثلاث سنوات سيوفر للإيالة أموالا كثيرة من خزائن ذلك الكافر ،مما يمكنها من تعويض الخسائر التي لحقتها .وإلى جانب ذلك فإن عقد الصلح مع الباب العالي أيد الله حكمه ،وكذلك مع سلطان فاس ،وبقينا نحن بينهما ،ولذلك فإن صلحنا نحن لمدة ثلاث سنوات مع ذلك الكافر لن يمس أبدا بسمعتنا أمامه ،لأننا سبق وأن أعطيناه حقه(أي انتصرنا عليه عسكريا)في البر والبحر»[2].

استقرقت المفاوضات بين البلدين تقريبا سنة كاملة حيث توصل الطرفان لإمضاء المعاهدة بتاريخ 14 جوان 1786م [3]،ويبدو من طول مدة التفاوض أن هناك أطرافا حاولت عرقلة المسعى الاسباني لعقد معاهدة مع الجزائر، مثل أنجليترا التي قد تتضرر مصالحها في المتوسط بنجاح الاسبان في عقد هدنة مع الجزائر ،كما أن طول مدة التفاوض تبين أن الخلافات كانت كبيرة بين الطرفين في الكثير من فصول المعاهدة.

---

(1) شكيب بن حفري :المرجع السابق،ص 131.

(2) نفسه:ص 132 .

(3) مولاي بلحميسي:المرجع السابق ،ص 12.

3 . فحوى المعاهدة :

يعد هذا الإتفاق أول معاهدة بين الجزائر وإسبانيا بعد صراع حاد دام لقرابة ثلاثة قرون أمضاها الداي محمد عثمان باشا رسميا يوم 17 شعبان 1200هـ الموافق لـ 14 جوان 1786م،بينما أمضاها عن الجانب الاسباني الوزير الأول الكوندي دي فلوريدا بلانكا بتاريخ 26 أوت من نفس السنة ،وكتبت في ثلاث نسخ ،الأولى بالإسبانية وإحتفظ بها الملك الاسباني، والثانية بالعثمانية لداي الجزائر،وثالثة احتفظ بها القنصل الاسباني المقيم بالجزائر. [1]

تعتبر هذه المعاهدة نسخة مطابقة تقريبا للمعاهدة التي عقدتها الجزائر مع فرنسا عام 1689م وهو ما أصر الاسبان عليه ،إلا أنه أضيف لها بندان [2]،وقد احتوت هذه المعاهدة على خمسة وعشرين بنداً تناولت مسائل عديدة [3] تتمحور أساسا حول الملاحة البحرية ،والمبادلات التجارية ووضعية الجالية الإسبانية، والصلاحيات الممنوحة للقنصل الإسباني،و يمكن أن نجملها فيما يلي :

. نص البند الأول والثاني والثالث والسابع عشر على أن هذه المعاهدة معاهدة سلم بين الدولتين ،وأن الغرض منها هو ضمان حرية الملاحة للطرفين،و تنمية التبادل التجاري بين البلدين مع بيان اجراءات التفتيش السفن وإمكانية إلتجائها إلى المرافئ الجزائرية أو الإسبانية مع شرط التعامل بالمثل.

. والبندان الرابع والثامن ينصان على امكانية حماية سفن الطرفين داخل الموانئ أو عند مغادرتها ،مع الإلتزام بعدم تقديم يد العون للدول المعادية لأي طرف،كما نص البند السابع والتاسع والثامن عشر على قضية الرسوم الجمركية وإجراءات شحن البضائع بين البلدين .

---

(1) يحي بوعزيز:المرجع السابق، ص 38 .

(2) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق ،ص 34 .

(3) للاطلاع عى نص المعاهدة كاملا، والمترجم إلى اللغة العربية ينظر:الملحق السادس من هذه المذكرة،ص ص 145-150 .

. والبنود العاشر والثاني عشر والرابع عشر والخامس عشر والتاسع عشر توضح صلاحيات القنصل الإسباني بالجزائر وهي حقوق دبلوماسية كالتي يتمتع بها القنصل الفرنسي بالجزائر ،كما حددت هذه البنود وضعية الرعايا الإسبان بالجزائر ،كما أن البنود الحادي عشر والثالث عشر والسادس عشر تنص على حرية ممارسة الشعائر الدينية للرعايا الإسبان بالجزائر

. أما البندان العشرون والواحد والعشرون فقد أشارا إلى النقطة الحساسة والتي تعتبر أصل الصراع بين الطرفين وهي قضية وهران والمرسى الكبير ،حيث اقرا البندان على ان وضع المدينة يبقى كما هو عليه مع ضمان عدم مهاجمتهما والتضييق عليهما من طرف الداي بالجزائر او باي الغرب بمعسكر ،في مقابل إمتناع الإسيبان عن إرسال أي مركب قد تعتبره الجزائر عملا عدائيا.

. والبنود الثالث والعشرون، والرابع والعشرون، والخامس والعشرون تتضمن الإجراءات المتخذة في حالة تجدد العداء بين البلدين بحيث يكون لرعايا الطرفين مهلة ثلاثة ايام حتى يتمكنوا من تسوية اعمالهم ومغادرة البلاد ،اما في حالة السلام فإن البحارة الجزائريين يمتنعون عن مهاجمة السواحل الإسبانية والبابوية ، كما طرحت قضية العبيد أو الأسرى الفارين من الجزائر أو إسبانيا والذين قد يستغلون تواجد سفن بلدانهم عند ترددها على السواحل أو الموانئ للهروب فعلى بحارة البلدين إعادتهم دون شرط .[1]

يظهر من خلال نص المعاهدة أنها كانت نصرا سياسيا لإسبانيا التي استفادت بامتيازات في الجزائر مع ضمان عدم تعرض البحارة الجزائريين لسفنها في البحر ،بينما الجزائر فلم تتمكن من تحقيق أبرز مطالبها وهو إسترجاع مدينة وهران والمرسى الكبير الذي لم تتطرق إليه بنود هذه المعاهدة،إلا أن بعض المؤرخين الغربيين مثل بورسي ودي غرامون يؤكدون على أن معاهدة 1786م تتضمن صراحة موافقة الإسبان على الانسحاب من وهران والمرسى الكبير مقابل الضمانات والتعهدات التي أعطيت لهم ،مما يطرح عدة تساؤلات حول صحة نص المعاهدة وسلامته من التحريف والتزوير ،كما لم تتطرق بنود هذه المعاهدة إلى التعويضات المالية الكبيرة التي تلقتها الجزائر مما يدل على وجود بنود سرية لم يتم الافصاح عنها أو التصريح بها بين البلدين[2].

---

(1) مولاي بلحميسي :المرجع السابق،ص ص 17.13 .

(2) سعيدوني ناصر الدين:"المعاهدة الجزائرية الإسبانية 1791"/في/مجلة الدراسات التاريخية ، ع 7، 1993م ،معهد التاريخ جامعة الجزائر، الجزائر ،ص ص 77.76 .

وهناك من يفترض كالأستاذ سعيدوني أن النسخة الإسبانية قد وقع فيها تحريف أو حذف لبعض الفقرات، باعتبار أنها موجهة أساسا للرأي العام الإسباني، أو أن النص الإسباني وقعت مراجعته وتنقيحه فيما بعد وعن قصد، ذلك أن الحكام الإسبان كانوا يأملون في أن المبالغ المالية الطائلة كفيلة بصرف حكام الجزائر عن اصرارهم على التمسك بمطلبهم المتمثل في استرجاع وهران والمرسى الكبير ،كما أن الإسبان كانوا ينتظرون نهاية الداي محمد عثمان باشا الذي تجاوز الثمانين من عمره ،وتولية وكيل الحرج حسن المتفهم لمطالبهم حتى يتمكنوا من عقد معاهدة بشروط مرضية.[1]

4 . الآثار المترتبة عن المعاهدة:

إن التوصل إلى عقد معاهدة السلم والصداقة بين الجزائر وإسانيا قد أحدث ارتياحا كبيرا لدى كليهما،لكن سرعاما حدث خلاف حول بعض بنودها ،فكانت المراسلات الدبلوماسية هي السبيل الوحيد لحل المشاكل العالقة بين البلدين،فبعد ثلاثة أيام من توقيع الصلح وبتاريخ 17 جوان 1786م كتب الداي محمد عثمان باشا رسالتين :احداهما إلى الملك كارلوس الثالث أبلغه فيها بوصول رسالته وأنه فهمها وقبل بالتغيير الذي إقترحه في شروط الصلح المحررة في ثلاث نسخ،والرسالة الثانية إلى الوزير دي فلوريدا بلانكا إشتكى له فيها من رغبة الملك في إحداث تغيير في بعض شروط الصلح.[2]

وجه الملك الإسباني كارلوس الثالث رسالة إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ 31 أكتوبر 1786م [3] أخبره فيها بأنه أرسل إليه شروط الصلح ممضاة من وزيره الأول وتمنى ان يكون صلحا حقيقيا ومحترما من الطرفين .

---

(1) ناصر الدين سعيدوني :المرجع السابق،ص 77 .

(2) يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص 48.

(3) نفسه،ص 49.

بعث الداي محمد عثمان باشا رسالة إلى الوزير دي فلوريدا بلانكا بتاريخ 24 أفريل 1787م يخبره فيها بان الكونت دي سيبلي قام بتغيير بعض فقرات الصلح، وهي ثلاثة بنود :البند الرابع المتعلق بالتجارة والبند العشرون الخاص بوهران والبند الخامس والعشرون الذي وردت فيه إجراءات تخص سواحل البابوية ،واعتبر الداي أن ذلك يعد غدراً وخيانة من دي سيبلي ،وأنه من الضروري اعادة العمل بهذه البنود حسب نصها الأصلي مؤكدا رفضه لأي تحوير لأي بند من بنود المعاهدة الأصلية.[1]

استمر تبادل الرسائل بين الطرفين إلى غاية وفاة الملك كارلوس الثالث ،وعلى اثر وفاته كتب ملك إسبانيا الجديد كارلوس الرابع[2] رسالة إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ 26 ديسمبر 1788م[3] أخبره فيها بوفاة والده ،وأكد له بأنه لن يغير في سياسته مع الجزائر ،وتمنى أن يطبق الصلح ويستمر بين البلدين ،ورد عليه الداي محمد عثمان باشا برسالة في 4 فيفري 1789م [4] يعزيه في والده ،ويطلب منه المحافظة على علاقات الصداقة القائمة بين البلدين ،ومما جاء فيها: « ... كما تعلمون فخامتكم أيضا فإن الصداقة بيننا وبين أبيكم العظيم قوية ومثالية ..لكونها مستوحاة من القواعد والأسس التي ضبطت بمقتضى معاهدة الصلح والسلم التي أبرمت بيننا..وكلنا امل وانتم ترثون عرش إسبانيا من بعده ،في أن تحذو حذوه وتنهجو منهجه وتسيروا على مسيرته في التعامل والتصادق والتوادد معنا ،وفي المحافظة على قواعد الصلح والسلام القائمة بيننا ..فإذا واظبتم على هذه الوتيرة فإنكم ستجدون منا كل العون والمساعدة ...»[5]

---

(1) يحي بوعزيز:المرجع السابق ،ص ص 5150.

(2) كارلوس الرابع:تولى عرش إسبانيا في الفترة ما بين (1788 1808م)ضعيف الإدارة قليل الحزم ،كان حليف فرنسا ،في عهده دمر الإنجليز الأسطول الإسباني في معركة ترفلقاز.للمزيد ينظر: محمد شفيق غربال :المرجع السابق،ص 1063.

(3) يحي بوعزيز:المرجع السابق،ص 140 .

(4) نفسه، ص ص 142141.

(5) نفسه، ص 142 .

5. نتائج المعاهدة :

لقد أفرزت معاهدة 1786 م عدة نتائج على الدولتين ،ومن الملاحظ أن اسبانيا هي المستفيد الأكبر منها حيث استفادت من الحصول على امتيازات تجارية في منطقة الغرب الجزائري ،تماثل الامتيازات الفرنسية في الشرق الجزائري ،وهذا ماكانت تسعى إليه إسبانيا، فتمكنت من تحقيق مبدأ التعامل بالمثل في اطار المنافسة الفرنسية الاسبانية في المنطقة،كما تمكنت إسبانيا من تحقيق الأمن لسواحلها الشرقية ،والتي عانت كثيرا من هجمات الجزائريين، وبفضل هذه المعاهدة استطاعت تأمين الطرق التجارية للسواحل الايطالية .

أما من جانب الجزائر فإن هذه المعاهدة وفرت مبالغ مالية معتبرة للخزينة الجزائرية أشار إليها الشريف الزهار بقوله : « ..ودفع الإصبانيول ثمن الصلح وغرامة مائة سنة سلفا ...وقد تعمرت بذلك المال الخزينة الأولى والثانية ووضعوا في الثالثة هذا خلاف ما دفع عن الأسرى لأهل البلاد ..»[1] ،وقد أشار مصطفى بن حسن خوجة أشار إلى ما طلبه الداي من إسبانيا مقابل هذا الصلح وهو :« خمسمائة ألف قطعة ذهبية وخمسين مدفعا وألف قنطار من الخشب المخصص لبناء السفن وعشرة آلاف قذيفة مدفع وإثنتي عشر ألف قنطار من البارود »[2]،وذلك كتعويض على ما خلفته الحملات الاسبانية الثلاث ،وهو ماوافق عليه المفاوضان الإسبانيان كاملا.

كما تم تحرير كامل الأسرى الجزائريين الموجودين بإسبانيا ،والذين لا يزيدون عن 100 أسير ،وبالمقابل افتدت إسبانيا أسراها والبالغ عددهم 1350 إفتداهم الملك الاسباني بـ 1000 ريال للأسير الواحد ،وقد أشار الزهار إلى ذلك بقوله: « ..فلما كانت سنة 1199 أتى الإصبانيول للصلح ،وأتوا معهم بالآسارى الذين عندهم وأبدلوهم بالنصارى الأسارى ،أما الأسارى الباقين من الإصبانيول فدفع عنهم ألف دورو لكل رأس ،وكذلك دفع لأهل البلاد قيمة الأسارى الذين بأيديهم ألف دورو لكل رأس ،وحمل الأسارى ووقع بينهم الصلح..»[3]

---

(1) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 34.

(2) شكيب بن حفري:المرجع السابق،ص 132.

(3) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 34.

كما استفادت البحرية الجزائرية من توسيع مناطق نشاطها وذلك بالخروج إلى المحيط الاطلسي، والتعرض للسفن الأمريكية والبرتغالية مما دفع البلدين إلى السعي لعقد معاهدة سلم مع الجزائر نظرا لتضرر بحرياتهما من نشاط البحارة الجزائريين في المحيط، وقد أشار إلى ذلك كاثكارت بقوله : «.. وقد أخبرني الرايس أنهم قراصنة جزائريون ، وأنهم دخلوا المحيط الأطلسي على اثر عقد معاهدة سلام بين الجزائر وإسبانيا .. »[1].

يرى بعض المؤرخين أن المعاهدة كانت وسيلة ضغط على إسبانيا بغرض الانسحاب من وهران والمرسى الكبير ،لذلك لم يرفع الباي محمد الكبير الحصار على المدينة إلى أن حررت المدينة في عهد الداي حسن إذ يقول الزهار في ذلك : «... ووقع الصلح بينهم على مائة سنة ،وذلك في البحر فقط وأما البر من جهة وهران فلم يقع الصلح إلى أن فتح الله على المسلمين في أول ولاية حسن باشا ...»[2]

وضعت هذه المعاهدة أسس للتفاهم بين الجزائر وإسبانيا،وذلك بتصفية كل الخلافات والمشاكل التي كانت عالقة بين البلدين قرابة ثلاثة قرون، هذه الخطوة فرضتها عدة ظروف داخلية خاصة بالدولتين، وعدة ظروف دولية خاصة بمنطقة الحوض الغربي للمتوسط ،وأعتبرت لدى كثير من المؤرخين أنها مقدمة لسلم حقيقي بين البلدين سوف يستكمل عام 1791م الذي ينهي أغلب القضايا العالقة بين البلدين، والتي كانت سببا في الصراع الحاد ،بالانسحاب النهائي لإسبانيا من وهران والمرسى الكبير ،وذلك في عهد الداي حسن باشا الذي خلف الداي محمد عثمان باشا بعد وفاته سنة 1791 م .

---

(1) كاثكارت:المصدر السابق،ص 18.

(2) أحمد الشريف الزهار:المصدر السابق،ص 34 .

ومما سبق يمكن القول إن :

. الداي محمد عثمان باشا انتهج سياسة خارجية حازمة مع كافة الدول الأوربية، وعلى رأسها إسبانيا وفرنسا ،فشدد الرقابة على الإمتيازات الفرنسية عند تجديد هذه الإمتيازات سنوات 1767م،و1768م،و1790م، وأبقى العلاقات متوترة مع إسبانيا لنزعتها الصليبية وتمسكها بوهران والمرسى الكبير .

ـ العلاقات الجزائرية الفرنسية في عهد الداي محمد عثمان باشا؛تميزت بالاستقرار والتعايش السلمي تارة ،والتوتر والصدام تارة أخرى، فظلت تتأرجح بين السلم والتوتر، غير أن هذه الحوادث التي طرأت بين الحين والأخر لم تؤد إلى القطيعة، فكانت التوترات تجد دائما حلولا لها اعتمادا على معاهدة السلم عام 1689م ،التي كرست مبدأ التعامل بالمثل واحترام مصالح كلا من الطرفين المتعاقدين.

. رغبة فرنسا الشديدة في إستمرار الوفاق في علاقاتها مع الجزائر ، نظرا للفوائد التي جنتها منه خاصة في إزدهار تجارتها بالمتوسط، فكانت تحرص بالإستئثار لوحدها بالإمتيازات التجارية بالجزائر عن طريق الحصول على معاهدات أكبر وأوفى من سابقتها لحماية مصالحها التجارية والإستراتيجية في الجزائر .

. لعبت الوساطة الفرنسية دورا كبيرا في تقريب وجهات النظر بين الجزائر وإسبانيا رغم صعوبة التوفيق بين الطرفين بسبب مشكل التواجد الإسباني بوهران والمرسى الكبير ،وإشتراط الداي محمد عثمان ألا معاهدة مع إسبانيا دون إستعادة وهران .

. العلاقات الجزائرية الإسبانية في عهد الداي محمد عثمان باشا تميزت بالعداء والصراع الحاد رغم نجاح اسبانيا في عقد معاهدة سلام مع الدولة العثمانية ،إلا أنها لم تسطع إقناع الداي بالصلح مما يدل على إستقلالية القرار الجزائري عن الباب العالي خاصة في الأمور الإستراتيجية للدولة.

. أن الحملات العسكرية الإسبانية المتتالية على مدينة الجزائر لم تحقق ما كانت إسبانيا تأمله منها، من فرض صلح وفق الشروط الإسبانية ،ما دفع الإسبان إلى تغيير سياستهم العسكرية، وانتهاج الأسلوب الدبلوماسي الذي أفضى بعد مفاوضات شاقة إلى إقرار معاهدة سلام وصداقة مع الجزائر عام 1786م.

الخاتمة

وفي ختام هذه الدراسة لموضوع :علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا من 1766م إلى غاية 1791 م، توصلنا إلى جملة من الإستنتاجات والملاحظات يمكن أن نوجزها كالأتي:

. شهدت الجزائر أثناء حكم الداي محمد عثمان باشا إستقرارا داخليا ،وإزدهاراً إقتصادياً ،وإنتظاماً في السياسة الخارجية، لم تعرفه الجزائر طيلة حكم الدايات الذين سبقوه، ولعل بقاءه مدة خمس وعشرين سنة في الحكم دليلٌ على ذلك.

. انتهج الداي محمد عثمان باشا سياسة خارجية حازمة مع كافة الدول الأوربية، وعلى رأسها إسبانيا وفرنسا،فشدد الرقابة على الامتيازات الفرنسية عند تجديد هذه الإمتيازات سنوات 1767م،1768م،1790م، وحد من نفوذ قنصل إنجلترا الذي اضطر إلى مغادرة الجزائر سنة 1783م ،ورفع قيمة الاتاوات السنوية للدول التي كانت تنتفع بالتبادل التجاري مع الجزائر كهولندا والسويد والدانمارك ،في الوقت الذي رفض فيه أي اتفاق سلام ومصالحة مع إسبانيا لعدائها التقليدي للجزائر فتصدى لحملاتها العسكرية المتتالية ،وأبقى العلاقات معها متوترة نتيجة تمسكها بوهران والمرسى الكبير .

ـ إن علاقات الجزائر مع فرنسا وإسبانيا في عهد الداي محمد عثمان باشا تحكمت فيها الظرفية السياسية ،والمصالح التجارية ،وتواجد الأسرى في كلتا الجهتين .

ـ يعتبر نشاط القرصنة من العوامل المؤثرة في العلاقات بين ضفتي الحوض الغربي للمتوسط بشكل عام،وقد ظل يمثل حجر عثرة في مسار علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا بشكل خاص.

ـ عرف النشاط البحري الجزائري في أواخر القرن الثامن عشر المبلادي، تراجعاً ملحوظاً ،بسبب معاهدات الصلح ،التي عقدها الداي محمد عثمان باشا مع أغلب دول وممالك غرب أوربا المتوسطية،مما أدى إلى اهتمام الداي بالتجارة الداخلية والخارجية ،باعتبارها البديل الأساسي لنشاط القرصنة.

ـ تعتبر قضية الأسرى إحدى السمات البارزة التي شكلت ملامح تاريخ علاقات الجزائر الخارجية ،فكانت قضية الأسرى تشكل حجر الزاوية في علاقات الجزائر الخارجية بعامة ،ومع إسبانيا وفرنسا بشكل خاص.

. يعتبر التمثيل الدبلوماسي الأوربي بالجزائر، من أبرز العوامل المؤثرة في نسج علاقات الجزائر الخارجية في عهد الداي محمد عثمان باشا ،خاصة مع فرنسا وإسبانيا .

. قامت العلاقات بين الجزائر وفرنسا لمعالجة عدة مواضيع ناجمة عن نشاط القرصنة وإفتكاك الأسرى والتجارة ،ولم تشهد في أي وقت مضى فترة هدوء وإستقرار وحسن النوايا المتبادلة،كالتي شهدتها في عهد الداي محمد عثمان باشا .

ـ اتصفت العلاقات الجزائرية الإسبانية طيلة العهد العثماني بالعداء وغلب عليها طابع التحدي نظرا لموقف إسبانيا المعادي للنشاط البحري الجزائري وتمسكها باحتلال وهران والمرسى الكبير ،ولم يوضع حد لهذه الحالة من العداء والتوتر إلا باقرار معاهدة سلم وصداقة في عهد الداي محمد عثمان باشا سنة 1786م .

. لعبت الوساطة الفرنسية دورا كبيرا في تقريب وجهات النظر بين الجزائر وإسبانيا رغم صعوبة التوفيق بين الطرفين بسبب مشكل التواجد الإسباني بوهران والمرسى الكبير .

. إن العلاقات الجزائرية الإسبانية في عهد الداي محمد عثمان باشا ،عرفت تطورات واضحة واتسمت بتناقضات كثيرة ،فرغم إقتناع إسبانيا بالتفاوض رأسا مع الحكومة الجزائرية ،دون اللجوء إلى الباب العالي ،فإنها لم توفق في اتخاذ سياسة واضحة تجاه الحكومة الجزائرية، تجسد ذلك في توجيهها لثلاث حملات عسكرية ضد مدينة الجزائر، والتي باءت كلها بالفشل ،فاقتنع الإسبان باستحالة الضغط على الجزائر بواسطة الأسلوب العسكري، مما اضطرهم إلى اعتماد الأسلوب الدبلوماسي ،والسعي لابرام معاهدة سلام مع الجزائر ،والذي تم سنة 1786 بعد مفاوضات طويلة وبهذه المعاهدة يسدل الستار عن صفحة الصراع الجزائري الإسباني الطويل ،والذي دام قرابة ثلاثة قرون كاملة ،وتفتح صفحة جديدة في تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية إتسمت بالتقارب والتفاهم، من خلال التمثيل الدبلوماسي في الجزائر ،والتبادل التجاري ،والامتيازات الإسبانية خاصة في الغرب الجزائري .

الملاحق

الملحق الأول : رسالة من الملك لويس السادس عشر إلى الداي محمد عثمان باشا بتاريخ 6 أوت 1775 م تعكس طابع علاقات الصداقة بين البلدين .[1]

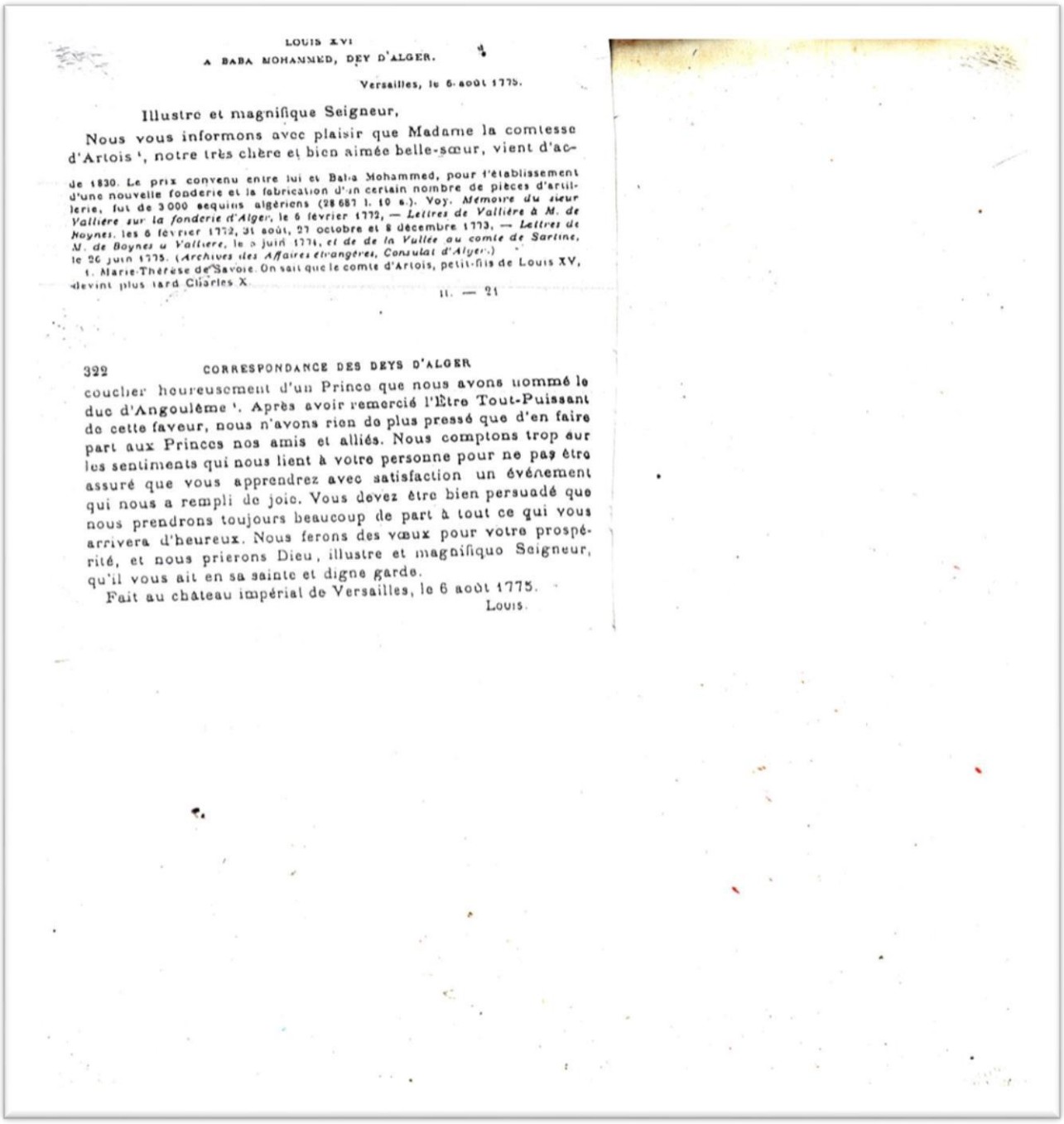

LOUIS XVI
A BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER.

Versailles, le 6 août 1775.

Illustre et magnifique Seigneur,

Nous vous informons avec plaisir que Madame la comtesse d'Artois [1], notre très chère et bien aimée belle-sœur, vient d'ac-

de 1830. Le prix convenu entre lui et Baba Mohammed, pour l'établissement d'une nouvelle fonderie et la fabrication d'un certain nombre de pièces d'artillerie, fut de 3 000 sequins algériens (28 687 l. 10 s.). Voy. *Mémoire du sieur Vallière sur la fonderie d'Alger*, le 6 février 1772, — *Lettres de Vallière à M. de Boynes*, les 6 février 1772, 31 août, 27 octobre et 8 décembre 1773, — *Lettres de M. de Boynes à Vallière*, le 5 juin 1774, *et de de la Vallée au comte de Sartine*, le 26 juin 1775. (*Archives des Affaires étrangères, Consulat d'Alger.*)

1. Marie-Thérèse de Savoie. On sait que le comte d'Artois, petit-fils de Louis XV, devint plus tard Charles X.

II. — 21

322 CORRESPONDANCE DES DEYS D'ALGER

coucher heureusement d'un Prince que nous avons nommé le duc d'Angoulême [1]. Après avoir remercié l'Être Tout-Puissant de cette faveur, nous n'avons rien de plus pressé que d'en faire part aux Princes nos amis et alliés. Nous comptons trop sur les sentiments qui nous lient à votre personne pour ne pas être assuré que vous apprendrez avec satisfaction un événement qui nous a rempli de joie. Vous devez être bien persuadé que nous prendrons toujours beaucoup de part à tout ce qui vous arrivera d'heureux. Nous ferons des vœux pour votre prospérité, et nous prierons Dieu, illustre et magnifique Seigneur, qu'il vous ait en sa sainte et digne garde.

Fait au château impérial de Versailles, le 6 août 1775.

Louis.

---

[1] Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 321_322.

تعريب الرسالة:

لويس السادس عشر

إلى بابا محمد ،داي الجزائر

فيرساي في :06 أوت 1775 .

السادة أصحاب الفخامة .

يسعدنا ان نعلمكم بان السيدة الدوقة دارتوا ،أختنا العزيزة والمحبوبة جداً قد أنجبت بكل السعادة أميراً ،والذي سميناه الدوق أنقولام .

وبعد شكر الله عن هذا الإجتباء، فلم يكن لنا أولى من أن نشرك هذه الفرحة أمراءنا وأصدقاءنا وحلفاءنا .

نعدها وشيجة تلك المشاعر التي تربطنا بشخصكم ،ونحن على اتم الثقة أنكم تستقبلون هذا الحدث الذي ملأنا بالفرحة ،بكل رضا وسعادة.

وأنتم يجب أن تكونوا مقتنعين بأننا نشارككم دائما في كل ما يحصل عندكم من أحداث سعيدة.

كل تمنياتنا من أجل إزدهاركم ،وندعو الله سيدي المبجل والمعظم أن يشملكم في عزه وحفظه.

أنجزت في القصر الإمبراطوري لفيرساي في 6 أوت 1775 م.

لويس

الملحق الثاني : رسالة من الداي محمد عثمان باشا إلى الملك لويس السادس عشر بتاريخ 2 سبتمبر 1775 م تعكس طابع علاقات الصداقة بين البلدين .[1]

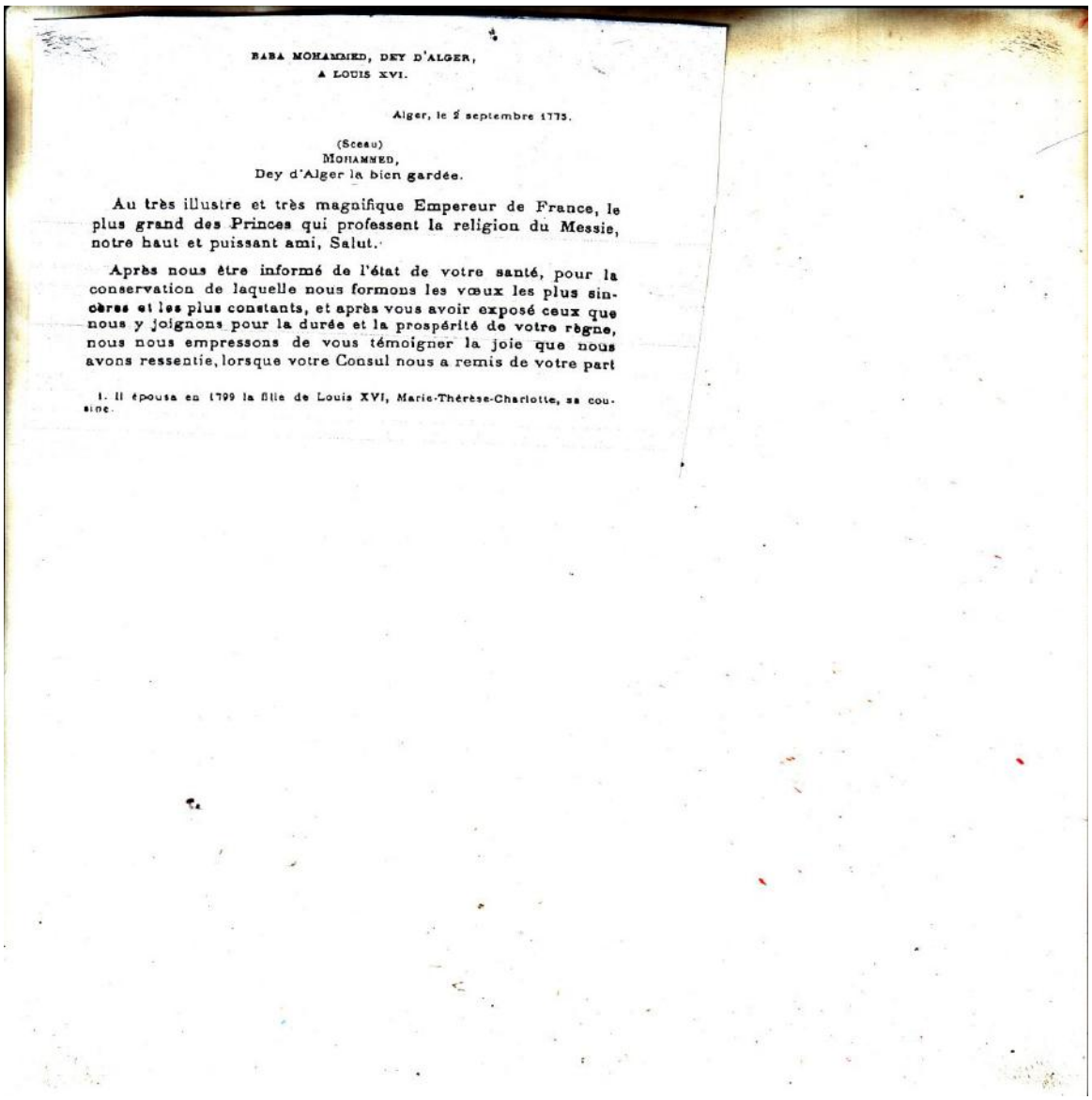

BABA MOHAMMED, DEY D'ALGER,
A LOUIS XVI.

Alger, le 2 septembre 1775.

(Sceau)
MOHAMMED,
Dey d'Alger la bien gardée.

Au très illustre et très magnifique Empereur de France, le plus grand des Princes qui professent la religion du Messie, notre haut et puissant ami, Salut.

Après nous être informé de l'état de votre santé, pour la conservation de laquelle nous formons les vœux les plus sincères et les plus constants, et après vous avoir exposé ceux que nous y joignons pour la durée et la prospérité de votre règne, nous nous empressons de vous témoigner la joie que nous avons ressentie, lorsque votre Consul nous a remis de votre part

1. Il épousa en 1799 la fille de Louis XVI, Marie-Thérèse-Charlotte, sa cousine.

---

(1) Eugéne,Plantet :Op.cit,pp 323_324.

la lettre pleine d'amitié que vous nous avez écrite, en date du 6 août dernier [1]. La nouvelle agréable et intéressante que vous avez bien voulu nous donner que votre illustre frère, le comte d'Artois, était devenu père d'un fils que vous avez nommé duc d'Angoulême, nous a causé la plus grande satisfaction. Votre amitié pour nous, et celle qui nous unit depuis si longtemps à votre Couronne, exigent de nous que nous prenions la part la plus sincère aux événements qui peuvent concourir à votre satisfaction. Nous souhaitons au Prince nouveau-né les jours les plus longs et les plus heureux, et, pour que notre joie soit complète, nous unissons nos vœux à ceux de votre peuple pour que le Ciel vous soit propice, en vous accordant des enfants qui marchent sur vos traces et qui soient dignes de vous. Puissent nos vœux être exaucés par l'assistance de Jésus, de Marie et de l'ange Gabriel! Ainsi soit-il!

Très illustre et très puissant Empereur, très haut et ancien ami, vous n'ignorez pas qu'en vertu des traités et de l'amitié qui nous unissent, votre nation et vos sujets jouissent chez nous d'un degré d'estime et de considération que nous n'accordons pas à nos autres alliés. Nous n'avons pas lieu de nous plaindre de cette déférence envers vous, par le zèle et l'empressement avec lequel vous nous servez dans les affaires les plus difficiles et les plus épineuses; c'est ce qui doit nécessairement nous porter à cultiver l'amitié et la bonne intelligence qui règnent entre nos deux nations. Aussi sommes-nous disposé à exécuter ponctuellement les articles des traités conclus entre nous, dans tous les cas qui se présenteront et dans toutes les affaires où l'équité n'aura point à souffrir d'atteinte. Nous espérons que vous voudrez bien agir avec nous selon les mêmes principes.

Veuille le Dieu Tout-Puissant prolonger vos jours et les faire prospérer!

Fait et écrit à Alger la forte et la bien gardée, le 2 septembre 1775 de Jésus-Christ.

1. Voy. p. 321.

تعريب الرسالة :

بابا محمد ،داي الجزائر

إلى لويس السادس عشر

الجزائر في :2سبتمبر 1775 .

(ختم)

محمد

داي الجزائر المحروسة

إلى السيد المعظم والمبجل ،إمبراطور فرنسا،أعظم أمراء الدين المسيحي،أقوى أصدقائنا.

بعد أن أعلمنا عن صحتكم ،والتي نتمنى لها دوام العافية ،وبعد أن عرضت ما يجمعنا من أجل دوام الرخاء لإمبراطوريتكم ،يسعدنا ان نعبر لكم عن الفرح الذي شعرنا به عندما سلمنا قنصلكم ،رسالتكم المليئة بالصداقة والتي كتبتها لنا في 6أوت الأخير،إنه لخبر مفرح إذ أعلمتنا أن أخاك الكونت داروا قد أصبح أباً لطفل سميتموه الدوق انقولام ،وكان السبب في رضا كبير لنا .

صداقتكم لنا والتي تجمعنا منذ وقت طويل بتاجكم تحتم علينا أن يكون لنا الحظ الأوفر في الأحداث التي تسهم في رضاكم،كما نتمنى للأمير الجديد طول العمر وتمام السعادة ليكون فرحنا كاملا ،كما نتمنى لشعبكم الرخاء ،وأن تتحفكم السماء بأولاد تمشي على خطاكم ،وموالين لكم ... كما لا ننسى أنه ووفقا للعقود التي بيننا والصداقة التي تجمعنا فإن شعبكم وقضاياكم تتمتع عندنا بدرجة من الإحترام لا يحظى بمثلها باقي حلفائنا ،ما لنا إلا أن نعرب هذا التميز تجاهكم فرغبتكم وإرادتكم نخدم قضايانا الجد صعبة والمعلقة ،لذا من الضروري أن نرعى صداقتنا التي تظل شعبينا.

كما اننا نشدد على تطبيق جميع بنود المعاهدات التي بيننا حرفيا ،وفي كل الحالات التي تقابلنا مستقبلا ،والعالة لن يشوبها أي شائب .

نتمنى ان تتعاملوا معنا بنفس المبادئ،أطال الله العظيم أيامكم وجعلها سخاءا ورخاءا.

أنجزت وكتبت في الجزائر القوية والمحروسة في 2 سبتمبر 1775 م .

الملحق الثالث : جول يوضح الغنائم المقيدة في سجل الغنائم البحرية[2]:

السنة	عدد الغنائم	القيمة بالفرنكات	الجنسية
1766	17	113052	أسبانيا ،البرتغال ،جنوة ،مجهولة
1767	18	356703	3برتغالية ،6 إسبانية، 1 نابولي ،مجهولة
1768	19	165539	6إسبانية ،1جنوية ،1 نابولي ،مجهولة
1769	8	291008	4 نابولي ،2 دانمارك ،2 إسبانية
1770	4	86933	1برتغال ،1 إسبانيا ،1 نابولي ،1مجهولة
1771	1	4351	مجهولة
1772	1	11122	1 نابولي
1773	2	1992	1 نابولي،1 جنوة
1774	4	121080	2 إسبانيا ،2مجهولة
1775	6	122002	1 نابولي ،1 روسيا ،1 إسبانيا ،1مجهولة
1776	10	104572	أغلبها إسبانية
1777	14	122441	أغلبها إسبانية
1778	14	324075	أغلبها إسبانية ،2نابولي، مجهولة
1779	13	315218	الكثير منها إسبانية ، جنوية ،ونابولية
1780	16	457313	الكثير منها إسبانية ، جنوية ،ونابولية
1781	13	316204	الكثير منها إسبانية ، جنوية ،ونابولية
1782	18	581580	الكثير منها إسبانية ، جنوية ،ونابولية،1 هولندية
1783	10	180026	الكثير منها إسبانية ، جنوية ،ونابولية وبرتغالية
1784	6	37456	بالأخص
1785	9	209377	أسبانية،برتغالية ،نابولية ،أمريكية ويونانية
1786	6	143803	2برتغالية ،2نابولية ،1 روسية ،1ليفورنية
1787	10	77080	أكثرها نابولية وجنوية
1788	3	288713	جنوية ونابولية
1789	7	463159	نابولية وفرنسية بدون جواز
1790	4	95885	نابولية وجنوية
1791	6	170449	1 نابولية ،1نمسوية ،مجهولة

---

[1] المنور مروش :القرصنة الأساطير والواقع ...،المرجع السابق ،ص ص 466 .467 .

الملحق الرابع : خريطة توضح توزيع القوات الجزائرية في البر ،ومنطقة نزول القوات الإسبانية أثناء حملة أوريلي على مدينة الجزائر عام 1775 م. [1]

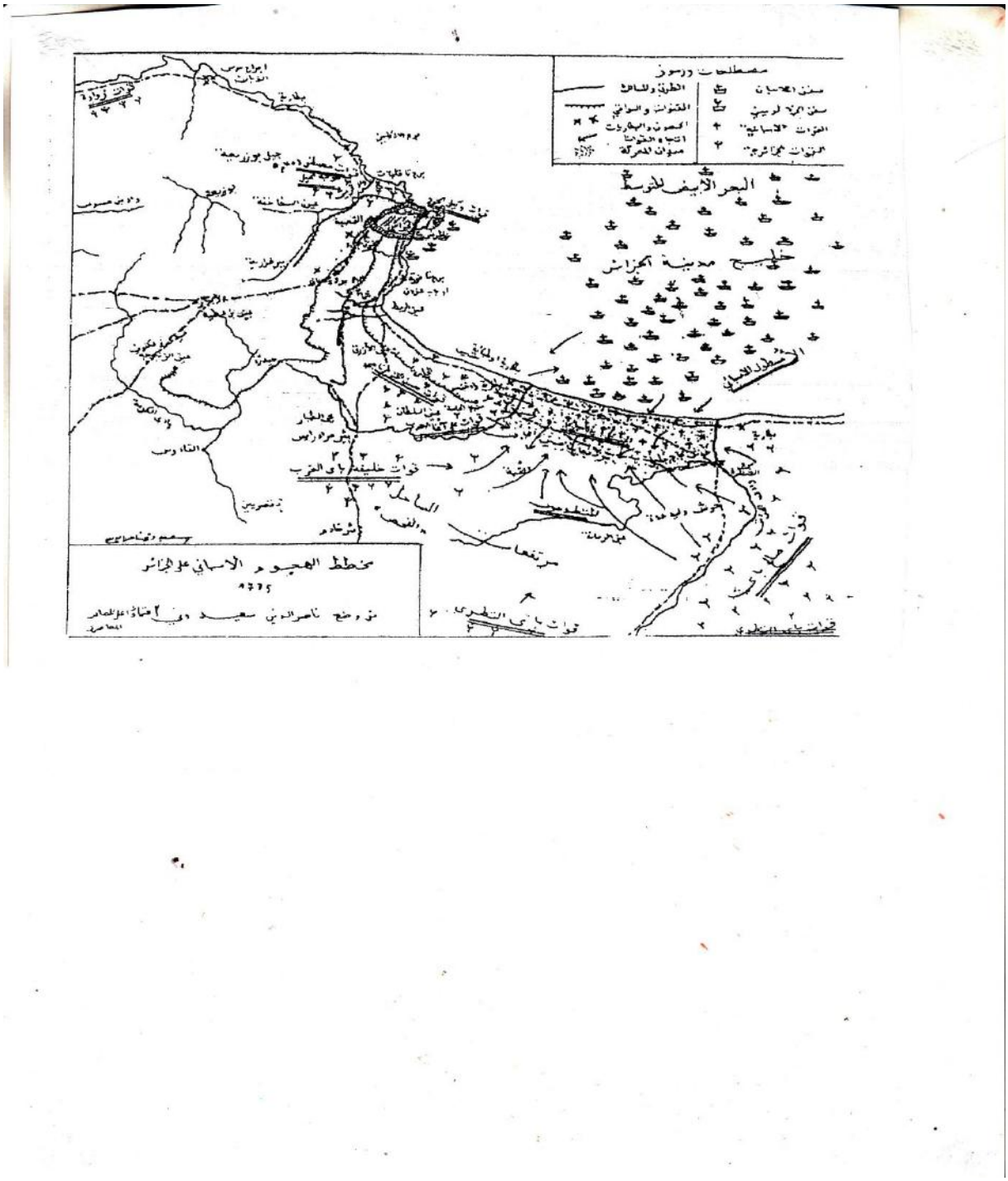

(1) ناصر الدين سعيدوني:المرجع السابق،ص 165 .

الملحق الخامس:نص بنود اتفاقية السلم والصداقة بين داي الجزائر محمد عثمان باشا ،وملك إسبانيا كارلوس الثالث،بتاريخ 26 أوت1786م. [1]

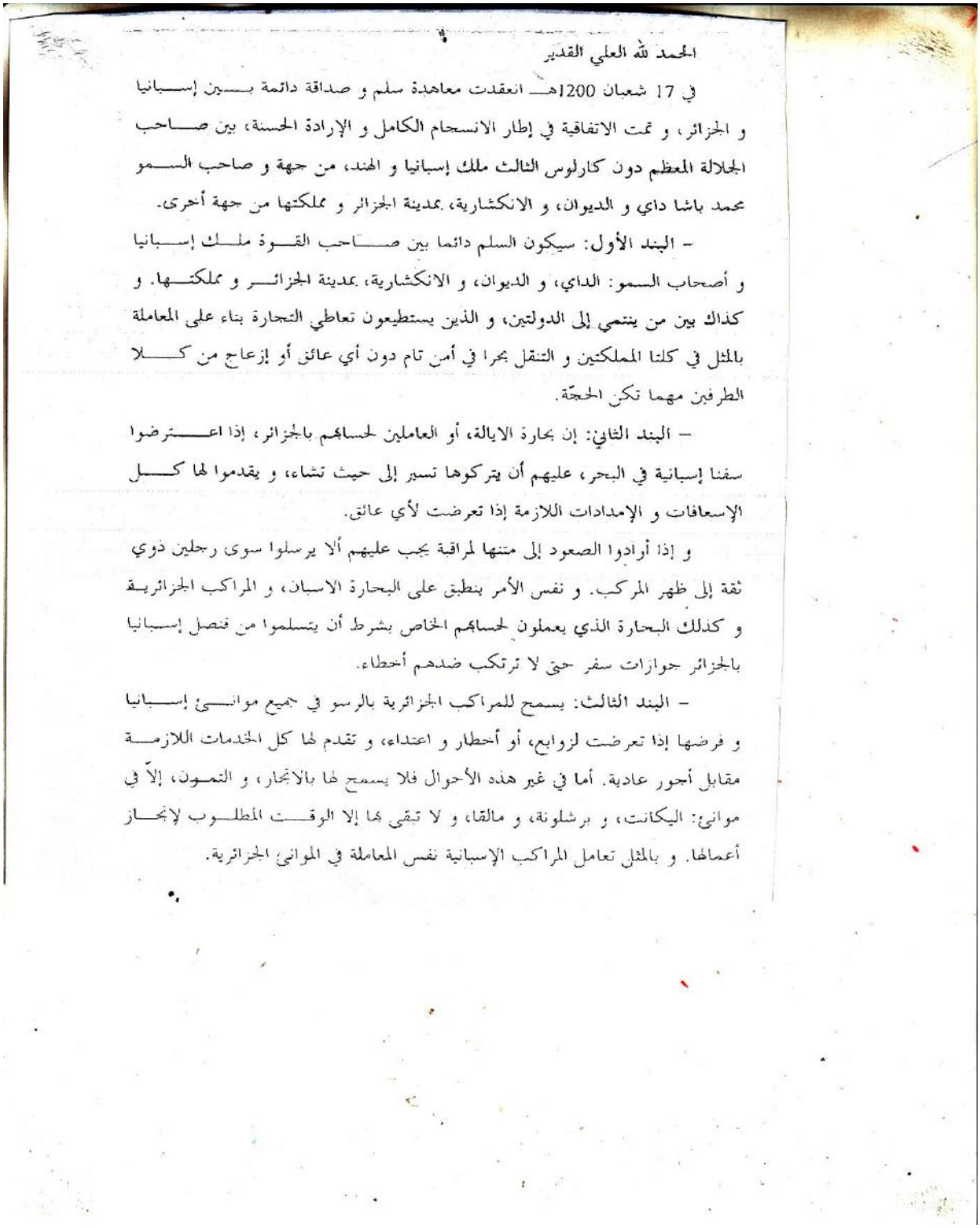

الحمد لله العلي القدير

في 17 شعبان 1200هـ انعقدت معاهدة سلم و صداقة دائمة بين إسبانيا و الجزائر، و تمت الاتفاقية في إطار الانسجام الكامل و الإرادة الحسنة، بين صاحب الجلالة المعظم دون كارلوس الثالث ملك إسبانيا و الهند، من جهة و صاحب السمو محمد باشا داي و الديوان، و الانكشارية، بمدينة الجزائر و مملكتها من جهة أخرى.

– البند الأول: سيكون السلم دائما بين صاحب القوة ملك إسبانيا و أصحاب السمو: الداي، و الديوان، و الانكشارية، بمدينة الجزائر و مملكتها. و كذلك بين من ينتمي إلى الدولتين، و الذين يستطيعون تعاطي التجارة بناء على المعاملة بالمثل في كلتا المملكتين و التنقل بحرا في أمن تام دون أي عائق أو إزعاج من كلا الطرفين مهما تكن الحجّة.

– البند الثاني: إن بحارة الايالة، أو العاملين لحسابهم بالجزائر، إذا اعترضوا سفنا إسبانية في البحر، عليهم أن يتركوها تسير إلى حيث تشاء، و يقدموا لها كل الإسعافات و الإمدادات اللازمة إذا تعرضت لأي عائق.

و إذا أرادوا الصعود إلى متنها لمراقبة يجب عليهم ألا يرسلوا سوى رجلين ذوي ثقة إلى ظهر المركب. و نفس الأمر ينطبق على البحارة الاسبان، و المراكب الجزائرية و كذلك البحارة الذي يعملون لحسابهم الخاص بشرط أن يتسلموا من قنصل إسبانيا بالجزائر جوازات سفر حتى لا ترتكب ضدهم أخطاء.

– البند الثالث: يسمح للمراكب الجزائرية بالرسو في جميع موانئ إسبانيا و فرضها إذا تعرضت لزوابع، أو أخطار و اعتداء، و تقدم لها كل الخدمات اللازمة مقابل أجور عادية. أما في غير هذه الأحوال فلا يسمح لها بالاتجار، و التموين، إلاّ في موانئ: اليكانت، و برشلونة، و مالقا، و لا تبقى لها إلا الوقت المطلوب لإنجاز أعمالها. و بالمثل تعامل المراكب الإسبانية نفس المعاملة في الموانئ الجزائرية.

(1) مولاي بلحميسي:المرجع السابق، ص ص 12 .18.

– **البند الرابع:** إذا وجد مركب إسباني في ميناء الجزائر أو أحد موانيها الأخرى بالمملكة، و تعرض لهجوم من طرف أعداء إسبانيا، فإن كان داخل مرسى مدفعية الحصون فعليها أن تحميه، و على قائدها أن يجبر المغيرين على إمهال المركب الإسباني و قتا كافيا لا يقل عن 24 ساعة للخروج و الابتعاد، و ذلك بحجز سفن العدو و منعها من ملاحقته، و تتخذ نفس الإجراءات من طرف ملك إسبانيا لفائدة مراكب الجزائر. و لا ينبغي لهذه المراكب أن تستولي على شيء لعدوها إذا وجد مرسى المدفع بالشواطئ الإسبانية كلها. و ينتقل المركب المذكور بالأشرعة و يكون الأمر كذلك إذا كان راسيا على مرأى السواحل لأن المركب في هذه الحالة يعتبر محتميا بالسواحل.

– **البند الخامس:** إذا وجد معادون للجزائر على مراكب إسبانية، أو اسبان على مراكب معادية للجزائر فلا يسترقون مهما كانت الحجة، حتى و لو نشب القتال بين الطرفين و يحترم الجانب الإسباني نفس القرار بالنسبة لأعداء إسبانيا الموجودين على مراكب جزائرية أو الجزائريون الموجودون على مراكب معادية لإسبانيا و على المسافرين أن يبرهنوا أنهم جزائريون أو اسبان بإظهار جواز سفر يسلمه لهم قنصل بلادهم في موانئ الإقلاع، و أن يعلنوا على أمتعتهم و كل ما هو تابع لهم.

– **البند السادس:** إذا أشرف مركب اسباني على الغرف قرب السواحل الجزائرية أو لاحقه الأعداء، بنفس المكان أو أجبرته رداءة الطقس على الاقتراب من الشواطئ يجب أن يتقدم و يقدم له ما يلزم لاصلاحه و استرداد حمولته، على أن يدفع مقابل الخدمات و الإسعافات، و لا يطالب بدفع أي مكس أو أتاوة على السلع التي أفرغت إلا إذا بيعت أو كان القصد بيعها في مرسى المملكة المذكورة.

– **البند السابع:** يستطيع كل التجار الاسبان بالموانئ و السواحل الجزائرية أن يتزلوا بضائعهم و يتاجروا بحرية دون أن يدفعوا أكثر ما يدفعه الأهالي.

و يتمتع التجار الجزائريون بنفس الحقوق في الموانيء الخاضعة للسيادة الإسبانية، و المنصوص عليها في البند الثالث، و إذا أنزل التجار المذكورين سلعهم بقصد الإيداع فقط، يكون من حقهم شحنها دون أن يدفعوا عليها أية ضريبة، و يدفع الجزائريون بإسبانيا و الاسبان بالجزائر نفس الرسوم الجمركية التي يدفعها الفرنسيون في هذين البلدين، و يمتثل الطرفان إلى ما تعامل به هذه الدولة.

– **البند الثامن:** لا يقدم الجزائريون أي مدد لمراكب دولة في حالة حرب إسبانيا، و لا يحموها حتى و لم كانت لمسلمين، و لا يعينون من حصل على شهادة ضريبة المهنة من طرف الدولة المعادية، و لا يستطيعون استعمال هذه الشهادة للدخول في الغزو البحري ضد الاسبان. و تتعهد إسبانيا باتخاذ نفس الموقف إزاء الجزائريين.

– **البند التاسع:** ليس لأحد أن يكره الاسبان بأيّ سبب أو دعوى على شحن (بضائع) في مراكبهم بموانئ الجزائر و فرضها، إذا رفضوا ذلك، و لا أن يجبروهم على القيام بأسفار إلى نواحي لا يرغبون في الذهاب إليها.

– **البند العاشر:** سيقيم قنصل لإسبانيا بالجزائر و يكون له نفس الامتيازات التي يتمتع بها قنصل فرنسا، و يتكفل بجميع شؤون الاسبان، بنفس الكيفية التي عالج بها قنصل فرنسا قضايا مواطنيه و ستكون له سلطة قضائية في الخلافات بين الاسبان، دون أن يتدخل فيها قضاة مدينة الجزائر.

– **البند الحادي عشر:** لكل الاسبان الموجودين بمملكة الجزائر، كامل الحرية في ممارسة شعائر الدين المسيحي سواء أكانوا بالمستشفى الملكي الإسباني التي تديره منظمة " الافتدائيين الثالوثيين المنتعلين " بمدينة الجزائر، أو في منازل القناصل أو دور نوابهم أو التي يستحسن في المستقبل إنشاؤها في أماكن أخرى.

– **البند الثاني عشر:** يسمح للقنصل باختيار ترجمانه و وكيله التجاري، و بزيارة السفن الإسبانية متى شاء. و له أن يرفع علما إسبانيا فوق زورقه أو على منزله.

– **البند الثالث عشر:** عندما تنشب مشاجرة أو نزاع بين إسباني و تركي أو مغربي لا يكون الأمر من اختصاص قضاة المدينة العاديين، و إنما ينظر فيه مجلس الباشا و الداي و الديوان و الانشكارية، بمحضر القنصل أو قائد أحد الموانئ خارج المعاصمة حيث نشب الخلاف و يحكم بالعدل، و يحاول الصلح بين الطرفين.

– **البند الرابع عشر:** لا يتحمل قنصل إسبانيا بحكم وظيفته، مسؤولية ما يرتكبه بعض التجار أو الأشخاص الاسبان من ديون، إلا إذا التزم بذلك كتابة. و توضع أملاك الموتى الاسبان بمملكة الجزائر تحت تصرف القنصل الإسباني ليسلمها لمستحقيها من الاسبان أو غيرهم و تطبق نفس الإجراءات لفائدة الجزائريين الذين يرغبون في الإقامة بإسبانيا.

– **البند الخامس عشر:** يعفى القنصل الإسباني بالجزائر من جميع رسوم الجمارك فيما يتعلق بمئونته و أثاث منزله.

– **البند السادس عشر:** إذا اعتدى إسباني على تركي أو مغربي لا يعاقب في غياب قنصل بلده الذي سيدافع عنه. و إذا فر منهم إسباني فلا يتحمل القنصل مسؤولية فراره.

– **البند السابع عشر:** إذا صادف أحد القراصنة الاسبان أو الجزائريين، في البحر، مركبا جزائريا أو إسبانيا، و ألحق به ضررا يعاقب، و يقوم الذين جهزوه بدفع التعويض المطلوب عن الخسائر.

– **البند الثامن عشر:** إذا اضطر مركب إسباني بسبب حدوث طارئ، أو نفاذ الماء أو أي سبب آخر، إلى الإرساء بالموانئ الخاضعة لسيادة الجزائر و لم يشحن أو ينزل البضائع، ليس للأغوات أو أصحاب المراسي المذكورة، الحق في أخذ رسوم الإرساء من المركب الإسباني أو مطالبته بها.

– **البند التاسع عشر:** يستطيع الباشا الدّاي أن يعين، متى شاء، شخصا مناسبا ليستقر بأحد مراسي إسبانيا بصفته ممثلا للدولة الجزائرية.

هذا فإن الداي يستقبل بفرح و سرور، كلّ شخصية تقم بالجزائر تحت حماية الملـــك الكاثوليكي، و علمه. كما أن جلالة الملك الكاثوليكي يستقبل من يمر بإسبانيا تحـــت رعاية داي الجزائر و علمه، و يكون الداي مستعدا للدخول في المفاوضات مع الـدول التي يحث عليها جلالته، و تكون في حالة سلم مع الباب العالي الذي يقتدي الـــداي بسياسته دائما.

باسم الله العلي القدير: إن المعاهدة الحالية من أجل السلم الدائم صودق عليـها بين إسبانيا و ايالة الجزائر، أملا في ؟أن يقبله و يوافق عليه صاحب العزة الملـــك دون كارلوس الثالث، أبقاه الله في الازدهار، كما قبله الداي محمد باشا العظيم، أبقـــاه الله في الازدهار، بعد الموافقة الشاملة من طرف الديوان و المفتي، و القاضيين، و العلمـــاء الأخيار. و الآغا، و يجب التوقيع و البصم بالخاتم على النسخ الأصلية الثلاثة المحـــررة باللغتين: الإسبانية و التركية – الأولى لجلالة الملك الكاثوليكي، و الثانية للداي باشـــا العظيم و الديوان و الانكشارية بالجزائر، و الثالثة تبقى في حيازة القنصل الذي يقيـــم بهذه المدينة.

نشر هذا النص بقصرنا يوم 17 من شهر شعبان 1200هـــ/ 14 جـــوان 1786.
خاتم و توقيع محمد باشا.

قبلت الأقرار و الموافقة على هذه الاتفاقية بالصيغة التي تمت بها. كمـــا أنـــي بمقتضى هذا المكتوب أقر و أوافق عليه أحسن الموافقة و أشملها و أتعهد إيمانا و وعـــدا من ملك بتنفيذه و مراعاته، و آمر بتطبيقه و احترامه.

سان ديفانسو. يوم 26 أوت 1786
خاتم و توقيع: أنا الملك
جوزيف مونينودي فلوريدا بلانكا.

الملحق السادس: خريطة توضح التقسيم الإداري للجزائر خلال الحكم العثماني.[1]

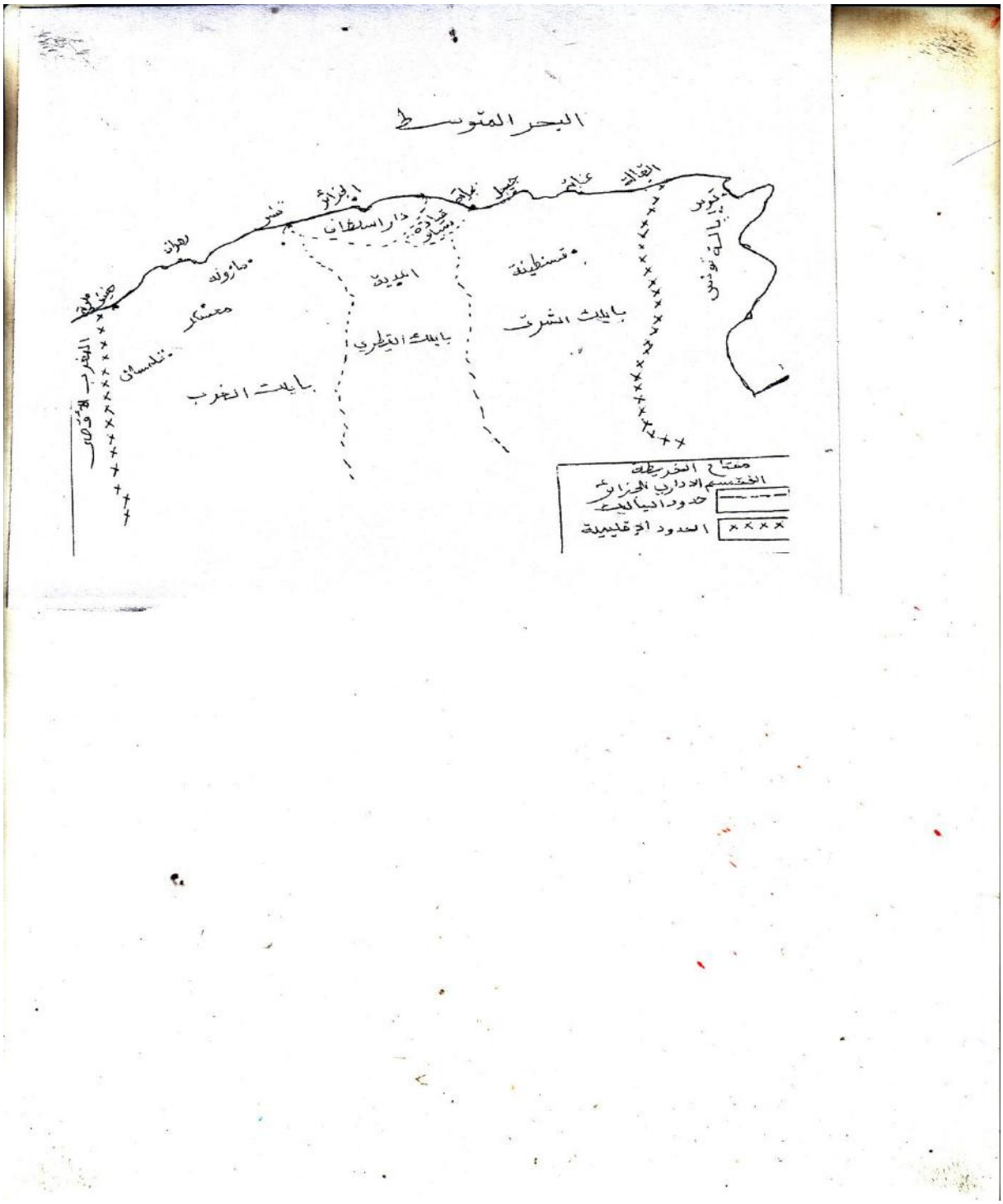

[1] أرزقي شويتام:المرجع السابق، ص 509.

قائمة المصادر والمراجع

أ. المصادر العربية والمعربة

ب . المصادر الأجنبية

ج . المراجع العربية والمعربة

د . المراجع الأجنبية

هـ . الدوريات والمقالات العربية

و . الدوريات والمقالات الأجنبية

ز. الأطاريح والرسائل والمذكرات الجامعية

أ . المصادر العربية والمعرّبة:

1. أبو راس الناصري محمد بن أحمد :عجائب الأسفار ولطائف الأخبار ،تق و تح :محمد غانم، ج1، منشورات المركز الوطني للبحث في الأنثربولوجيا الإجتماعية والثقافية ،الجزائر،2005 م.

2. التلمساني أحمد بن هطال:رحلة محمد الكبير باي الغرب الجزائري إلى الجنوب الصحراوي،تح وتق :محمد بن عبد الكريم ،عالم الكتب ،القاهرة ،مصر،ط1،1969 م.

3. الراشدي أحمد بن محمد بن علي ابن سحنون :الثغر الجماني في ابتسام الثغر الوهراني، تح وتق :المهدي البوعبدلي ،قسنطينة ،الجزائر ،مطبعة البعث،1973 .

4. الزهار أحمد الشريف: مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار نقيب أشراف الجزائر 1168.1246هـ /1754.1830م، تح وتق :أحمد توفيق المدني ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1974 .

5. المكناسي محمد بن عثمان :الإكسير في إفتكاك الاسير،تح :محمد الفاسي ،منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي ،الرباط 1965م.

6. المزاري ابن عودة (الأغا) : طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى آواخر القرن التاسع عشر ،تح:يحي بوعزيز ، ج 2 ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر 2009م.

7. المشرفي عبد القادر الجزائري :بهجة الناظر في أخبار الداخلين تحت ولاية الإسبان بوهران من الأعراب كبني عامر ،تح و تق :محمد بن عبد الكريم.

8. الناصري أبو العباس احمد بن خالد (السلاوي):كتاب الإستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،تحقيق وتعليق ولدي المؤلف ،الدار البيضاء 1955 م.

9. الغزال محمد:نهاية الإجتهاد في المهادنة والجهاد(رحلة الغزال وسفارته إلى الأندلس 1179.1180هـ/1766.1767م)،تح و تق إسماعيل العربي،ط1،دار الغرب الإسلامي، لبنان،1980م.

10. بن أبي الضياف أحمد: إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان،تح ،لجنة من كتاب الدولة للشؤون الثقافية والأخبار،ج2،الدار التونسية للنشر ،تونس،والشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1977م.

11. بن حمادوش عبد الرزاق الجزائري:لسان المقال في النبأ عن النسب والحسب والحال (رحلة ابن حمادوش الجزائري)،تح وتق:أبو القاسم سعد الله ،المكتبة الوطنية والمؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ،1983م.

12. خوجة حمدان بن عثمان:المرآة،تح:محمد العربي الزبيري،ط2،ش. و.ن .ت،الجزائر،1982 م

13. كاثكارت :مذكرات أسير الداي كاثكارت (قنصل امريكا في الجزائر) ،تر و تع :إسماعيل العربي ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1982م

14. شاوش حسن بن رجب (ابن المفتي):تقييدات ابن المفتي في تاريخ باشاوات الجزائر وعلمائها ،جمعها فارس كعوان،ط1،بيت الحكمة للنشر والتوزيع،الجزائر،2009 م.

ب) المصادر الأجنبية :

1- Paradis ,Venture de (J M):Tunis et Alger au XVIIIe siècle, Mémoire et Observation Rassemblés et Présentés Par Joseph Cuoq , paris, Edition la Libliothéque Arabe Sindbad ,1983.

2-Plantet Eugéne: Correspondance des Deys d'Alger avec la cour de France (1579_1833) , Paris ,F.Alcan,1889,T2

ج) المراجع العربية والمعربة:

1- إلتر عزيز سامح :الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا ،تر:محمود علي عامر،ج1،ط1،دار النهضة العربية ،لبنان، 1989م.

2- اندرسون ماتيو :تاريخ القرن الثامن عشر في أوروبا ،تعريب نور الدين حاطوم،دار الفكر،دمشق 1981 م.

3- الجمل شوقي عطا الله :المغرب العربي الكبير في عصر النهضة(ليبيا ،تونس،الجزائر،المغرب) ،ط1، مكتبة الأنجلو مصرية،القاهرة ،1977 م.

4- الجيلالي عبد الرحمان محمد:تاريخ الجزائر العام،ج3،دار الأمة للطباعة والنشر،الجزائر 2010 م.

5- المحامي محمد فريد بك :تاريخ الدولة العليا العثمانية ،تح :إحسان حقي،ط1،دار النفائس بيروت،1981 م.

6- المدني أحمد توفيق :حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492.1792م،ط2،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،الجزائر ،1976م.

7- المدني أحمد توفيق : محمد عثمان باشاداي الجزائر1766.1791 سيرته ،حروبه، أعماله،نظام الدولة والحياة في عهده ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ، 1986 م.

8- الميلي أحمد بن مبارك :تاريخ الجزائر في القديم والحديث،مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر،ج 3 1994م.

9- الزبيري محمد العربي :التجارة الخارجية للشرق الجزائري في الفترة ما بين 1792.1830 ،ط2 ،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1984 م.

10- الصالح صبحي : الحماية من القرصنة في نظر الشريعة الإسلامية ،أعمال أكاديمية المملكة المغربية ،الدورة التاسعة،الرباط ،1986م.

11- العكيلي صالح حسن:الوجه الأخر للنهضة الأوربية ،محاضرات في تاريخ أوربا في عصر النهضة(1453.1789)،ط1،مؤسسة الوراق،عمان،الأردن،2006 م.

12- برون جفري: تاريخ أوربا الحديث،تر علي المرزوقي، الأهلية للنشر والتوزيع ،لبنان ،ط1 2006 م.

13- بن صحراوي كمال:الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات،ط1 ،بيت الحكمة ،الجزائر،2009 م.

14- بوحوش عمار :التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962 ،ط1،دار الغرب الإسلامي،بيروت ،2005 م.

15- بوعزيز يحي :الموجز في تاريخ الجزائر ،ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر ،2007 م ،ج2،

16- بوعزيز يحي: المراسلات الجزائرية الإسبانية في أرشيف التاريخ الوطني لمدريد (1780. 1798) ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر،1985م.

17- بوعزيز يحي :مدينة وهران عبر التاريخ ،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ،2009م.

18- بوعزيز يحي :علاقات الجزائر الخارجية مع دول وممالك أوربا (1500-1830)،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر(بدون سنة نشر).

19- بيرنجيه جان وآخرون:أوربا منذ بداية القرن الرابع عشر وحتى نهاية القرن الثامن عشر ،تر وجيه البعيني،ط1،منشورات عويدات،بيروت ،باريس ،ج2،1995 م.

20- جوليان شارل أندري :تاريخ إفريقيا الشمالية،ترجمة :محمد مزالي والبشير بوسلامة ،ج 2،ط1،دار النشر التونسية ،تونس،1983م.

21- حليمي عبد القادر:مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830،دار الفكر الإسلامي،ط1 ، الجزائر، 1972م

22- زهرة عطا محمد صالح :أصول العمل الدبلوماسي والقنصلي،ط1،الرباط،2005 م.

23- لودر دوروثي:إسبانيا شعبها وأرضها ،تر:طارق فودة،مر و تق :عزالدين فريد ،مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر،القاهرة،1965 م.

24- مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني :العملة ـالأسعاروالمداخيل،ج1،دار القصبة للنشر،الجزائر ،2009 م.

25- مروش المنور: دراسات عن الجزائر في العهد العثماني :القرصنة الأساطر والواقع ،ج2،دار القصبة للنشر ،الجزائر،2009 م.

26- موسنييه رولان: تاريخ الحضارات العام (القرن الثامن عشر) ،تعريب يوسف أسعد داغر وفريد محمد داغر ،ج4، عويدات للنشر والطباعة،بيروت ،لبنان، 2006 م.

27- نايت بلقاسم مولود قاسم :شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830 ،الجزء 1،2،ط1،دار البعث للطباعة والنشر ،الجزائر،2009م.

28- نوار عبد العزيز سليمان ،ومحمود محمد جمال الدين :التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى،دار الفكر العربي،مصر،1999 م.

29- عباد صالح :الجزائر خلال الحكم التركي(1514–1830)،ط2،دار هومة،الجزائر2007م.

30- عمر عبد العزيز عمر: دراسات في التاريخ الأوربي والأمريكي الحديث،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية ،1992 م.

31- عمورة عمار: الجزائر بوابة التاريخ الجزائر خاصة(ماقبل التاريخ إلى 1962)،ج2،دار المعرفة ،الجزائر ،2009 م.

32- غربال محمد شفيق: الموسوعة العربية الميسرة،دار إحياء التراث العربي،بيروت–لبنان،1965م.

33- غطاس عائشة وأخريات:الدولة الجزائرية الحديثة ومؤسساتها،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954،الجزائر،2007 م.

34- فارس محمد خير: تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الإحتلال الفرنسي،ط2 ،مكتبة دار الشرق،بيروت لبنان 1979 م.

35- قدوري عبد المجيد: المغرب وأروبا مابين القرنين الخامس عشر والثامن عشر (مسألة التجاوز)،المركز الثقافي العربي ،بيروت،2000 م.

36- قنان جمال: مظاهر من تطور أوروبا في القرن الثامن عشر ،ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر 1984 م.

37- قنان جمال: معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)،طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر،2007 م.

38- قنان جمال: نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث(1500-1830)،طبعة خاصة وزارة المجاهدين،الجزائر،2007 م.

39- قنان جمال :العلاقات الفرنسية الجزائرية 1790 .1830،منشورات متحف المجاهد، 1999 م.

40- قشي فاطمة الزهراء :قسنطينة في عهد صالح باي البايات ،منشورات ميديا بلوس،قسنطينة ،2005 م.

41- سبنسر وليم :الجزائر في عهد رياس البحر ،تر وتق :عبد القادر زبادية ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،1980 م .

42- سعد الله أبو القاسم:أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،ط1،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1978 م.

43- سعيدوني ناصر الدين: دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر الفترة الحديثة والمعاصرة ،ج2 المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر،1988 م .

44- سعيدوني ناصر الدين:ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)،ط2،دار البصائر ،الجزائر ،2009 م.

45- سعيدوني ناصر الدين و بوعبدلي المهدي :الجزائر في التاريخ "العهد العثماني"،المؤسسة الوطنية للكتاب، ج4 ،الجزائر، 1984م .

46- شويتام أرزقي:المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني،دار الكتاب العربي،الجزائر، 2009م.

47- شويتام أرزقي:دراسات ووثائق في تاريخ الجزائر العسكري والسياسي الفترة العثمانية 1519.1830 ،دار الكتاب العربي،ط1،الجزائر،2010 م.

48- هريدي صلاح أحمد:أوربا من مطلع العصر الحديث حتى سقوط نابليون بونابرت،مكتبة بستان المعرفة ،الإسكندرية ،2009م.

49- هلايلي حنيفي:أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني،ط1،دار الهدى الجزائر،2008 م.

50- هلايلي حنيفي:بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني،ط1،دار الهدى،الجزائر،2007م.

51- وجدي محمد فريد :دائرة معارف القرن العشرين،المجلد الأول،ط3،دار المعرفة للطباعة والنشر،لبنان،1971 م.

52- وولف جون ب:الجزائر وأوربا ،ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ،1986 م.

53. يحي جلال : تاريخ أوربا الحديث والمعاصر حتى الحرب العالمية الأولى،المكتب الجامعي الحديث،الإسكندرية،1983 م.

د) المراجع الأجنبية :

1- Belhamissi Moulay, :Histoire de la marine algérienne 1515-1830, E.N.A.L , Alger,1983.

2- Chaline Olivier : La France au XVIII SIéCLE (1715_1787), Ed;Belin,Paris,1996.

3- Grammont (H.de): Correspondance des consuls D'Alger (1690-1742), Librairie Ernest Leroux ,paris,1890.

4- Grammont,(H,de): Histoire d'Alger sous la domination turque (1515-1830),Paris ,1889.

5- Madelin Louis:Histoire de La nation Française , (Histoire Politique "1515_1804"), T4,Librairie Plon ,Paris ,1924

6- Masson Paul: Histoire Etablissements et du Commerce Française dans L'Afrique Barbaresques (1560-1793),Algérie, Tunisie, Tripolitaine, Maroc, Librairie Hachette, Paris ,1903.

7-Tapie Charles:La conquête D'Oran par Les Espagnols en 1732 Imprimerie Emille ollet ,Oran ,1923 .

هـ) الدوريات والمقالات العربية:

1. بالحميسي مولاي :"صفحات من تاريخ العلاقات الجزائرية الإسبانية معاهدة 1786م بين الجزائر وإسبانيا" مقال منشور في مجلة تاريخ وحضارة المغرب ،العدد 11 ، 1996م.

2 . بابا عمر سليم :"مخطوط تاريخي لم ينشر:الزهرة النائرة فيما جرى في الجزائر حين أغار عليها جنود الكفرة"،مقال منشورفي مجلة تاريخ وحضارة المغرب ،العدد 3،الجزائر، جويلية 1967م.

3. بلبراوت بن عتو :"الباي محمد الكبير ،باي وهران ،حياته وسيرته "،مقال منشور في مجلة عصور الصادر عن مخبر المصاد والتراجم ،جامعة وهران،العدد 3 ،جوان 2003 م.

4. بلبراوت بن عتو:"الداي محمد بن عثمان باشا وسياسته 1766.1791 م"،مقال منشور في مجلة عصور الصادر عن مخبر المصادر والتراجم،جامعة وهران،العدد7،جوان . ديسمبر 2005 م.

5. بن حفري شكيب:"العلاقات الإسبانية الجزائرية في القرن الثامن عشر من خلال مخطوط عثماني "،مقال منشور في مجلة الأداب والعلوم الإنسانية ،تصدرها جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية ،قسنطينة،الجزائر ،العدد1 ، 2002م.

6. عبد المجيد قدور:"النشاط الإقتصادي الفرنسي بالجزائر وتونس خلال العهد العثماني" ،مقال منشور في مجلة العلوم الإنسانية،الصادر عن جامعة قسنطينة ،الجزائر ،العدد28،ديسمبر 2007م .

7. غطاس عائشة :"المعاهدة الجزائرية . البندقية 7 محرم 1177 .18يوليو 1763م"، مقال منشور في مجلة الدراسات التاريخية ،العدد 7 ،الجزائر ،1993 م.

8. غطاس عائشة:" معاهدة 22 رجب هـ /10أوت 1746 م أول حلقة من العلاقات الجزائرية الدانماركية "،مقال منشور في مجلة الدراسات التاريخية ،العدد3،الجزائر،1983 م.

9. غطاس عائشة:"التجار الجزائريون من خلال سجلات القنصلية الفرنسية (1636. 1830م)"،مقال منشور في المجلة التاريخية المغاربية ،العدد 62.61 ،السنة الثامنة جويلية 1991م.

10. سعيدوني ناصر الدين:"من أحداث بايليك قسنطينة في العهد العثماني،نهاية صالح باي كما أثبتها أحد الكتاب القسنطيين"،مجال منشور في مجلة التاريخ ،العدد18 ،الجزائر، 1985م.

11. سعيدوني ناصر الدين:"المعاهدة الجزائرية الإسبانية (1791)"،مقال منشور في مجلة الدراسات التاريخية يصدرها معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،العدد7،الجزائر ،1993م.

12. سهيل جمال الدين:"ملامح من شخصية الجزائر خلال القرن 11 هـ /17م "مقال منشور في مجلة الواحات للبحوث والدراسات ،المركز الجامعي غرداية،الجزائر،العدد 13،محرم1433هـ/ ديسمبر 2011 م.

و) الدوريات والمقالات الأجنبية:

1- Berbrugget,A: Expédition du conte D'Oréilly conter Alger en 1775, R.AF,N° 8, 1864.

2-Dalrymple Major: Expédition D'Oréilly, 1775,R.AF,N° 5, 1861.

3- Devoulx Albert :La Régence d'Alger sous le consulat et l'Empire,R. AF , 1887.

4- Devoulx Albert :La marine de la régence d'Alger,R.AF,T13,1869 .

5- Féreud L,Charles:les trois attaques des espagnols contre Alger au XVIIIème Siécle ,R,AF,N°20, 1876.

6- Fontenay Michel: Pour une géographie de l’esclavage méditerranéen aux temps modernes , Cahiers de la Méditerranée,N°

65 , 2002, mis en ligne le 15 octobre 2004, Consulté le 28 janvier 2011. URL :http://cdlm.revues.org

ز) الأطاريح والرسائل والمذكرات الجامعية:

1. الواليش فتيحة :الحياة الحضرية في بايليك الغرب خلال القرن الثامن عشر،رسالة ماجستير في التاريخ الحديث ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 1994/1993 م.

2. بليل رحمونة:القناصل والقنصليات الأجنبية بالجزائر العثمانية من 1564م إلى 1830 م، أطروحة دكتورة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ،قسم التاريخ وعلم الأثار ،جامعة وهران، السنة الجامعية 2011.2010 م.

3. بوبكر محمد السعيد:العلاقات السياسية الجزائرية الإسبانية خلال القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر ميلادي (1206.1119هـ /1792.1708 م)،مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،قسم التاريخ،المركز الجامعي غرداية ، السنة الجامعية 2011.2010م .

4. حسنة كمال:العلاقات العثمانية الفرنسية في عهد السلطان سليم الثالث1789 .1807م مذكرة ماجستير في التاريخ،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 2006/2005 م.

5. غطاس عائشة:العلاقات الجزائرية الفرنسية خلال القرن السابع عشر (1694.1619م)، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،معهدالتاريخ،جامعة الجزائر،السنة الجامعية،1985/1984 م.

6. فكاير عبد القادر:آثار الإحتلال الإسباني على الجزائر خلال العهد العثماني (12.10هـ /18.16م)،أطروحة دكتورة في التاريخ الحديث والمعاصر،قسم التاريخ ،جامعة الجزائر،السنة الجامعية 2009/2008م .

7. سعيود إبراهيم: علاقات الجزائر بالدويلات الإيطالية خلال القرنين السابع عشر والثامنة عشر رسالة ماجستير في التاريخ الحديث،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،السنة الجامعية 2000.1999.

الفهـارس

أ . فهرس الأعلام

ب . فهرس الأماكن والبلدان

ج . فهرس القبائل والجماعات

د . فهرس المحتوى

أ) **فهرس الأعلام** :

(أ)

إبن حمادوش :78 .

ابو العباس الغزال: 65،109 .

اباركا دي أراندا(كونت) :112 .

إبراهيم باي:56 .

إبراهيم بن محمد (باشا):38.

إبراهيم شرقان : 16 .

أحمد الثالث :16 .

أحمد الشريف الزهار :18،49،55،57،62 .

أستون سياليف:96.

إسماعيل باشا:16.

إسماعيل مولاي :42

أوجان بلانتي :13.

البارون تيرغو :95،96.

البيروني :27

البير دوفو :81

الحاج محمد التريكي :14

المزاري:50،115،124

الكوندي دي أراندا:111

الكوندي دي فلوريدا:118،128،130،131.

الناصري :109،124.

إليزابيث فارنز:28

أنطونيو برثلو (الدون):119،122.

أنقولام (الدوق):96.

أوريلي : 113،117،118،119،121

(ب)

بابا حسن (داي):14 .

بابا عبدي (باشا) :17.

بابا علي نقسيس (داي):39 ،40،47،49.

بومبادور (المركيزة):23 .

بنوا لومير (قنصل) :38،39.

(ح)

حاجي مصطفى(داي) :33،34.

حسن باشا:55،56،100،113،124

125،132.

حسين أفندي زادة :108 .

حسين بن علي :33،55.

حسين ميزمورتو:16.

حسين خوجة :33.

حمودة باشا :51،71.

(د)

دوبانا :39 .

دو شوازال :39.

دوقاي تروان :37.

دولا لوزيرن:109.

ديسبلي (كونت): 126،131.

دي كاس :78.

دي كيرسي :68،87،98،105،119

125 ،126.

دي مونتمار :44.

(ع)

عائشة غطاس : 86

عبد الحميد الأول :118 .

علي درناوي : 17 .

علي شاوش:16،17.

(ف)

فاليير (قنصل):40،68،106 .

فلوري :22،23 .

فونتير دي بارادي :47،48،104،109

فيرديناند (الملك):29،30.

فيليب أورليان:22 .

فيليب الخامس(الملك):25،26،27،28،29
30،44 .

(ك)

كارلوس الثاني (الملك) :25.

كارلوس الثالث (الملك) :30،110،113
114 ،118،130.

كارلوس الرابع (الملكك) :131 .

كانو جوان :15.

كولبير:20.

(ل)

لوتيسا :29.

لوفوا:20،21.

لويس الخامس عشر (الملك) :22،23،24
34،39،40 ، 97 .

لويس الرابع عشر (الملك):19،20،21،22
33،34.

لويس السادس عشر (الملك) :94،100
105،112.

ليون دولان(قنصل) :37.

(م)

مازاران:19 .

مازاريدو :38،39.

مايفرن:95.

محمد العيد آل الخليفة:48.

محمد بكداش: 34،44.

محمد بن حسن :17،34.

محمد بن عبد الله (السلطان):51،67
74،111،114،119.

محمد بن عثمان (الباي):56،113.

محمد عثمان باشا (الداي):18،30،40
46،47،48،49،50،51،52،53،54
55،56،57،58،59،60،61،62،63
64،67،68،69،70،71،72،73،74
76،77،78،79،81،83،84،85،86
88،90،91،92،93،94،95،96،97
98،99،101،102،103،104،105
106،107،108،109،110،111،112
114،115،116،117،118،119،120
121،122،124،125،126،127،128
130،131،133،،134،135،136 .

مصطفى بوشلاغم(الباي): 43،45،46.

مصطفى الوزناجي: 57،59،91،113.

ب) فهرس الأماكن والبلدان :

(أ)

أرزيو:86.

أرغون :26،27 .

إسبانيا:13،19،25،26،27،28،29،30
31،38،41،42،43،46،51،52،70
72،81،82،92،99،103،108،109
110،111،112،115،116،117
118،120،121،122،124،125،126.
127،130،131،133،134،135.

إسطنبول:16.

إفريقيا الشمالية:13.

إكس بروفانس:35.

أوروبا :19،24،25،29،30،31،32،46
56،62.

البرتغال:25،74،81،82،121.

البندقية :75،76.

الجزائر:13،14،15،16،17،18،19،21
30،31،32،33،34،35،36،37،38
39،41،42،43،44،45،47،50،51
52،53،54،55،58،60،61،62،63،
64،65،66،67،69،70،71،72،73،
74،75،77،80،81،83،84،85،86،
87،88،89،90،91،92،93،94،95،
95،97،98،100،101،103،104
105،106،107،108،109،110،111.

112،113،114،115،116،117
118،119،120،121،123،124
125،127،128،130،131،132
133،134،135،136.

الدانمارك :61،77،78،82.

الدولة العثمانية:13،16،17،18،67
70،71،72،79،91 ،99 ،109 .

الدويلات الإيطالية:75،76،81،99.

القالة:35،97.

القسطنطينية: 62،100 .

القل :97.

الإسكندرية:19،98 .

المغرب الأقصى: 72 ،117.

المغرب العربي :111.

المرسى الكبير:41،42،43،44،45.
111،113،118،،128،132،136.

إنجلترا:30،32،52،61،64،73،74
76،88،97،124،126،135.

النمسا:112.

(ب)

بجاية :41،59،87.

بروسيا:28.

برشلونة:27.

بورغونيا:33.

(ت)

تركيا :34 .

تكوش:95.

توسكانيا:75.

تونس:33،38،71،100.

(ج)

جبل طارق:26،70،124.

جرجرة:53.

جنوة:82،88.

جيجل :97.

(ر)

رأس الزهور:35.

روسيا:25 ،70 .

(ع)

عنابة:35،54،86،87،90،97.

عين الترك:44.

(ف)

فاس :72.

فرنسا:13،19،20،21،22،24،30،31
32،35،36،38،40،45،51،52،64
72،85،87،88،90،92،93،94،95
96،97،98،99،100،101،102،103
105،106،107،116،124،127،133
135،136.

فلوريدا:30.

(ق)

قرطاجنة :100،119،122.

قسنطينة : 54،56،57،58،89،96
112، 118،121.

قشتالة :26.

(م)

مازونة :43.

مالطا:27،75،76،81،98،121.

مرسيليا: 36، 97.

مستغانم: 43.

معسكر:87،114،118،128.

مينورقة:26،30.

(ن)

نابولي:27،72،75،76،82،102
108،121.

(هـ)

هولندا :21،61،78،88،121.

(و)

وادي خنيس :113،114.

وهران :19،34،37،38،41،42،
43،44،45،46،57،111،113
118،124،128،132،134،136.

ج) فهرس القبائل والجماعات :

(أ)

أولاد طلحة :43 .

اولاد موسى:43.

أولاد نايل:59 .

الأتراك:13،46،59،60،91، 112.

الاسبان:17،37،38،41،42،43،44،45

51،57،86،89،111،112،114،115

116،117،119،120،121،123،124

125،127،129،130.

الأسرى:35،36،37،40،44،56،67،68

69،71،74،83،85،86،87،88،103

111،112،115،120،129،132،134.

الأوروبيين:62،65،66،67،68،76،82،

86،87،92،94،98.

الإنكشارية :15،49،54،55،60،61،115.

الإنجليز:74،75،104،125.

الإكليروس:28.

آل هابسبورغ:21،25.

(ب . ت . ج)

بني راشد :43.

بني عامر:43.

البوربون :19،21،23،25،29،30، 106 .

الجزائريين:13،35، 37،38،40،45،65،

73،77، 78،79،86،88،101،106

109،112،114،115،116،118،120

121،129،132،133.

(د . ر)

الدانماركيون:79.

الروس:100.

(ع . غ)

العرب : 112 .

العثمانيين:13.

(ف)

فليسة :58،59.

الفرنسيين:33،35،36،37،38،39

40،45،68،87، 90،92،95،98

99،100،105،108،121.

(م)

المغاربة:81.

المسلمين:41، 83،109،106

111،112،133.

المسيحيين:67،69،71 ،87 ،88

109،111.

(هـ . ي)

الهولنديين :14

اليهود : 56،63،86،88،89

90،91،92،113،114.

د) فهرس المحتويات

الإهداء **الصفحة**

شكر وعرفان

قائمة المختصرات

المقدمة 1

الفصل الأول : لمحة عن علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا قبيل سنة 1179 هـ /1766م

تمهيد 11

المبحث الأول : الوضع السياسي في كل من الجزائر وفرنسا وإسبانيا 12

أ . الوضع السياسي في الجزائر 12

ب . الوضع السياسي في فرنسا.....19

ج . الوضع السياسي في إسبانيا.....25

المبحث الثاني : جوانب من علاقات الجزائر الخارجية مع فرنسا وإسبانيا 31

أ . العلاقات الجزائرية الفرنسية 31

ب . العلاقات الجزائرية الإسبانية 41

المبحث الثالث : التعريف بالداي محمد عثمان باشا 47

أ . سيرته وشخصيته 47

ب . توليه الحكم 49

ج . مآثره 50

الفصل الثاني:العوامل المؤثرة في علاقات الجزائر الخارجية خلال حكم الداي محمد عثمان باشا

تمهيد 53

المبحث الأول :العوامل الداخلية 52

أ. ظروف توليه الحكم 52

1. تمرد الإنكشارية 52

2 . العجز المالي 55

3 . الكوارث والأوبئة 56

ب . سياسة الداي محمد عثمان باشا الداخلية 57
1 . طريقة إختيار رجال حكومته 57
2 . إخضاع القبائل الجزائرية الثائرة.....60
3 . تنظيم وتجهيز الجيش 62
ج . تأثير نشاط القناصل الأوربيين بالجزائر على العلاقات الخارجية 64
1. تطور مفهوم القنصل 64
2 . التمثيل الدبلوماسي الأوربي بالجزائر.....65
3 . أثر نشاط القناصل الأوربيين بالجزائر على العلاقات الخارجية 67
المبحث الثاني:العوامل الخارجية 69
أ . سياسة الداي محمد عثمان باشا الخارجية 69
1 . تنظيم علاقاته مع دول العالم الإسلامي 69
2 . تنظيم علاقاته مع دول وممالك أوربا 75
ب . تأثير نشاط القرصنة البحرية في العلاقات الخارجية 81
1. تعريف القرصنة 80
2 . نشاط القرصنة في عهد الداي محمد عثمان باشا 82
3 . أثر القرصنة البحرية على العلاقات الخارجية 83
ج . دور المبادلات التجارية في تفعيل العلاقات الخارجية 85
1. سياسة الداي محمد عثمان باشا التجارية 85
2 . طبيعة الصادرات والواردات التجارية الجزائرية 87
3 . دور اليهود في التجارة الخارجية 90
الفصل الثالث: مظاهر علاقات الجزائرمع فرنسا وإسبانيا خلال حكم الداي محمد عثمان باشا
تمهيد 93
المبحث الأول : مظاهر العلاقات الجزائرية الفرنسية 94
أ . الوفاق الجزائري الفرنسي 94
ب . تثبيت وتجديد معاهدات التجارة والصداقة بين البلدين 96
ج . إحتكار فرنسا للتجارة الخارجية الجزائرية 97
د _ توتر العلاقات دون القطيعة 99

هـ . المبادرة الفرنسية لإبرام الصلح بين الجزائر وإسبانيا عام 1777 م.....104
و . تجديد معاهدة السلم المئوي 106
المبحث الثاني : مظاهر العلاقات الجزائرية الإسبانية 109
أ . وساطة السلطان المغربي لابرام الصلح بين الجزائر وإسبانيا 109
ب . الحملات الإسبانية على مدينة الجزائر 112
1 . حملة الضابط أوريلي على مدينة الجزائر عام 1775 م 112
2 . حملة الدون أنطونيو على مدينة الجزائر الأولى 1783م.....118
3 . حملة الدون أنطونيو على مدينة الجزائر الثانية 1784 م.....121
ج . معاهدة السلم الجزائرية الإسبانية عام 1786 م 124
الخاتمة 135
الملاحق 137
قائمة المصادر والمراجع 150
الفهارس العامة 158
فهرس الأعلام والأشخاص 159
فهرس الأماكن والبلدان 161
فهرس القبائل والجماعات 163
فهرس المحتويات 164

République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de L'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

Université de Ghardaïa

Faculté des sciences humaines et sociales

Département d'histoire

Les relations De L'Algérie avec La France et L'Espagne Sous Le Règne De Mohammed Osman Pacha

1766-1791AD /1179-1205 AH

Mémoire pour l'obtention du diplôme Magistère en spécialité de l'histoire moderne

Préparé par

Mohammed salah Taibaoui

Encadré par

D. Salah Boussalim

Année Universitaire : 2013-2014 AD/1434-1435AH

Résumé:

Cette étude portant sur les relations de l'Algérie avec la France et l'Espagne sous le règne de l'un des plus grands deys d'Algérie. Il s'agit de Mohammed Osman Pacha, lequel l'Algérie a connu dans son époque de règne une stabilité à l'intérieur, une prospérité économique, ainsi qu'une régularité de la politique étrangère.

Les relations extérieurs de l'Algérie ont été affectées, à l'ère de dey Mohamed Osman Pacha par plusieurs facteurs internes et externes qui font que ces relations oscillant entre la paix et la tension. De fait , le dey a pu, grâce à sa rigueur et sa bonne gestion faire la preuve d'une grande habilité dans le traitement de toutes les circonstances et conditions internationales .

L'objectif de l'étude:

Le but de cette étude est d'essayer d' entrer dans les détails des relations extérieures de l' Algérie avec la France et l'Espagne sous le règne de Mohamed Osman Pacha, afin de dévoiler les mystères de ces relations , en raison de la complexité du conflit d'intérêts entre ces pays, et en mettant en évidence les facteurs qui influent sur ces relations, et tenter d'identifier ces manifestations les plus importantes , et le succès de Day Mohamed Osman Pacha d'exploiter la situation que le bassin occidental de la Méditerranée a témoigné, de retourner à l' Algérie son prestige dans la région, et d'organiser les affaires intérieures et ses relations extérieures.

La problématique posé dans cette étude:

Quelles sont les circonstances et conditions, qui a contrôlé les relations de l'Algérie avec la France et l'Espagne à l'époque de Day Mohamed Osman Pacha ? Et quels sont les facteurs qui les ont influencés ? Quels sont les aspects de ces relations ? Et le caractère dominant? Quel sont leur effets et conséquences sur l'Algérie en particulier, et les pays de l'Ouest de l'Europe méditerranéenne en général?

Résultats de L'étude :

Et à l'issue de cette étude , j'ai conclu les résultats suivants :

les relations de l'Algérie avec la France et l'Espagne a été affecté à l'époque de Day Mohamed Osman Pacha par des facteurs internes et externes, les plus important sont:

***Facteurs affectant les relations :**

_ La forte personnalité du dey Mohamed Osman Pacha lui a permis de procéder à une politique interne rigoureuse, laquelle a eu un impact important sur les orientations politiques ainsi bien à l'intérieur qu' à l'extérieur. .

_ L'activité des consuls européens en Algérie avait un impact significatif sur les relations extérieures de l'Algérie . Et de les diriger souvent pour servir les intérêts de leurs gouvernements .

_ L'activité de piraterie est l'un des principaux facteurs qui ont influé sur les relations extérieures de l'Algérie, avec les États et royaumes de l'Europe, et qui a fait des dégâts humains et matériels importants en plus d' un grand nombre de captifs. Et ça était sur les deux côtés .

_ Le commerce algérien extérieur a contribué à la concrétisation et au développement et des relations extérieures, et surtout avec les états et les royaumes de l'Europe de l'ouest. De ce fait, l'Algérie est devenue un centre commercial en concurrence des principaux pays européens pour exercer une influence sur.

***Les manifestations de ces relations :**

_ Le dey Mohamed Osman Pacha a procédé à une politique étrangère rigoureuse avec tous les pays européens, notamment la France et l'Espagne. En effet il a intensifié le contrôle sur les concessions françaises lors de renouvellement de celles-ci aux années 1767,1768,1790 , il a maintenu les relations tendues avec l'Espagne , et rejeté tout accord ou réconciliation avec tant qu'il continu encore d' occuper Oran et Marsa El Kabîr .

_ Les relations de l'Algérie avec la France et l'Espagne à l'époque du dey Mohamed Osman Pacha dépendait de la conjoncture politique , des intérêts commerciaux , et de la présence des captifs sur les deux côtés.

_ Les relations algérois-françaises à l'ère du dey Mohamed Osman Pacha étaient pour résoudre plusieurs questions découlant des activités de piraterie , de libération des captifs et du commerce . Et elle n'ont jamais connu une période de calme ,de stabilité et de bonne volonté réciproque comme celle qu'elles ont connue pendant le époque du dey Muhammad Otman Pacha.

_ La France eut une position importante en Algérie, comparée à d'autres pays européens. El elle insistait toujours sur la poursuite de la réconciliation dans ses relations avec l'Algérie en raison des avantages sociaux qu'elle avait gagnés, surtout dans le commerce florissant de la Méditerranée, Et elle voulait garder ses privilèges commerciaux en Algérie à travers l'obtention des accorts plus importants et plus fidèles qu'avant et n'y avait de concurrents que seuls les Juifs et les Britanniques.

_ Les relations algérois-espagnoles à l'époque du dey Mohamed Osman Pacha étaient caractérisées d l'hostilité et de conflit franc et elles avaient un caractère de défi à cause de l'activité maritime anti-algérien de l'Espagne et le maintien de l'occupation d' Oran et d'El Marsa al Kabîr .

_ L'Espagne a lancé trois campagnes militaires sur la ville d'Alger aux années 1775,1783,1784 mais elle n'a pas atteint ce qu'elle espérait , en l'occurrence, imposer la réconciliation conformément aux conditions espagnols , Ce qui a incité les espagnols à changer leur politique militaire , et à adopter une approche diplomatique qui a conduit ,après des négociations ardues à l'adoption d'un traité de paix et d'amitié avec l'Algérie en 1786.

_ la réalisation d’un traité de paix entre les deux pays après près de trois siècles nécessita de temps et des efforts, et le problème des prisonniers et la compensation financière demandée par l' Algérie et les privilèges espagnols furent les thèmes les plus importants .